جامعة الجزائر

معهد الفلسفة



من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش

1236-1332 هـ : 1818-1914 م

دراسة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية

إعداد الطالب

عدون جهلان

بإشراف

الدكتور أبو عمران الشيخ

السنة الدراسية 1407 هـ. 86-1987 م

xxxxxxxxxxxxxxxxxxx

اهــــداء

xxxxxxxxxxxxxxxxxxx

الى والديّ الكريمين : برّا واحسانا واعترافا بالجميل...

الى روح القطب الزكيّة : تخليدا لذكراه ...

الى مشائخي واساتذتي وزملائي : تقديرا واحتراما ووفاء ...

الى كل معتزّ بايمانه : يخلص العمل للخالق اعلاء لكلمته ...

الى كل مهتمّ بالفكر الانساني : يتلمّس سبل النجاة في عصر الاهواء...

الى كل مجتهد لتحقيق مجتمع آدميّ عادل ، يقوم على اسس من القيم الخالدة : الخير والسلام والحب في الله ...

الى هؤلاء اقدم باكورة بحثي .

ع. جهلان

هـل جـزاء الاحسـان الآ الاحسـان

وبعد ان اكتملت فصول البحث، وتناسقت ، لتؤلف هـذا الكتاب المتواضع ، اجدني مللزما - من باب الاعتراف بالجميل وشعورا بواجب شكر النعمة - ان اتقدم بالثناء الطيب والشكر الجزيل لمن كان السبب في اخراج هذا الانجاز الى حيّز الوجود واخص بالذكر استاذى الدكتور ابو عمران الشيخ ، اذ تكرّم بالموافقة على موضوع الرسالة ، وتحمّل اعباء الاشراف على البحث ، فرعاني رعاية الوالد لولده ، وكان لي خير استاذ وموجّه .

ثم لا انسى فضل استاذي الدكتور محمد ناصر عليّ لما وجدت عنده من قلب مفعم بالاخلاص ، وعقل نيّر مرشد ، ولسان رطب نصوح لقد تعلمت منه ان الخلق الطيب ، والاستقامة في السلوك ، والاخلاص في العمل ، اهمّ واولى من الثقافة والمنصب، فكان لي خير قدوة .

كما اوجه خالص شكري وعظيم امتناني لكل يد بيضاء امتدت لتساعدني من قريب او بعيد لانجاز هذا العمل ، راجيا من المولى العلي القدير ان يثيب الجميع بخير ما عنده من اجر عظيم وعطاء جزيل . انه سميع مجيب . وهل جزاء الاحسان الاالاحسان

الباحث

مصطلحات

الرمز	المعنى	الرمز	المعنى
أ /	الاستاذ	ص	الصفحة
ت	توفي	ط	الطبعة
تح	تحقيق	ق	القرن
تر	ترجمة	م	التاريخ الميلادى
تص	تصحيح	مج	مجلد
تع	تعليق	مج	مجلة
ج	الجزء	مخ	مخطوط
ح	الحاج	مر	مراجعة او راجعه
د /	الدكتور	م . س	المصدر السابق
د تا	بدون تاريخ	مط	المطبعة
(رضي)	رضي الله عنه	نا	الناشر
ش	الشيخ (ص)	هـ	التاريخ الهجرى
(ص)	صلى الله عليه وسلم		

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤)

مقدمة

يعالج هذا البحث موضوع الفكر السياسي وما يتعلق به من آراء حول الامامة ، ونظام الحكم عند الاباضية ، مع التركيز على آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش اليسجني المعروف بقطب الايمة (1236 ـ 1332 / 1818 ـ 1914) .

ولا شك في ان الاباضية قد ساهمت في اثراء الفلسفة الاسلامية بان جمعت الى آرائها الفقهية والكلامية مواقف واضحة ومبادى ثابتة في السياسة ، فشكلت بذلك نظرية مميزة ضمن الفلسفة السياسية عند المسلمين . وبما ان الاباضية لم تدرس آراوهم السياسية ـ بالخصوص ـ كما درست آراء الاشاعرة والمعتزلة والشيعة قديما وحديثا ، فأن موضوعا يتناول بالبحث آراء الاباضية ويكشف الستار عن الجانب السياسي لفكر هذه الفرقة الذي لم يخرج معظمه من خزائن المخطوطات ، لا ريب سيسدّ فراغا في جانب من الفكر الاسلامي لم يحظ باهتمام الدارسين . ومن هنا تبرز اهمية الموضوع .

ومن اهم الدوافع الى اختيار هذا الموضوع ما نلحظه من غياب الدراسات العلمية حول الاباضية الشيئ الذى جعل هذه لم تعرف على حقيقتها سواء في اصولها العقيدية او آرئها الكلامية او السياسية الا عند القليل من الدارسين للفكر الاسلامي

وهذا مما يستوجب العمل الدؤوب لدراسة فكرها دراسة اكاديمية موضوعية .

ومن البواعث ايضا ما نلحظه من الواقع السيء للمسلمين الذين لم يوحدوا في السياسة رايا ، ولم يستقروا في نظم الحكم على مبدأ، وهم باقون على ما هم عليه ماداموا ذوو نزوع الى تشريع نظم وسن قوانين تبعد عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

وبما ان الاباضية فرقة اسلامية تعتمد في وضع مبادئها على اصول التشريع الاسلامي فان الآراء السياسية عندها تمثل رافدا هاما للتيار الاسلامي في الفكر السياسي بما تقدم من تجربة ناضجة في نظام الحكم وتسييس الرعية بمقتضى الشرع .

اما عن بواعث التركيز على آراء الشيخ اطفيش فتتلخص فيما يلي :

ا ـ شعورا مني بضرورة الاهتمام بعلماء المغرب العربي الذين لم يوفّ نصيبهم من العناية الاّ قليلا ، ولم تدرس افكارهم دراسة جدّية الاّ نادرا ، هذا على الاقل اذا قارنا ذلك بحجم الدراسات التي تناولت فكر المشارقة من العلماء ، وايمانا مني بقيمة التراث المغربي فاني اراه اولى بالاهتمام من غيره . فكيف اذا كان العالم جزائريا ؟

ب ـ عندما اهتم الدارسون للفلسفة السياسية عند المسلمين رجعوا الى مصادر الفكر السياسي الاسلامي فبحثوا في تراث الفارابي (ت 339هـ/ 950م) وابن ابي الربيع (ق 3هـ/ 9م) والغزالي (ت 505هـ/ 1111م) وابن خلدون (ت808هـ/ 1406م) وغيرهم دون الالتفات الى

مفكرين اباضيين لا يقل تراثهم اهمية من غيرهمفتساءلت عما اذا كان للاباضيين اسهام في المجال السياسي ومن ثم كانت دراستي اشبه ما تكون بعملية تنقيب عن كل ما له علاقة بموضوع السياسة في التراث الاباضي ، فوجدت معظم مادة البحث قد تناولها الشيخ اطفيش بالدراسة موضحا رأيه فيها ، وهو تعبير عن رأي الاباضية في الوقت ذاته . كما وجدت آرءه تتسم بعمق التفكير وبعد النظر مما يدل على استكمال النظرية السياسية وثبوت مبادئها لديه . وليس ذلك غريبا اذا علمنا ان الشيخ اطفيش عاش في نهاية القرن 13هـ / 19 م ويكون بذلك قد استفاد من التجربة السياسية للاباضية عبر مراحل تاريخها ، فضلا عن اطلاعه على مؤلفات من سبقه من مؤلفي الاباضية ، وأخصّ بالذكر منهم : الشيخ تبغوريين بن عيسى (ق5هـ/11م) ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني (ت540هـ /1174م) ابو عمار عبد الكافي الاباضي (ق6هـ / 11م) . ابو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي (ت750ه / 1350م) ، واخيرا الشيخ عبد العزيز الثميني (ت1223هـ / 1808م) .

ومن هنا فقد تأكدت لدي قناعة بان د راسة فكر القطب يعني الالمام بالفكر الاباضي في الوقت نفسه . و من هنا تاكدت فكرة التركيز على آراء الشيخ اطفيش اكثر .

ويهدف البحث فيما يهدف الى : التعريف بالنظرية السياسية الاباضية ، وتحليلها ثم تقييم ابعادها الفكرية بالنقد والمقارنة ، وهذا من اجل فتح باب جديد بالاهتمام

في الفلسفة الاسلامية لم يحظ بالدراسة والنقدحتى الآن.

اما الاشكالية فقد صيغت في شكل اسئلة يحاول البحث الاجابة عليها ، اعتمادا على المصادر الاباضية ويمكن طرحها كما يلي :

1 - ماهو مفهوم الامامة عند الاباضية ؟ وما رأيهم في مشروعيتها ووحدتها؟ وشروطها ؟ ومن يستحق منصب الخلافة عندهم؟

2 - ما نوع الحكم عند الاباضية ؟ وفيما تتجسد ديموقراطية السلطة ؟ وتعيين الحاكم ؟ واختيار اعوانه ؟

3 - ما هو موقف الاباضية من السلطان الجائر ؟ومن حكم مخالفيهم فيهم ؟ وما هو البديل حين يعجزون عن اقامة الدولة ؟

4 - ما الابعاد السياسية في نظرية "مسالك الدين" ؟ وما قيمة الفكر السياسي الاباضي ضمن الفلسفة الاسلامية ؟

وأنطلاقا من هذه التساؤلات شرعت في جمع مادة البحث ومعالجة الموضوع معتمدا على المنهج التاريخي فعرضت اهم الآراء الاباضية مع تحليلها وابراز مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين آراء المذاهب السياسية الاخرى من خلال المقارنة ثم استخلصت النتائج الاساسية التي تميز النظرية السياسية الاباضية عن غيرها .

لكن لم يكن ذلك بالامر الهين، فقد اعترضتني صعوبات منذ الخطوات الاولى للبحث . من اهمها ما يلي:

1 - لم اجد دراسة معاصرة تناولت هذا الموضوع بالبحث باستثناء اشارات عابرة ضمن دراسات ذات طابع تاريخي

او عقيددي غير متخصصة في السياستذكر منها - على سبيل المثال - تحليل د/ عمار طالبي (معاصر) لمبحث الامامة وهو ملحق لكتاب الموجز لابي عمار عبد الكافي . ودراسة أ / دنجال (G .Dangel) (معاصر) في كتابه : الامامة الاباضية في تاهرت (416-909) L'Imamat Ibadite de Tahert . ودراسة أ / بيار كبيرلي (معاصر) B . Cuperly حول الامامة عند الاباضية في فصل ضمن كتابه مدخل لدراسة المذهب الاباضي وعقيدته INTROUCTION A L ETUDE DE L'IBADISME ET DE SA THEOLOGIE. ومحاضرة أ / محمد الثميني (معاصر) مفهوم الشورى والديموقراطية في التاريخ العربي لدى الدولة الرستمية . ولعل اول محاولة معاصرة لدراسة الفكر الاباضي دراسة تحليلية مقارنة كانت من طرف الشيخ علي يحي معمر (ت 1979م) في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث . ثم جاء بعده د/ عوض محمد خليفات (معاصر) ليقوم بدراسات قصيرة لكنها مهمة وقيمة من اهمها : النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا . و التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان .

وفيما عدا هذه الدراسات لا نكاد نقف على اشارة للفكر السياسي الاباضي - حسب اطلاعنا - اما عن حركة الخوارج فهي كذلك لم تحظ بالدراسة الكافية .

2 - بما ان الاباضية لم يهتموا بالجانب النظري في المجال السياسي الآ قليلا فانهم لم يتركوا آثارا مستقلة لهذا

..

الجانب مما اضطرني الى البحث عن كل ما له علاقة بموضوع السياسة ، بين كتب الفقه واصول الدين ضمن المباحث الاجتماعية ، كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والامامة والولاية والبراءة ، والاحكام والدماء ، هذا اذ استثنينا ما وجدته في (قاموس الشريعة) للشيخ جميل بن خميس السعدي العماني (ق 19 م) ، وهذا القاموس عبارة عن موسوعة فقهية تقع في 90 مجلدا . افرد لموضوع الامامة فيه بكتاب خاص لا يزال مخطوطا ، وبما ان البحث مركز على آثار القطب فاني لم اعتمد على المخطوط المذكور التزاما بمنهجية الدراسة .

3 - امام ندرة المصادر اضطررت للرجوع الى التاريخ باعتباره مصدرا بديلا للمادة ، نظرا لاهميته في دراسة الفكر الاباضي علما ان الاباضية حريصون على تطبيق مبادئهم ، وتجسيدها عمليا ولذلك كانت التجربة الاباضية غنية في الميدان السياسي ، ومن هنا تزداد صعوبة البحث بالخلط بين التاريخ والفلسفة .

4 - من بين المصادر الاباضية المهمة يوجد منها عدد لا يزال مخطوطا وهذه الاخيرة ينعدم وجودها في المكتبات العامة فضلا عن الوطنية والجامعية ، فسعيت للحصول عليها في الخزائن الخاصة بقرى واد مزاب وتكلف مني ذلك جهدا وعناء .

هيكل البحث

قسمت البحث الى : مدخل وبابين ، يضمّ كل منهما اربعة فصول ، ثم الخاتمة .

في المدخل اختصرت فيه اسباب نشاة الفكر السياسي عند المسلمين وما نتج عنه من ظهور المذاهب السياسية ، وكان

عند المسلمين وما نتج عنه ظهور المذاهب السياسية ، وكان ذلك تمهيدا للدخول في صميم الموضوع والتركيز على المذهب الاباضي.

الباب الاول : (المذهب الاباضي)ويضم الفصول التالية :

الفصل الاول : فصلت فيه الكلام حول ظهور الاباضية كفرقة مستقلة مميزة برجالها وآرائها كما وضحت فيه ظروف النشأة، واصل التسمية بالاباضية ، ثم اجملت القول حول انتشار هذا المذهب في المشرق العربي ومغربه .

الفصل الثاني : عرضت فيه اصول العقيدة الاباضية ، وهي سبعة : التوحيد ، العدل ، القضاء والقدر ، الولاية والبراءة،الامر والنهي ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، لا منزلة بين المنزلتين ، الاسماء والاحكام ، ثم وضحت آراء الاباضية ومواقفهم من بعض المسائل الخلافية بين المذاهبومن اهمها : نفي الرؤية ومسألة الخلود ، وخلق القرآن .

الفصل الثالث : بينت فيه علاقة الاباضية بالفرق الاسلامية . مع الاشارة الى اوجه الاتفاق والاختلاف مع كل من الاشعرية والمعتزلة والشيعة والخوارج .

الفصل الرابع : بعد التعريف بالاباضية وآرائهم وعلاقتهم بغيرهم حصرت دائرة البحث حول شخصية الشيخ محمد بن يوسف اطفيش فتعرضت الى حياته وآثاره والتعريف بمعالم فكره .

الباب الثاني :(الفكر السياسي عند الاباضية)

الفصل الاول : عرضت فيه تصور الاباضية لمسالة الامامة

وبيّنت آراءهم حول مفهومها ومشروعيتها وشروطها وثبوتها، مع المقارنة بين آرء الاباضية مع غيرها من آرء المذاهب الاسلامية الاخرى .

الفصل الثاني خصّصته لنظرية مسالك الدين عند الاباضية، وهي نظريّة سياسية اجتماعية ، تحدّد مواقف الاباضية من الاوضاع التي تعترضهم، كما تحدّد نوع الامامة وطبيعة كل سلطة سياسية التي تختلف باختلاف المراحل الاربعة لمسالك الدين وهي : 1 : الظهور ، 2 : الدفاع عن الدين والدولة، 3 : الشراء واعلان الثورة ضد الفساد والعدو الظالم ، 4 : الكتمان وفيه يبتعد الاباضية عن المجال السياسي ويتنازلون عن اقامة الدولة ، ليشتغلوا بالاصلاح الديني والاجتماعي

الفصل الثالث وهو خاص بالامام في مرحلة الظهور، وتناولت فيه مسالة اختيار الامام وتنصيبه وقبل ذلك شروط الامام ومؤهلاته ، وموجبات عزله او الخروج عليه .وبينت موقف الامة من الامام العادل .كما حددت واجبات الامام الاساسية ومسؤلياته، ومنها الامنية والادارية والدينية والاقتصادية والاجتماعية .

الفصل الرابع : عرضت فيه جهاز الحكم المتكون - علاوة على الامام - من مجلس الشورى والوزير والقاضي والولاة والحسبة والشرطة والجيش ، مع تحديد مهام وصلاحيات كل من يتولى هذه المناصب .

الخاتمة : استخلصت فيها نتائج البحث الاساسية ، واجملت فيها القول حول ديموقراطية السلطة في الدولة الاباضية بالمقارنة مع الآراء السياسية عند فلاسفة الاسلام .

مدخل

اهمية دراسة "الفكر السياسي

لا يزال الصراع بين الفكر والواقع يشكل اهم ميزات العصر الحديث ، حيث اصبحت الافكار تحدد اهداف الانسان وغاياته . وتوجه الجماعات في نمط السلوك والممارسة ضمن مسيرة حضارية ، وبالافكار تتحد الشعوب او تختلف ، ويتخذها الساسة مطية للمحافظة على السلطة . وما نظم الحكم المختلفة الا تجسيدات عملية للافكار السياسية والاجتماعية افرزها واقع الانسان من خلال حاجاته الاجتماعية والقيم الروحية والمادية والتطلع نحو الافضل . فانطلاقا من جدلية الفكر والواقع ، تتشكل المذاهب السياسية والاجتماعية والاخلاقية ، وتختلف هذه باختلاف الغايات والاتجاهات وظروف الحياة التي يعيشها الانسان ، الا انها تسعى جميعا الى التوفيق بين الجوانب الاساسية في حياة المجتمع وهي ثلاثة = الجانب الروحي متمثلا في عقيدة تشكل القاعدة النظرية ، والجانب المادي في شكل نظم اقتصادية ، والجانب التنظيمي متمثلا في جهاز الحكم والتراتيب الادارية . ولعل اهم هذه الجوانب هو الجانب الروحي اذ لا يقوم مذهب سياسي او اجتماعي الا على اصول عقائدية (دينية) او فكرية

فلسفية تستمد جذورها من مناح عدة منها الواقع فتكون الاوضاع القائمة وما تفرزها الحياة البشرية من خبرات بمثابة الاصول التجريبية ، التي يستخدمها اعلام الفلسفة السياسية في وضع تعاليمهم وصياغة آرائهم ومثال ذلك حضارة شرق آسيا التي قامت على مبادئ الكنفوشيسية (1) كما كانت آراء هيجل (2) ، ونيتشه (3) هي السند الفكري للحزب الاشتراكي الالماني (النازي) كما غدت آراء هيجل الدعامة الفكرية لكارل ماركس (4) ومن والاه من مفكري الاشتراكية (5) .

اما عند المسلمين فتعود جذور الفكر السياسي لديهم الى اصول العقيدة الاسلامية بالاضافة الى حصيلة الآراء السياسية لمفكري الاسلام وفقهائه ونذكر - على سبيل المثال - الآراء السياسية التي وضعها المهدي ابن تومرت (ق12م) وهي تشكل الاطار النظري والسند الفكري للدولة الموحدية (6) ولعل اهم ما يتميز به الفكر السياسي عند المسلمين انه لا يفصل بين الدين والدولة فالعلاقة بين الجانبين

---

(1) نسبة الى كونفوشيوس(نحو 551 - 379 ق م .) فيلسوف صيني لا يقر بالله .

(2) فريدريك هيجل HEGEL (1770 - 1831م) فيلسوف الماني قال الكائن والفكر شيء واحد .

(3) نيتشه NIETZSCHE (1844 - 1900م) فيلسوف الماني يقوم مذهبه على ارادة القوة .

ليست مصطنعة بل اصيلة تنبع من التعاليم الدينية ويفرضها الاجتماع المدني بحيث ينتقي التفاضل بين الجانبين لان الواحد منهما يكمل الآخر لتنظيم احوال الدولة وسياسة الرعية •

الا ان هذه العلاقة قد تتعرض الى زعزعة فتحيد عن اصلها بفعل الاحتكاك الحضاري ، وتغير الظروف وتعاقب الدهور • فاذا حدث شيء من ذلك ، هيمن المضمون الاجتماعي والمصلحة الدنيوية على الجانب الروحي ، وعندئذ وتضعف فعالية القيم الدينية والتعاليم السماوية في غياب الوعي الاسلامي وفتور الوازع الديني • وهذا ما حدث في التاريخ الاسلامي بتفاوت بين الدول الاسلامية من حيث اتساع او ضيق الهوة الفاصلة بين الجانب الديني والجانب السياسي — الدنيوي — على ان هذا التفاوت قد نلاحظه في الدولة الواحدة بين فترات زمنية متباعدة •

وهذه الدراسة التي بين ايدينا تلقي ضوءا على التجربة الاباضية في موضوع الحكم وهي تجربة اسلامية

---

(4) MARX (1817 — 1883م) من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية ،عاش في المانيا •

(5) فؤاد محمد شبل ، الفكر السياسي ، القاهرة 1974م ، ج 1 ، ص 15 •

(6) دولة شيعية في المغرب العربي والاندلس ، اشهر سلاطينها = عبد المؤمن ابن علي •

حاولت ان تبقي العلاقة بين الدين والدولة قائمة على اسس تضمن التوفيق بين الجانبين من اجل تحقيق المصالح الدنيوية في حدود الشرع .

نشاة الفكر السياسي عند المسلمين

يتمحور الفكر السياسي عند المسلمين حول مسالة الخلافة او الامامة وهي خلافة النبي (ص) في ادارة شؤون المسلمين وتسييس الرعية ، فصاحب هذه المهمة هو الحاكم الاعلى لجماعة المسلمين .

تولى الخلافة اولا ابوبكر فالتزم بالكتاب والسنة وحرص على تطبيق العدالة الاجتماعية بعيدا عن العصبية ، والتمييز العنصري ، فخلا عهده من الافتراق ، ثم تلاه عمر بن الخطاب فاتسمت سياسته بالعدالة المطلقة ، واجتهد في وضع القوانين والنظم في اطار الحدود الشرعية بحسب ما تقتضيه المصلحة العليا للامة ، التي اتسعت رقعتها وضمت الوانا جديدة من الاجناس محملة برصيد فكري مميز وقيم اخلاقية واجتماعية لم يعهدها المجتمع العربي في شبه الجزيرة ، فعاش الجميع في ظل القيادة الاسلامية ، لا فرق فيما بين عربي واعجمي الا بالتقوى .

لكن باعتلاء عثمان (رض) عرش السلطة تغيرت الاوضاع وبدأ الضعف يدب في السياسة فضلا عن العامة

ونتج عن ذلك ظهور النعرة القبلية من جديد واستفحل خطر العصبية التي اذابها الاسلام واستمر الوضع في تردٍ الى حين قتل عثمان ، وخلفه علي (رض) ولم يتمكن من رأب الصدع فتطور الخلاف الى صراع مسلح ، ومن ثم تحزبت الامة الاسلامية فصارت فرقا ومذاهب تدعي كل منها ان الحق حذوها ، وغيرها على ضلال ، وكان الخلاف يبدو في ظاهره خلافا فقهيا - دينيا - لكنه يعكس في حقيقته صراعا قويا بين الشرائح الاجتماعية والطبقات ذات السيادة ، ودام الحال على هذا النحو الى ان استقر الحكم عند العباسيين ، وفي خضم هذا الصراع حول منصب الخلافة نشر كتاب مسلمون تناولوا هذه القضية بالبحث والدراسة النظرية ، من اجل اضفاء الشرعية للاحداث السياسية ، وتأييد الزعماء ، القائمين برعاية المسلمين ، او نقد الاوضاع ، ومحاربة اصحاب السلطة لاحتكارهم مقاليد الحكم دون موجب شرعي وكان هؤلاء الفقهاء والمفكرون يعبرون في الغالب عن آراء الفرق التي ينتمون اليها .

فاثارت الشيعة مسالة احقية على (رض) وابنائه في تولي منصب الخلافة الامر الذى شجع الخوارج على الرد عليهم ،كما فعل غيرهم من اهل السنة ، وكان مصدر التشريع هو القاسم المشترك ، والمنطلق الاول بين

العلماء ومفكري الاسلام . غير ان الآراء اختلفت حول القضية نفسها وتباينت وجهات النظر بينهم فراح كل يؤول النص حسبما يمليه اتجاهه السياسي ويفسر الاحداث من زاوية مذهبه .

ويمكن تحديد مواضع الخلاف السياسي في جملة من المسائل لكل منها موقفين متعارضين ، ينتج عنهما مجموعة محاور منها تتولد المذاهب السياسية عند المسلمين ، ونعرض هذه المحاور على الشكل التالي =

المحور	الموقف الاول	الموقف الثاني
الاول	وجوب تنصيب الامام	لا ضرورة لتنصيب الامام
الثاني	جواز تعدد الائمة	لا يجوز الا امام واحد
الثالث	تنحصر الخلافة في آل البيت	لا تنحصر في آل البيت
الرابع	يكون الخليفة قرشيا	لا يشترط القرشية
الخامس	الامام معصوم	لا عصمة للانبياء
السادس	الخلافة تنتقل بالوصية والوراثة	لا تجب الوصية ولا الوراثة
السابع	تثبت الامامة بالشورى والبيعة	لا وجوب للشورى والبيعة
الثامن	يجب الخروج على السلطان الجائر	لا يجب الخروج وقد يجوز

ومن هذه المحاور المتقدمة تفاعلت الآراء وتبلورت النظريات لتسفر عن مبادئ اساسية قامت عليها تكتلات واحزاب سياسية اربعة ، نعرضها بالترتيب حسب ظهورها تاريخيا ، ويوافق ذلك ترتيبها من حيث القوة والنفوذ =

اولا = حزب بني امية ، ويعتمد في الحكم على المبادئ الاساسية التالية = وجوب نصب الخليفة بالبيعة والشورى على ان يكون قرشيا عدلا ، طاعته واجبة والخروج عليه غير جائز ((ومن هذا التكتل انبثقت مذاهب الاشاعرة والماتريدية والاثرية والمعتزلة)) (7) •

ثانيا =حزب بني هاشم ، والمبدأ الاساسي الذى يقوم عليه في موضوع الحكم • ان الخلافة تنحصر في آل البيت وتنتقل وراثيا بوصية الامام لمن بعده ويكون معصوما ومن هذا التكتل ظهرت فرق الشيعة •

ثالثا = حزب عبد الله بن وهب الراسبي (المحكمة) كان ظهوره نتيجة للصراع بين الاحزاب المتقدمة • ويعتمد هذا الحزب في موضوع الحكم على المبادئ التالية = البيعة والشورى والعدالة دون اعتبار الجنس فان استوفى الامام هذه المقاييس والتزم بها ((وجبت طاعته ولا يجوز

---

(7) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، ص 403 •

الخروج عليه)) (8) اما اذا انحرف كان امر الخروج عليه بيد اهل الحل والعقد وهو جائز وليس بواجب • ومن هذا التكتل ظهرت فرق الاباضية •

رابعا = الحزب المتطرف ، وهو متفرع عن المحكمة الاولى من اهم مبادئه في السياسة ان الامامة غير واجبة عند البعض ، وعند آخرين من الحزب نفسه الامامة مشاعة لكل المسلمين بشرط الكفاءة والعدل ،وتتم بالاختيار المطلق ، فاذا جار الامام وجب ان يعزل و الا يحارب ويقتل • الا ان هذا الحزب لم يدم طويلا لانتهاجه الاسلوب الشوري وتطرف آرائهم • ومنه انبثقت فرق الخوارج

على ضوء هذا العرض نستطيع تلخيص الآراء السياسية العامة التي تنبني عليها فلسفة الحكم عند المسلمين ، فيما يلي (9) =

ا ـ الامام من قريش يعين بالبيعة ، طاعته واجبة ولو جار (الحكم وراثي معتدل)

ب ـ الامامة في آل البيت فقط تنتقل بالوصية ،وهي من اصول الدين و الامام معصوم • (الحكم وراثي متطرف) •

جـ. تعيين الامام بالشورى والبيعة ، سواء من قريش او من غيرها ، طاعته واجبة و الخروج عليه جائز

---

(8) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق ، مكتبة وهبة ، ط 1 ، القاهرة 1976 م

(9) نقلا عن علي يحيى معمر الاباضية بين الفرق ، ص 404 • (بتصرف) •

اذا جار (الحكم ديمقراطي معتدل) •

د ـ الامامة حق لكل انسان عن طريق الانتخاب الحر يطاع الامام ما دام عادلا ، ويقتل اذا جار وقد لا تجب الامامة (الحكم ديمقراطي متطرف) •

بعد هذه المقدمة حول نشأة الفكر السياسي عند المسلمين ، نعود الى فرقة الاباضية لنركز البحث حول آرائها في السياسة من خلال مفكريها عامة وآثار قطب الائمة ش• محمد بن يوسف اطفيش بصفة اخص•

و قبل ذلك ، نعرف المذهب الاباضي ، من حيث نشاته ، و اصوله العقيدية وعلاقته بغيره من المذاهب ، ثم نتعرض لحياة القطب وآثاره •

الباب الاول

المذهب الاباضي

الفصل الاول : نشأة المذهب الاباضي

الفصل الثاني : الاصول العقيدية للمذهب الاباضي

الفصل الثالث : الاباضية والفرق الاسلامية

الفصل الرابع : الشيخ محمد بن يوسف اطفيش

(حياته وآثاره وفكره)

الفصل الاول

نشأة المذهب الاباضي

اولا : ظروف النشأة

ثانيا : اصل التسمية

ثالثا : الاباضية في المشرق

رابعا : الاباضية في المغرب

نشأة المذهب الاباضي

اولا : ظروف النشأة

اذا تعرضنا في هذا الفصل الى الاسباب العامة والظروف الخاصة التي ساعدت على نشأة الفرقة الاباضية فليس ذلك الا من قبيل التعريف بالمذهب الذي نحن بصدد دراسته من الجانب السياسي ، وعليه فان الحديث سيكون مركزا على الاحداث التاريخية ذات الصلة الوثيقة بظروف النشأة والتي تمثل الاسباب المباشرة لظهور الاباضية كفرقة اسلامية مميّزة بأصولها واتباعها . وما سوى ذلك من تفاصيل وجزئيات فسنتركها للراغب في التوسع والتحقيق يلتمسها في المصادر والمراجع المعتمدة (1)

---

(1) للمزيد من التفاصيل حول نشأة الاباضية انظر :
رسالة الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الى اهل طرابلس ، ذكرها الشيخ ثواب بن سلام في كتابه (شرائع الدين) مخ نسخة الشيخ ناصر المرموري ، ص 33 / الشماخي ، كتاب السير / الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج 1 / ابو القاسم البرادي ، الجواهر المنتقاة / ابو الحسن الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص 64 / الحافظ بن كثير البداية والنهاية ، ج صص 273 ـ 310 / عبد الحليم محمود التفكير الفلسفي في الاسلام صص 185 ـ 186 / سليمان البارونى باشا ، الازهار الرياضية / سالم بن حمود السيابي ، طلقات المعهد الرياضي ص 79 / علي يحيى معمر الاباضية في موكب التاريخ (جميع الحلقات) وكتابه : الاباضية بين الفرق الاسلامية / محمود اسماعيل ، الحركات السرّية في الاسلام صص 14 ـ 18 / عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية / صالح بن احمد الصوافي ، الامام جابر بن زيد العماني ص 196

يقــول أ/ علــي يحــي معمــر (1915 ـ 1979م) : ((المذهــب الاباضي ليس مذهبا ســريــا وليست اصولــه التــي ينبنــي عليهــا خافيــة او مجهــولــة وليـس اتبـاعــه ممــن يستترون او يختفــون)) (2) وليس المذهب الابـاضـي ســوى (تعــاليــم الاســلام الســامـيــة واصــولــه المستقـاة مـــن نبــعــه الصــافـي كتــاب اللــه وسنــة رسـولــه (ص) الصحيحــة روتـهــا ثقــاة عــدول ذوو عقــول راجحــة) (3) .

امــا النشــأة فتبعــود اسبــابهــا الــى الظــروف السيــاسيــة بالدرجــة الاولــى حينمــا اشتــدت ازمتهــا فــي الثلثيــن الاخيــريــن مــن القرن الاول للهجرة بــالاضــافــة الــى الوضــع الاجتمــاعــي المتنــاقــض (4) ممــا تــولــد

Marcel Mercier, La civilisationurbaine au M'ZAB, p.p14-16 =
Marghoub Belhadj , Le devloppement poltique en Algerie p 14
Aicha Daddi-Addoun , Sociologie et Histoire des Algeri-
-ens Ibadites , p.p: 103-140 / T.Lewicki , Encyclopedie
de L'Islame, nouvelle edition, tom 3, G.P Maisonneuve
et la rouse S.A , Paris,1971/ article: AL'IBADIYYA,p.p
669 - 682 . /

(2) علي يحــي معمر ، الابــاضيــة فــي موكب التــاريخ الحلقــة (1) نشــأة المذهب الابــاضــي ط 1 ، مدا دار الكتــاب العربي مكتبــة وهبــة القاهرة ، 1384هـ 1964م ص 5

(3) عبــد الرحمن بن عمــر بكلــي (1901/10/3م ـ 1986/1/13م) فتــاوى البكــري مط العــربيــة غردايــة الجــزائر 1983 ج1 ص 357 .

(4) ظــهــرت بــوادر التنــاقــض الاجتمــاعــي بتكــون الطبقيــة عنــدمــا تــراكمــت رؤوس الامــوال لــدى الاعيــان فــي قــريــش من نــاحيــة واحتكــار بنــي اميــة لمنــاصــب السلطــة من نــاحيــة اخــرى وذلك فــي عهــد ثــالــث الخلفــاء عثمــان بــن عفــان (رض) . للمزيــد من التوضيــح ، راجــع نشــأة الفكــر السيــاســي واسبــابــه عنـــد المسلميــــن ، فــي مــدخــل هــذا البحــث .

عن ذلك اختلاف امة محمد (ص) حول بعض القضايا في الفقه والسياسة ... وكان ذلك سببا لاجتهاد العلماء من الصحابة والتابعين . ومن ثم تعددت الآراء وتباينت الافكار فكثر الجدل والمناظرات بين العلماء وبالتالي ظهور علم الكلام عند المسلمين. ولمّا صار لكل عالم اتباعه وشيعته، تحزّبت الامة الاسلامية، وصارت فرقا ومذاهب، تدّعي كل فرقة ان الحق الى جانبها وغيرها على ضلال، وانها الوحيدة الناجية من بين الفرق التي إشار اليها الرسول (ص) في حديث الافتراق (5). فبادر الخوارج بتسمية انفسهم بأهل الحق، وكانوا اول فرقة زعمت انها على حق وما سواها على ضلال (6) في الحين الذي بالغت الشيعة وكذا الامويون في تكفير الخوارج واتهامهم بالزيغ والضلال، ونعتوهم بالمارقة واهل الاهواء، (ولم يتورعوا في وضع الاحاديث في ذم الخوارج، كما وضعت احاديث في ذمّ القدرية والمرجئة) (7). وفي هذه الظروف المتوتّرة، لم يكن الصراع الفكري وحيدا في اذكاء نار الفتنة، بل تفاقم الوضع وتحول الخلاف من حرب كلامية الى صراع مسلح، وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفّان (رضي) اول ضحية في هذا الصراع، ثم تطورت الاحداث بعد ذلك، واشتد الخلاف، وتقاتل المسلمون في معركة الجمل (سنة 36هـ/ 657م) وفي وقعة صفين سنة

---

(5) عبد القاهر البغدادي، (ت 429 هـ/ 1037م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ط 5 دار الآفاق الجديدة بيروت 1982، ص 4 ـ 6

(6) محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/ 922م) تاريخ الامم والملوك، مط الحسينية، القاهرة 1336 هـ ج 5، ص 75

(7) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية ش. و. ن. ت، الجزائر 78 ج1، ص 33

(37هـ / 657م) وما حدث بعدهما من فتن وانقسامات .

اما الاباضية كفرقة مستقلة ، مميّزة ، فانها لم تظهر جليا في تلك الظروف ولم تكن آراؤها قد تبلورت نظرا للتغير السريع في مجريات الاحداث ، فلم يستقر الوضع آنذاك بعدا لتنضج الافكار وبالتالي تتميز الفرق عن بعضها ، ولذلك اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ معيّن لظهور الاباضية كفرقة اسلامية ذات استقلال فكري واصول واضحة ، ومبادئ محددة ، ورجال معيّنين .

وفي سبيل تحديد الاصول التاريخية لنشأة الاباضية نورد بعض ما قيل في الموضوع من اجل الخلوص الى رأي واضح في ذلك .

يقول أ/ محمد الشيخ بالحاج (معاصر) : (ان الاصول السياسية للاباضية ظهرت في اجتماع السقيفة (8) وان لم يسموا بذلك الاسم كما تسم بقية الفرق آنذاك بأسمائها) (9) ، ويشاطره الراي د/ عمار طالبي (معاصر) فيرى ان (اصلا من اصول الخوارج ورايا من آرائهم كان موجودا ابّان اجتماع السقيفة) (10) . والمقصود بالاصول السياسية مبدأ الشورى والديموقراطية المتمثلة في حرية اختيار الخليفة ، ومبدأ احقية كل مسلم في الوصول الى هذا المنصب بقطع النظر عن جنسه ولونه وانتمائه الطائفي ، وهذا ما صرّح به ابن عبادة الخزرجي (ت 16هـ / 637م) مع جماعة من الانصار قالوا — في اجتماع السقيفة — بجواز الامامة في غير قريش ، ولعل هذه

---

(8) اجتمع الصحابة (مهاجرون وانصار) اثر وفاة النبي (ص) في سقيفة بني ساعدة سنة 11هـ/ 632م ، للتشاور في شأن خلافة الرسول (ص)

(9) أ/ محمد الشيخ بالحاج ، معاصر ، مقابلة شخصية ، صيف 1984 .

(10) د/ عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية ش.و.ن.ت ، الجزائر 78 ، ص 44

اول مسألة يختلف يختلف حولها المسلمون بعد وفاة الرسول (ص)

اذن فالخلاف سياسي نتج عنه ظهور جماعة تطالب بتطبيق القيم الاسلامية المطلقة كالعدل والمساواة وحرية ابداء الرأي وعدم التمييز بين المؤمنين وهذه المبادئ نفسها تمسكت بها جماعة المحكمة — فيما بعد — وطالبت بتطبيقها كما تبنتها الاباضية والتزمت بها عمليا .

وهل يمكن القول بعد هذا ان جذور نشأة الفكر السياسي عند الاباضية وبالتالي نشأة الاباضية تعود الى ظهور المطالبين بتطبيق هذه المبادئ ؟ . الواقع : انه لا يمكن الفصل بسهولة في هذا الشأن . خاصة والامر يتعلق بظهور فرقة لا يمكن عزلها عن بقية الفرق الاسلامية والمذاهب السياسية . وبما أن الاباضية تزامن ظهورها تاريخيا بظهور الخوارج وترتبط نشأتها بنشأة الخوارج حسبما تؤكده المصادر التاريخية — اباضية كانت او غيرها — فان د/عمار طالبي (معاصر) يرى (ان النزعة الخارجية وان اصل الخوارج نبت في عهد النبي نفسه ومن ثم فهو سابق للثورة على الخليفة عثمان (ت 35هـ/ 656م) رضي الله عنه وعلى معركتي الجمل (36هـ/ 657م) وصفين (37هـ/ 657م) وما لحقهما من فتن)(11)

ومهما كان من الامر فالمسألة تتعلق بظهور الاباضية اما علاقتها بالخوارج فسيأتي تفصيل ذلك في فصل لاحق . واذا عدنا الى ظهور الاباضية وتحديد تاريخ نشأتها فاننا نجد المستشرق تادوز ليوسكي يذكر في دائرة المعارف — اعتمادا — على المؤرخين المعاصرين ان ظهور الاباضية كان سنة 65 هـ

---

(11) م . س ، ص 35

5 ـ 684م عندما انفصل عبد الله بن اباض (12) عن المتارفين الخوارج (13) بمناسبة الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه اهل التوحيد الاخرين) (14)، لكنه يستبعد هذا التحديد ليؤكد ان جذور الاباضية اقدم من ذلك، فهو يلحق تاريخ نشأة هذه الفرقة بظهور جماعة القعدة (15).

اما الامام عبد الوهاب (16) فيعتبر ان وقعة صفين (17) هي الحدث الاول الذي نتج عنه ظهور فرقة الاباضية، الا ان الامام لم يسم هذه الفرقة بالاباضية باعتبار ان التسمية حادثة، يقول في رسالة له الى اهل طرابلس: ((لما اشتد الحرب وارتاب المبطلون وحكموا الحكمين ... اختلفت الامة ... وصار الناس شيعتين ... فاختفى المسلمون بالحق الذي تمسكوا به فاختلفت عليهم كلمة المختلفين، يقاتلونهم على دين الله الحنيف والملة الصادقة)) (18) ويعني الامام بالمسلمين

---

(12) حاول زعماء الخوارج استدراج عبد الله بن اباض للخروج معهم فامتنع واخبرهم انه لا يخرج على قوم يرتفع الآذان من صوامعهم والقرآن من مساجدهم علي يحي معمر، الاباضية، دار العربية، غرداية، 1985، ص35،

(13) للمزيد من التفاصيل حول الخوارج، راجع الفصل الثالث من هذا الباب.

(14) T.LEWICKI, E.I ,article El-Ibadiyya,tom 3,p669

(15) من القعدة جماعة ظهرت في البصرة، في منتصف ق 1هـ/ 7م، من اشد رجالها ابو بلال مرداس بن ادية التميمي.

(16) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثاني ائمة الدولة الرستمية

(17) حول احداث صفين راجع: الحافظ بن كثير، البداية والنهاية ط3، مكتبة المعارف بيروت، لبنان، 1981، ج7، ص ص 273ـ 310.

(18) رسالة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ذكرها لواب بن سلام في كتابه، شرائع الدين (مخ) نسخة الاستاذ الشيخ ناصر المرموري، ص25.

المختفين بالحق ، جماعة المستخدمة (19) كما سميت هذه الجماعة بالخوارج لخروجهم عن علي (رضي) (20) . وهذه تسمية اطلقها عليهم مخالفوهم في الفكرة ومعارضوهم في الرأي سواء من اصحاب علي (رضي) او من اتباع معاوية . وحين نزلوا حروراء(21) سموا بالحرورية وكان عددهم آنذاك حوالي 12 الفا (22) ثم نعتوا بأهل النهروان لما خرجوا من الكوفة الى النهروان (23)

وفي اثناء كل ذلك لم تتميز عن غيرها في شكل فرقة مستقلة بآرائها الا بعد الانفصال الذي حدث بين اهل النهروان ، بعد الهزيمة التي حلت بهم على يد اصحاب علي (رضي) وحينئذ ثار البعض ممن بقوا فعزموا على الانتقام بالعنف بينما فضلت جماعة منهم الالتزام بالهدوء والروية والجنوح الى المسالمة خاصة وانهم يشكلون اقلية ضعيفة

---

(19) سموا بذلك لرفضهم تحكيم علي (رضي) الحكمين ورضاه بما نتج عن ذلك . راجع : عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، ط 2 ، مط الشرقية ، مسقط ، سلطنة عمان ، د.ت ، ص 5

(20) انظر : الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، ط 3 ، مكتبة المعارف بيروت ، لبنان 1981 ، ج7 ص ص 273 ـ 310 . / عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ص 87 . / صالح بن احمد الصوافي : الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة مط وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1983 . /

(21) حروراء قرية بناحية الكوفة .

(22) ابن جرير الطبري ، الامم والملوك ، دار القلم بيروت ، ص 33

(23) صالح بن احمد الصوافي ، الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة ، مط وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان 1983م ، ص 212 ، نقلا عن القلهاتي في الكشف والبيان ، تح د/ سيدة الكاشف ، ج2 ، ص 252 .

لايقدرون على الدفاع عن انفسهم فضلا عن تغيير الوضع .
لذلك قررت هذه الجماعة السفر الى البصرة[24] وبانتقال هذه الجماعة وتمركزها في البصرة اصبحت تشكل فريقا تحول ((من حزب علني معارض الى حزب سري يتطلع الى الوصول الى السلطة)) (25) واقامة دولة اسلامية جمهورية .

وبعد وفاة ابي بلال انتقلت زعامة الفرقة الى عبد الله بن اباض (26) الذي انفصل عن الخوارج (27) سنة 65هـ ومكث بالبصرة مع اصحابه بعد خروج المتطرفين منها .يذكر هذه الحادثة عبد الله بن اباض نفسه (28) ((وهكذا بدأت الفترة الاولى من الاباضية التي يمكن تسميتها بمرحلة الكتمان (29) فيكون اذن مكوث عبد الله بن اباض بالبصرة ومن معه مؤشرا حقيقيا لتبلور الآراء الاباضية وتميزها عن غيرها من المتطرفين الخوارج ، ومن ثم يمكن اعتبار هذه الحادثة من الناحية التاريخية سببا مباشرا لظهور فرقة الاباضية .

---

(24) قررت الجماعة المعتدلة ممن تبقى بعد وقعة النهروان الرحيل الى البصرة تحت زعامة ابي بلال مرداس بن اذية التميمي الذي نصّب اماما للشراة فيما بعد .

(25) عوض محمد خليفات (معاصر) التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان ، سلطنة عمان ، د.ت ، ص 4

(26) كثير من المؤرخين وكتاب المقالات يحسبون ان عبد الله خرج في ايام مروان وانه قتل في معركة تبالة وهو خطأ تاريخي لان عبد الله بن اباض الذي تنسب اليه الاباضية توفي في اواخر ايام عبد الملك ، ونسب اليه المذهب لانه كان اكثر ظهورا في الميدان السياسي عند الدولة الاموية .

(27) هم اتباع نافع بن الازرق - في نظر الاباضية -

(28) في رسالة كتبها الى عبد الملك بن مروان (65 - 86 هـ)

(29) T.Lewicki, E.I , 2[em] edi , tom 3, article: EL-IBADIYYA.P 669

الا انه ينبغي الاشارة الى ان التأسيس الحقيقي للفرقة كان على يد الامام جابر بن زيد الازدي العماني (30) الذي انضم الى جماعة ابي بلال مرداس بن اديّة التميمي بعد مجيئه الى البصرة (31) . فكان لانضمام جابر الى هذه الجماعة اثر بالغ في نشأة الاباضية وتحديد معالم افكارها وآرائها . ولعل اهم شيء يجعل الامام جابر نحو جماعة ابي بلال موقف هولاء من الاوضاع السائدة آنذاك ، حيث يرون ان القتال بين اتباع العقيدة الاسلامية امر لا يقبله العقل ولا الدين . ولذلك آثرت هذه الجماعة الدخول في الكتمان (32) وبناء على هذا الاختيار اجتهد الامام جابر في نشر دعوته سرا حتى لا يتعرّض لكل ما يؤذيه ويبيد اتباعه ، وهذا ما شجع المعتدلين من بقيّة المحكمة بالالتفاف حوله والاستزادة من علمه ، (ولم يلبث ان اصبح رئيس الجماعة والمؤسس الحقيقي للحركة) (33) وحظي الامام بمكانة عالية ، وثقة واسعة في مجتمع البصرة بفضل ثقله العلمي وموقفه الاعتدالي ، كما لعب دورا معتبرا في استمالة الخلفاء الى المذهب ، فقد (اقام اتصالات اخوية مع والي العراق ، الحجاج بن يوسف الثقفي (76 ـ 95 هـ/ 695 ـ 714 م) ودامت العلاقة بين جابر والحجاج في غاية من الثقة والود

---

(30) حول شخصية الامام جابر ، راجع : صالح الصوافي ، الامام جابر بن زيد

(31) عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ص 6 .

(32) حول مفهوم الكتمان راجع : الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا البحث

(33) عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ص 6

انظر كذلك : صالح الصوافي ، الامام جابر بن زيد ص 197 ، وانظر : T. LEWICKI ,E.I , P ,670

المتبادل مدة طويلة) (34) .

وفي الحقيقة ان هذه السياسة التي كان الامام جابر ينتهجها والتي تقوم على مبدأ الاعتدال ، والابتعاد ما امكن عن بؤر التوتر ، وعدم الجهر بالرأي في وجه المخالفين ، فضلا عن استدراج الناس ، والالتجاء الى العنف لاثبات رأي او دفاع عنه . كانت هذه السياسة هي الوسيلة الناجحة للمحافظة على التواجد الاباضي في وسط مفعم بالخلاف ، كثير الفتن ، لا يرحم فيه اصحاب السلطة كل من شذ عن الرأي العام الذي تسيطر عليه الاسرة الاموية آنذاك ـ وكان هذا النوع من التعامل السياسي يفرض على الاباضية ـ ومنظريها بالخصوص ـ الاحتكاك المباشر مع المخالفين واظهار الرضى والود ، لكن ليس على حساب المبادئ الاساسية للمذهب . وتذكر المصادر ان جابرا كان (يشترك مع الخوارج المتطرفين في مناقشات سياسية) (35) وكان عبد الله بن اباض ـ من قبله ـ ينتهج الاسلوب نفسه في سياسة اللين مع الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (65 ـ 86) ، (وقد نجح فعلا في ربط الصلات مع الملك عن طريق المراسلات . . . وقد سجل التاريخ رسالتين لعبد الله بن اباض تدل على العلاقة الودية بينهما) (36) كما كان عبد الله بن اباض صاحب مناظرات كلامية مع الخوارج .

وجملة القول ان ظهور الاباضية ونشأتها تعود جذورها الى التجمع العام لطائفة المحكمة في النهروان سنة 37هـ/ 685م بعد

---

(34) نقلا عن الشماخي في السير ص 74،

(35) م .س، ص 670 ، نقلا عن الشماخي في السير ص 76

(36) م .س، ص 670 ،

الذي حدث في وقعة صفين ، من تحكيم الحكمين ، وقد رفعت هذه الطائفة شعارها (تبات الدنية ولا حكم الا لله) (37) .

اما ظهور الاباضية كفرقة مستقلة بآرائها معينة باتباعها واعلامها ، فكان ذلك تدريجيا ، وفي مراحل استلزمت عقدا من الزمن انتهى باعلان عبد الله بن اباض صراحة رفضه الخروج من البصرة مع المتطرفين من الخوارج وذلك سنة 65هـ فكانت هذه الحادثة الاعلان الرسمي لظهور الاباضية وتميزها عن بقية المذاهب .

ثانيا : اصل التسمية

يحدد الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (38) الصيغة الصحيحة لتسمية اصحاب جابر بن زيد ويقول : الاباضية ــ بكسر الهمزة ــ على انها الاصح (39) الا اننا نجد الاباضية ــ بفتح الهمزة ــ تستعمل عادة في المشرق كما في المغرب ، وقد استعملها البرادي في كتابه الجواهر المنتقاة (40) . ومهما يكن فالتسمية بالاباضية حادثة اطلقها الامويون على اصحاب عبد الله بن اباض نسبة الى ابيه اباض بن تميم اللات بن ثعلبة التميمي ، يقول البرادي عن الاباضية:

---

(37) عبد الله السالمي في هامش كتاب : ان لم تعرف الاباضية للشيخ محمد اطفيش / علي يحي معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ط وهبة ص388 ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة ص 301 / فرحات الجعبيري (مخطوط) نظام العزابة عند الاباضية ص 18 / عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، ص 5 / صالح بن احمد الصوافي ، الامام جابر بن زيد العماني ص 196 / T.LEWICKI , E.I ,P 669

(38) انظر حياة محمد اطفيش في الفصل الرابع من هذا الباب

(39) انظر شيخ محمد اطفيش ، الرسالة الشافية . . . الجزائر د تا ، ص 49 .

(40) T . LEWICKI , E.I , P 669

(امامهم عبد الله ونسبوا الى ابيه اباض، لانه اعرف من عبد الله واشهر منه) (41) . لكن الاباضية لا يعتبرون عبد الله اماما لهم ولا يضعونه في مرتبة الامام جابر بن زيد من حيث العلم والتفقه في الدين ، فعبد الله - اذن - (لم يكن امام مذهب خاص اخذ به اتباعه ، وقلدوه فيه ... فلم يكن هو من الشيوخ المؤسسين للمذهب) (42) . اما عن الداعي الى نسبة المذهب الى عبد الله ابن اباض دون غيره من مشاهير الاباضية ، فلان عبد الله كان مما يقول سالم السيابي (ت 14 ق) : ((اثقل على زعماء اهل الباطل من المعضرة)) (43) ومما حمل الامويين على نسبة المذهب الى عبد الله بن اباض ان الاخير كانت كل مقاصده ((لله وفي الله فكانت له بذلك شهرة اضفت عليه لباس زعامة دينية تبعه عليها اهل الحق فاضيفوا اليه ، وعرفوا به فكان سورهم المنيع من جانب السلطان)) (44) واكثر من ذلك كان عبد الله يمثل همزة وصل بين جماعة الاباضية والسلطة القائمة .

ويمكن القول من ناحية اخرى ان السبب الاول في عدم نسبة المذهب الى مؤسسه الحقيقي الامام الفقيه جابر بن زيد ان الظروف فرضت على جابر ان يعمل في الخفاء ، بعيدا عن اعين المخالفين ، لان اي امر يكشف انتماءه للاباضية وولاءه لجماعة ابي بلال مرداس ، فانه يعرضه - لا محالة - الى خطر يعود عليه

---

(41) ابو القاسم البرادي ، الجواهر المنتقاة ...

(42) سالم بن حمود السيابي ، ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء تحقيق وشرح د/ سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة سجل العرب ، ص 57

(43) سالم بن حمود السيابي ، طلقات المعهد الرياضي ص 77

(44) سالم السيابي ، ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء ص 57

وعلى المذهب بالضرر ، خاصة وان جابرا
يحظى بمكانة محترمة لدى العامل الاموي الحجاج بن يوسف ،
فنظرا لذلك اختار الامام جابر سياسة التاقلم حسب الظروف فهو
ـ من جهة ـ يعمل لارساء اسس المذهب وتوطيد اركانه
سرا عن طريق عقد حلقات دروس لتكوين رجال المذهب الذين
سيتكلفون بنشر المذهب في بلاد الاسلام . ومن ناحية اخرى
لم يكن الامام جابر في معزل عن المجتمع ولم يكن يعيش على
هامش الاحداث ، بل سعى الى ربط اواصر الاخوة الاسلامية مع
ممثل الخليفة في البصرة ، حتى لا يتعرض الى العيون المتربصة .

ومن ثم فان تسمية المذهب بالاباضية لا تعني ان عبد
الله بن اباض هو الزعيم الروحي للمذهب وغيره تابع له ـ كما
يدعي بعض المؤرخين وكتاب المقالات ، ونستدل على ذلك باجماع
المؤرخين الاباضيين (على ان عبد الله بن اباض كان يصدر
في كل اقواله وافعاله عن جابر بن زيد) (45) ، كما كان يفعل
ابو بلال مرداس بن اديه .

ومما يثبت هذا ان التسمية بالاباضية لم يخترعها اتباع
هذه الفرقة بل اطلقها عليهم مخالفوهم (46) فظل الاباضية
يقاومون هذه التسمية ، لكنهم (مع مرور الزمن واصرار مخالفيهم
على تسميتهم بهذا الاسم ، قبلوا به ، خاصة وانهم لم يجدوا
فيه ما يؤذيهم او يسيئ الى سمعتهم) (47) . يقول السيابي

---

(45) عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ص 9
(46) انظر علي يحيي معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، حلقة 1
ص 6 / وكذلك ، سالم السيابي ، ازالة الوعثاء ... ص 49
(47) عوض محمد خليفات ، التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في
مرحلة الكتمان ، وسقط ، سلطنة عمان ، د ت ، ص 5

تاكيدا لذلك : ((وهذه التسمية جاءتنا من مخالفينا فقبلناها غير متبرمين منها ..)) (48) . فالاباضية اذن .. قديما وحديثا .. يجمعون على ان الاسم الحقيقي لمذهبهم ليس الاباضية التسمية المفضلة لديهم هي واهل الاستقامة) (49) او (اهل الدعوة او جماعة المسلمين او اهل الاستقامة والحق) (50) ، ويبدو ان هذه التسميات التي اختارها الاباضية لانفسهم كانت مقصودة يهدف منها تمييز مجموعة خاصة انبثقت من جماعة المحكمة التي تتفق معها الاباضية حول الموقف السياسي الرافض للتحكيم . وبما ان المحكمة انقسمت الى فرق فان الاباضية اختارت لنفسها تسمية اهل الدعوة والاستقامة لامرين :

الاول : لا ينبغي ان تكون التسمية بانتساب جماعة معينة الى شخص معين ، فالاصل في الانتساب ان يكون الدين الذي وحّد الشعوب واذاب الطائفية في امة واحدة هي امة الاسلام ، وعلى هذا يؤكد الاباضية بانهم لا يتمذهبون مذهبا غير الحق (51) حتى اذا جارى الاباضية المؤرخين وانتسبوا الى عبد الله بن اباض واتخذوا لهم اسما كسائر الفرق فلا يعني انهم يقلدون الرجال ويقدسون اقوالهم ، انما امامهم الحق الذي لا يهتدون بغير هديه و لا يقلدون سواه هو محمد بن عبد الله (ص) ليس لغيره حق في الامامة الا بالاسوة الحسنة) (52)

---

(48) سالم السيابي ، ازالة الوعثاء ص 49

(49) نور الدين السالمي في هامش : ان لم تعرف الاباضية لمحمد اطفيش ص 26

(50) عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، ص 5

(51) سالم السيابي ، ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء ، ص 49

(52) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 1 ، ص 6

الثاني : التسمية باهل الاستقامة تشير الى تخصيص جماعة دون غيرها تتميز بالمحافظة على التعاليم الشرعية التي لا تقبل التبديل والتغيير . والالتزام باصول العقيدة الاسلامية ، اذن فنعت الاباضية بهذه الصفة يقتضي وجود فرق اخرى حادت عن سواء السبيل ، ولم تلتزم بالنهج الذي يرتضيه الله تعالى ، او - على الاقل - لا تتفق مع الاباضية حول مسائل تتعلق بالاصول فضلا عن الفروع . وترمي الاباضية من وراء ذلك ان تتميز - خاصة - عن الخوارج الذين احدثوا ما لم يكن من الشرع .

ومهما يكن من امر التسمية فان العبرة بالمبادئ ومدى حرص الرجال بالالتزام بالاصول والعمل باخلاص وفق ما يرتضيه الخالق ، وما كان الايمان يوما بالانتساب والتمني .

ثالثا : الاباضية في المشرق

اذا سجلنا تاريخ نشأة الاباضية بظهور عبد الله بن اباض على الساحة السياسية في البصرة وبالتحديد في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (65 ـ 86هـ) فاننا نستطيع رصد الحركة الاباضية في المشرق انطلاقا من البصرة على يد الامام جابر بن زيد الذي اتبع سياسة عبد الله بن اباض تجاه السلطة فكانت الفترة الاولى من زعامة جابر ذات مردود جيد لصالح الاباضية لدخوله في علاقات سلمية مع الحجاج - امير العراق - (76 ـ 95 هـ) بواسطة زيد بن ابي مسلم - كاتب الحجاج - (53) واستطاع اثناء ذلك ان ينشط في

---

(53) T. LEWICKI, E.I P 670 نقلا عن الشماخي في السير ، ص ص 71ـ74 ، والمبرد في الكامل ص 56

نشر الدعوة سرا ، وفي مامن من مكر السلطة . وانطلق في ذلك اولا قبيلته (ازد) العمانية ، فوجه اليها كل عنايته وبحكم مركزه بين اقاربه فانه لم يتلق صعوبة في اقناعهم ، ولدرايته البعيدة بابناء عمومته ، وبهذا انضم اليه عدد وفير كان لهم الفضل في نقل تعاليم المذهب الى اماكن عديدة من الجزيرة العربية .

ومن اسباب نجاح جابر في دعوته ما كان يتمتع به من مكانة علمية ودراية واسعة بعلوم القرآن والحديث حتى ((شهد له الكثير من اهل العلم بالضبط والفطانة والصدق والامانة فنقلوا آثاره في مؤلفاتهم واحتجوا باقواله في احكامهم))(54) وقد تتلمذ عليه مشائخ كثيرين عرفوا فيما بعد بعلماء السنة الامر الذي جعل ياقوت الحموي يعده من ائمة السنة (55) ومن ابرز تلاميذه واكثرهم علما ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة (56) الذي انتهت اليه رآسة المذهب بعد وفاة جابر (57) الذي وطد اركان الدعوة الاباضية حتى (اصبحت حركة سياسية شاملة اجتذبت عناصر من قبائل واجناس متعددة) (58) . فكان على الزعيم الجديد ان يجتهد ما استطاع للمحافظة والدفاع عن المذهب وان يسعى في الوقت نفسه لنشر الدعوة في كل جهة من البلاد الاسلامية ، وكل ذلك من دون اثارة غضب السلطة او التعرض المخالفين بأذى .

---

(54) سالم السيابي ، ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء ، ص 15

(55) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد 2 ، ص 243

(56) حول شخصية الامام ابوعبيدة مسلم راجع سير الشماخي ص 83 وانظر طبقات الدرجيني ج 1 وج2 ، البرادي ، الجواهر المنتقاة

(57) اختلفت الروايات حول تاريخ وفاة الامام جابر ، والغالب بين سنة

وبالفعل ، استطاع ابو عبيدة ان يشكل حكومة سرية تتكون من خيرة المشائخ ورجال العلم منهم : جعفر بن السمان وحمار العبدي ، من الطبقة الثانية (50 ـ 100 هـ) وضمام بن السائب وابو نوح ، من الطبقة الثالثة (100 ـ 150 هـ) .

ومن اجل ضمان استمرارية الدعوة الاباضية في مأمن من الفتن ، وضع ابو عبيدة تنظيما خاصا للمجالس السرية تختلف باختلاف مهامها ومراسيم عملها ، وترتيب طبقاتها ، يمكن ان نصنف هذه المجالس الى ثلاثة انواع (59)

ا ـ المجالس العامة : تضم كل شخص ينتمي الى اهل الدعوة الاباضية ، تعقد هذه المجالس عادة في بيت احد المشائخ او بيوت العجائز ، حيث يطمئن المجتمعون ، ويبتعدون ما امكن عن اماكن الريبة ، وبعيدا عن عيون السلطة . ومهمة هذه المجالس هي نشر الدعوة عن طريق المواعظ والدروس التي يلقيها المشائخ حول عقيدة المذهب وتعاليمه ، وقد يكلف المجتمعون باوامر يجب تنفيذها .

ب ـ مجالس الاعيان : وهي خاصة لعلماء الدعوة وزعمائها يجتمعون في سرية تامّة ويبحثون في شؤون الدعوة ، وقضايا السياسة ودراسة الاوضاع ، ثم يقررون خطة العمل التي يجب الالتزام بها ، وتعتبر هذه المجالس بمثابة الهيئة العليا لحركة

93هـ و96هـ او 103هـ والارجح سنة 93هـ ، راجع البرادي ، الجواهر المنتقاة ص155 / ذواب بن سالم ، شرائع الدين (مخ) ص 35/ سير الشماخي ص 77

(58) عوض خليفات ، التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان ص5

(59) للمزيد من التفاصيل حول تنظيمات المجالس ، راجع عوض محمد خليفات في التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية . . . ص 6 ـ 7 ، وانظر الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، للمؤلف نفسه ، ص 36 ـ 41

سرية تدرس وتخطط وتنظم وتقرر ثم تشرف على تنفيذ التوصيات .

ج ـ مجالس العلم : وهي حلقات للدراسة ، يحضرها طلبة العلم الذين يفدون الى البصرة من جهات مختلفة ، ومن جنسيات متعددة ، يتلقون العلم واصول العقيدة ، ويتدربون على منهجية الدعوة ، وكل ذلك عن الامام ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة .

وكانت تعقد هذه الحلقات في سرداب بناحية البصرة (60) لا يعرفه الاّ رواده من المشائخ والعلماء والدعاة الاباضيين المعروفين بحملة العلم .واستطاع ابو عبيدة ان يجعل من البصرة مركزا لنشر الدعوة الاباضية . فمنها كان (حملة العلم) يتخرجون ويتوزعون في كل انحاء البلاد الاسلامية ، وكان هؤلاء تربطهم بالمركز علاقات قوية ، حتى انه اذا استجد امر واستعصى النظر فيه عادوا بالقضية الى مشائخ البصرة .

ولما توطدت دعائم الحركة واتسعت ميادين نشاطها اقتضى الحال ان يتخذ الامام ابو عبيدة مستشارا له فعيّن حاجب الطائي مساعدا له (فكان مسؤولا عن الشؤون العسكرية والمالية والدعوة خارج البصرة) (61) .

وبفضل السياسة الرشيدة المنبنية على مبدأ اللين والتسامح ـ وفي الوقت نفسه ـ العمل في سرية وجد لارساء دعائم الدعوة ، تمكن

---

(60) انظر : ابو زكريا يحي بن ابي بكر (ت471) كتاب سير الائمة واخبارهم تح : اسماعيل العربي ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1982ص 55/56
الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح : ابراهيم طلاي ج2 ، ص 21 /
الشماخي السير ، ص 142 / علي يحي معمر ، الاباضية في موكب التاريخ حلقة 3 ، ص ص 13 ـ 15 .

(61) عوض خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، ص 41

تمكّن ابو عبيدة ان يكسب ود السلطة ، ويحظى بثقة طيبة لدى الحكام الامويين ، الا ان العلاقة بين السلطة الحاكمة وجماعة الاباضية لم تكن دائما في حالة جيدة ، فكثيرا ما يشوبها الحذر والتخوف من الجانبين ، وخاصة عندما يعين عامل جديد على البصرة ، او يستلم خليفة جديد مقاليد السلطة المركزية ، فيسعى الاباضية مبادرين بارسال الوفود الى السلطة بقصد ايجاد سبل التفاهم والتقارب ، وهذا ما حدث ـ مثلا ـ في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 ـ 101هـ) فقد ارسل اليه ابوعبيدة حينما اعتلى العرش وفدا بقيادة : جعفر بن السماك وسالم الهلالي (الطبقة الثانية 50 ـ 100هـ) وقد تكرر ارسال هذا الوفد لدى الخليفة عمر عندما توفي ولده عبد الملك بن عمر (62) .

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (101 ـ 105هـ) بظهور فرقة متطرفة في الاوساط الاباضية ، تنادي بالثورة ضد الحكم فتصدى لها الجيش الاموي وقضى عليها في معركة العقر سنة 102هـ وقتل فيها يزيد بن المهلب ـ زعيم الثورة ـ (63) . فكانت هذه الحادثة بمثابة نقطة تحول حاسمة في سياسة الحركة الاباضية ، حيث تأثر المهالبة وقادة الازد بما يقع ، فغضب الاباضية على العمال الامويين ، وطالبوا بضرورة الانتقام وتغيير الوضع ، بجعل حد للحكم الاموي وسياسة القمع التي ينتهجها ولاة البصرة .

وامام هذه الاوضاع كان الامام ابو عبيدة يجتهد في تهدئة

---

(62) T.LEWICKI , En ,Is , P 671
نقلا عن الشماخي في السير ص 79ـ80 ، وابي الحسن في السير العمانية ص 111 ، 666 ، 667 .

(63) عوض خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ص 43 ـ 44

الثوار ويدعو الى التريث والتزام الهدوء بل (كان معارضا لاى تصرف مباشر) (64) لتمسكه بمبدأ اللين وكسب الخلفاء الى جانبه ومع كل ذلك وجد الامام نفسه ملزما باعادة النظر في سياسة الحركة ، وشرع في التفكير العميق لايجاد مخرج مناسب يتماشى والتعاليم الاساسية للاباضية ، وبعد (استشارة المشائخ وزعماء المذهب اضطر الى تغيير موقفه خوفا من وقوع انقسام داخل صفوف الاباضية ،علما ان الاغلبية كانوا يطالبون بضرورة الانتقال من مرحلة الكتمان الى مرحلة الظهور (65) . الآ ان ذلك لم يكن بالامر الهيّن ، فالمسألة تتطلب الكثير من التعقل والاستعداد البعيد ، خاصة وان الامام ابو عبيدة يرى ان القضية يتوقف عليها مصير الحركة الاباضية ، فهو يعتبر جيدا بما آلت اليه الحركات الخارجية المتطرفة من تشريد وابادة ،وبناء على ذلك تبنى وجهة نظر معقولة ، تضمن له تحقيق دولة اباضية في حالة الظهور وبأقل كلفة ، وتتلخص نظريته فيما يلي :

1 - لا يمكن (ان يخرج الاباضية من البصرة لاقامة امامة مستقلة في ضاحية من ضواحي البصرة كما فعل نافع بن الازرق واتباعه)(66) لان ذلك يؤدي الى صراع مع السلطة الحاكمة ،وامكانيات الاباضية غير كافية لرد العدو والدفاع عن النفس .

2 - يستحسن البدء - اولا - باقامة حكومة مؤقتة سريّة داخل البصرة تتولى تنظيم الحركة الاباضية داخل وخارج العراق

---

(64) T . LEWICKI ? En.IS , P 670

(65) م.س، ص 671 ، نقلا عن الشماخي في السير ص 83

(66) م.س ، ص 671

ومن مهامها الاساسية تكوين الدعاة تكوينا دينيا واجتماعيا وسياسيا ثم تكليفهم لاقامة دول اباضية في جهات مختلفة من الوطن الاسلامي ، كبداية لاقامة امامة اباضية شاملة على انقاض الدولة الاموية .

وبفضل هذه السياسة ، خرجت الحركة الاباضية من البصرة لتنتشر في ارجاء العلم الاسلامي ، فوصلت الى الكوفة والموصل وبقية انحاء العراق ، ودخلت مكة والمدينة ووسط الحجاز ثم اتجهت نحو الجنوب لتستقر في اليمن وحضرموت . وفي عمان وجدت الدعوة الاباضية تربة صالحة لتنمو تزدهر ، الامر الذي اتاح لعمان ان يلعب دورا هاما في تاريخ الاباضية حتى قيل : ((بدأ العلم بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار الى عمان))
(67) وهذا ما اكده التاريخ ، حيث اصبحت الديار العمانية المركز الروحي للاشعاع الاباضي خاصة بعد انتقال مشائخ البصرة اليها كما يعود الفضل الى عمان في انتقال الاباضية نحو الهند والصين عبر جزيرة ابن كموان (كيشم) (68) . كما انتشرت الدعوة كذلك في خراسان بالفرس عن طريق حملات الحلم التي وجهها ابو عبيدة الى تلك المناطق .

وعلى غرار انتشار الاباضية جنوبا وشرقا فقد واصلت سيرها نحو المغرب عن طريق مصر التي اصبحت هي الاخرى مركزا مهما للدعوة الاباضية .

---

(67) نور الدين السالمي ، اللمع ، ص 183

(68) توجد بالقرب من سواحل كيرمان مقابل راس ماسندام انظر:

رابعا : الاباضية في المغرب

يقول الامام عبد الرحمن بن رستم (69) : ((اول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بالقيروان - افريقيا - سلامة بن سعد (70) قدم قدم علينا من ارض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس (ت 107هـ) ... فسلامة يدعوا الى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية)) (71) ويبدو ان مجيء هذين الرجلين الى المغرب كان بدافع نشر الدعوة ، ولا يكون ذلك الا ضمن خطة مدروسة وضعها الامام ابوعبيدة فقد كان يرسل (بعض الدعاة لاستطلاع احوال الناس في المغرب ومعرفة اتجاهاتهم ودراسة عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم ومقدار تطورهم الفكري والحضاري ودرجة ولائهم للسلطنة الحاكمة)(72) ليسهل على الامام اختيار الاشخاص الذين يستطيعون تحمّل اعباء الدعوة وسياسة الرعية ، وتنفيذ احكام الله بالعدل ، وتحقيق المساواة بين الناس دون اعتبار للنسب او الجنس او اللون ، فوقع المأمول ونجح سلمة بن سعد في مهمته بايجاده ارضا بكرا وشعبا مطواعا فنالت دعوته اقبالا واسعا ((ولم يكد يمضي على دخوله الى المغرب عشرون سنة حتى تكونت جماعة معتبرة من الاباضيين في طرابلس يتزعمها رجل يدعى : عبد الله بن مسعود التجيبي (73) الذي آزرته

---

(69) مؤسس الدولة الرستمية في تيهرت سنة 160هـ ، انظر الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب جـ1 ص 21/ تاريخ ابي زكريا تح اسماعيل العربي ص71

(70) شيخ من البصرة اشتهر في مطلع ق 2هـ بالقيروان

(71) الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب جـ 1 ص 11/ الشماخي ، السير ص 98

(72) عوض خليفات ، التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية ، ص 7

(73) اسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب سير الائمة واخبارهم لابي زكريا يحيى بن ابي بكر ط 2 ، دار الغرب الاسلامي بيروت ص16

قبيلة هوارة التي اعتنقت المذهب الاباضي ثم تبعتها قبيلة زناتة في شرق طرابلس ، ونفوسة في الجبل ـ الذى يحمل الى اليوم اسم جبل نفوسة ـ وبفضل هذه القبائل البربرية انتشر المذهب الاباضي في شمال افريقيا .

وبعد مقتل عبد الله بن مسعود التجيبي على يد عامل طرابلس (74) اجتمع اهل الحق والاستقامة ((لمّا انسوا من انفسهم القوة والمنعة وانتخبوا الامام الحارث الكندى (75) ... فقام بالامر وساس البلاد خير سياسة (...) فكان اول امام بويع بالمغرب هذا الامام)) (76) لكن بعض الدارسين المعاصرين (77) يرون ان الزعامة كانت مشتركة بين الحارث وصاحبه عبد الجبار بن قيس المرادى ووقع بينهما خلاف حول الحكم حتى انتهى بهما الامر الى القتال فطعن احدهما الاخر .

---

(74) م . س ، ص 16 ، نقلا عن ابن الحكيم ، فتوح مصر ض 224

(75) ويدعى الحارث بن تليد الحضرمي ، وجد قتيلا مع صاحبه عبد الجبار بن قيس المرادى وسيف احدهما في رقبة الآخر سنة 131 او 132هـ ، وحول هذه المسألة نشأ خلاف فقهي ـ عقيدى تنبني اشكاليته على الولاية المعينة هل تنتقل الى الوقوف ام لا ؟ واليقين هل يدفعه الشك او لا يدفعه الاّ اليقين ، راجع طبقات الدرجيني ، تح ابراهيم طلاى ، مط البعث قسنطينة الجزائر دتا ج 1 ص ص24 ـ 25 .

(76) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش في هامش كتاب الوضع لابي زكريا يحي بن ابي الخير ، مط الفجالة الجديدة ، القاهرة دتا . ص 8 .

(77) اسماعيل العربي في مقدمة كتاب سير الائمة واخبارهم لابي زكريا ص 16 وانظر كذلك : T . Lewicki , EN.Is . P. 677

Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadisme et de sa theologie . O.P.U. Alger.1984, F.P293-294 .

لكن المصادر الاباضية تنفي هذا القول ، وتؤكد ان الامامة كانت للحارث بينما تولى عبد الجبار مهمة القضاء (78) اما قصة مرتهما فهي مسألة غامضة لم يستطع المؤرخون الوصول الى معرفة الحقيقة وتفسير ما حدث . لكن يغلب على ظن الاباضية ان العملية كانت من تدبير الاعداء لاثارة الخلاف بين اتباع المذهب وتفكيك وحدتهم (79) . وهذا ما يؤكده ابن خلدون في تاريخه ، ويذكر ان مقتل الحارث وعبد الجبار كان على يد عبد الرحمن بن حبيب(80) الذى زحف اليهما سنة 131هـ واوعب في قتل البربر (81) .

وبعد موت الحارث وعبد الجبار تولى اسماعيل بن زياد النفوسي الذى مات بعد ولايته مباشرة سنة 132هـ ، وبموته انتهت الدولة الاباضية الاولى في طرابلس ، غير ان السكان تمسكوا بالتعاليم الاباضية وحافظوا على اصول المذهب .

وفي هذه الاثناء كانت البعثة العلمية على وشك الرجوع من المشرق ، اما عن هذه البعثة فتتكون من خمسة رجال اختيروا للسفر الى البصرة والالتحاق بمعهد ابي عبيدة . ومما يلاحظ في هذه الجماعة انها لم تكن خاصة لقبيلة دون اخرى ، او جنس دون غيره بل تضم عناصر مختلفة تجمع بين العربي والبربرى والفارسي ، كيف لا ؟ والاسلام اذاب هذه العناصر في امة واحدة قائدها الرسول (ص) ودستورها القرآن والسنة . واعضاء الجماعة هم علي التزالي : ابو درار اسماعيل بن درار الغدامسي (من ليبيا - حاليا -) وابو درار القبلي النفزاوى (من مدينة نفزاوة جنوب تونس) وعاصم السدراتي (من سدراتة بالقرب من وارجلان

(78) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، في تقديمه لكتاب الوضع لابي زكريا ، ص 8

(79) م . س ، الصفحة نفسها ، وانظر : الدرجيني ، الطبقات ، ج 1 ص 24

(80) عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن عامل جعفر بن المنصور في افريقيا

جنوب الجزائر ، وعبد الرحمن بن رستم (اصله فارسي اقام في القيروان)
واخيرا ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافيري (عربي من اليمن)
اتصل هؤلاء بالامام ابي عبيدة ، ومكثوا في حضرته اعواما عديدة يتلقون
العلم واصول العقيدة ومنهج الدعوة ، وبعد استكمالهم الدراسة
امرهم الامام بالعودة الى وطنهم واصدر لهم تعليمات بتكوين امامة
اباضية مستقلة في طرابلس .

وهنالك في المغرب اجتهد اعضاء البعثة في تبليغ امانة
الدعوة ، فعملوا كل ما في وسعهم لتحقيق اهدافهم ونشر مبادئهم
وقد ركزوا في ذلك ـ خصوصا ـ على ((المبادئ العامة البسيطة
التي يفهمها عامة الناس ... مثل المساواة في الحقوق والواجبات بين
المسلمين ، واحقية كل مسلم في الوصول الى اعلى مراتب
السلطة ،على ان هذا الامر ليس مقصورا على قريش ولا على العرب
واعلنوا انهم سيطبقون العدل والحق ... ولقيت هذه الشعارات تجاوبا
سريعا لدى البربر الذين اشتكوا طويلا من ظلم الولاة ومن فقدان
العدل والمساواة مع اقرانهم من العرب المسلمين)) (82) وكانت النتيجة
ان تكللت مجهودات هؤلاء الدعاة باعلانهم الدخول في مرحلة الظهور
فاسّسوا امامة مستقلة رئيسها ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح
الذي اخذ زمام الامور بجد ، حتى تمكن الاباضية بقيادته
الاستيلاء على مدينة طرابلس بانقلاب ابيض ، لم تسل فيه
قطرة دم ، ثم واصل ابو الخطاب في توسيع رقعة نفوذه لتشمل
جزيرة جربة ، ومدينة القيروان التي كانت تحت سلطة الصفرية

= قتله عبد الملك بن جعفر سنة 140 هـ .

(81) ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر .. جـ6 ، ص 223

(82) عوض خليفات ، التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية ، ص 9

من قبيلة ورفجومة ، وبهذا تكونت دولة اباضية كبرى شملت ليبيا وتونس وشرق الجزائر (83) الا ان القدر لم يكتب لهذه الدولة ان تعيش اكثر من اربع سنين ، فقد تصدى لها الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور (95هـ ـ 158هـ) (84) وبعث بجيش للقضاء عليها تحت قيادة محمد بن الاشعث (85) الذي تقابل مع ابي الخطاب واصحابه (بموضع يقال له " تورغا " قرب مدينة طرابلس) (86) ، وهنالك استشهد ابو الخطاب ومن معه من اصحابه ، ولما بلغ الخبر عبد الرحمن بن رستم (87) وهو في طريقه بمدد من الرجال الى ابي الخطاب ـ تفرق من معه فتوجه برفقة ابنه عبد الوهاب الى بلاد المغرب الاوسط ، وهناك اعتصم مع من اجتمع حوله من قبائل البربر بجبل " سوفجج " بالقرب من مدينة تاهرت (88) ولمّا كانت سنة 160هـ اجتمع اعيان القبائل الاباضية بعد ان قويت شوكتهم وانسوا من انفسهم القوة والطاقة (فارادوا التولية فنظروا في عامة القبائل فوجدوا في كل قبيلة راسا او راسين كل

---

(83) للمزيد من التفاصيل حول نشأة الدولة الخطابية راجع : الدرجيني طبقات المشائخ ج1 ص 24 / ابو زكريا ، سير الائمة واخبارهم تح اسماعيل العربي ، ص ص 57 ـ 65 / الشماخي ، كتاب السير ، ص 131 / وانظر -AICHA DADDI-ADDOUN ,Sociologe et histoire des Algeriens Ibadites, Im, El-Arabia . Ghardaîa, 1977, P 103 /-T.Lewicki E.I.P:675 /-Gerard Dangel L'Imamat Ibadite de Tahert P:37 /-

(84) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عباس ، اشتهر بحبه للفلسفة والعلم الفقهية والآداب ، نقل عاصمة العباسيين الى بغداد ، راجع الكامل لابن اثير ج5 ص172

(85) محمد بن الاشعث الخزاعي ، اكبر قواد العباسيين في عهد ابي جعفر المنصور . ت 148هـ في غزوة الروم ، راجع سيرته في الكامل للمبرد ج5 ، ص 317 .

(86) ابو زكريا يحي ، كتاب سير الائمة واخبارهم ، تح اسماعيل العربي ص 82

يصلحون للامارة فاشتوروا فيما بينهم ... فاتفق رايهم جميعا على توليـة عبد الرحمن بن رستم ومبايعتـه ، فبايعـوه على الامامـة ...) (89) ، وكانـوا قـد شرعـوا فـي بنـاء تـاهرت ليتخذوهـا عاصمـة لدولتهم (90) وبالفعـل اصبحـت مركـزا مهمـا للنشـاط الاباضـي فـي شمال افريقـيـا حتـى (سمّيت بـام العسكـر) (91) .

ازدهرت الحياة واستقـرت الاوضاع فـي عهد الرستميّيـن ، (وبلـغ المذهـب الاباضـي اوج عظمتـه العلميـة والسيـاسيـة حيث كـان اساسا لحضـارة لم يشهد لها المغرب الاوسط مثيـلا لهـا من قبـل) (92) غيـر ان الاحداث تغيـرت فدخلت الدولـة الرستميـة فـي طورها الثـانـي ، ولـم يكـن بـاحسن ممـا يريـده الابـاضيـة . فقـد ظهرت فيـه بوادر الضعف والانقسـام ، خـاصـة بعد احتـلال الاغالبـة الشريـط الفاصـل بيـن

(87) كـان عبد الرحمن بن رستم حينئذ عامل ابي الخطاب في القيـروان .

(88) يذكر الدرجيني في الطبقات ج1 ان الامام عبد الرحمن بن رستم لما تحصّـن بجبل سوفجج لحقه هناك ستون شيخا من شيوخ الاباضية من طرابلـس

(89) ابو زكريا ، سير الائمة واخبارهم ، تح اسماعيل العربي ، ص ص 82 ـ 83

(90) يذكر ابن خلدون ان عبد الرحمن بن رستم بويع بالخلافة سنة 144هـ ثم شرع في بناء مدينة تاهرت لينصب عليها كرسي الامارة مراجع ابن خلدون كتاب العبر ج6 ص247 وهذا خلافا لما اوردته المصادر الاباضية التي تؤكد ان عبد الرحمن بويع سنة 160او162 هـ وبعـد ان تم بناء تاهرت ، فتأمّـل ؟

(91) تاريخ ابي زكريا ، تح اسماعيل العربـي ، ص 84 .

(92) اسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب تاريخ ابي زكريا ، ص 19 . والمزيـد من التفاصيل حول تاريخ الدولة الرستمية راجع : تاريخ ابي الربيع الوسياني/ ابن الصغير ، تاريخ الائمة الرستميين / الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغـرب ج1 ص21 وما بعدها / لواب بن سلام ، شرائع الدين مخ / باحاز ، الدولة الرستمية -T.Lewicki , E.I. PP:675-676 . /- Gerard Dangel , L'Imamt Ibadite de Tahert;P:37 /-Aicha Dadi-Addoun , Sociologie et histoir des Algeriens Ibadites. PP: 113-140 .

طرابلس وتيهرت سنة 224هـ . وما احدثه النكار (93) والواصلية (94) من شقاق وتمرد على السلطة ، بالاضافة الى تحركات القبائل المعارضة للنظام ، ومطالبة العمال بالاستقلال عن السلطة المركزية، وما نتج عن الخلاف العقائدي من نزاع وصراع ، كل ذلك ساهم في اضعاف الدولة وفقد الائمة القوة على التحكم في الاوضاع ، ثم كانت معركة "مانو" سنة 283هـ بمثابة الضربة القاضية للنظام الرستمي ، فلم تستطع تيهرت سنة 296هـ/ 909م ان تقوى على رد الاعداء فسقطت امام جيوش ابي عبد الله الشيعي ، وفر ابو يوسف يعقوب - آخر الائمة الرستميين - مع افراد اسرته واعيان دولته الى سدراته قرب وارجلان ، وهناك حاول الاباضية تاسيس دولة جديدة ، لكن الظروف لم تكن مناسبة ولم تتحقق هذه الامنية من ذلك التاريخ . وبهذا دخل الاباضية في مرحلة الكتمان ، من جديد ، وهي الوسيلة الفضلى للمحافظة على كيانهم ، وبلوغ الاهداف العليا والمتمثلة في نشر الدعوة - ولو سرا - وتحقيق الوحدة بين اتباع المذهب ، وتخفيف حدة التوتّر بينهم وبين مخالفيهم من السنيين والشيعة ، ولاجل ذلك اعتمد الاباضية على امرين في طور الكتمان .

---

(93) النكار او النكارية ، جماعة انكرت امامة عبد الوهاب سنة 171هـ يتزعمها يزيد بن فنديين

(94) الواصلية ، اتباع واصل بن عطاء الغزال ، راس المعتزلة ، ابعده الحسن البصري عن مجلسه لما علم موقفه من مرتكب الكبيرة ، وعنوان الفاسق من هذه الامة لا هو مؤمن ولا هو كافر ، فجعل الفسق بين منزلتي الكفر والايمان راجع: عبد القاهر البغدادي (ت429هـ) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم تح لجنة احياء التراث العربي ط5 دار الافاق بيروت، 1982م

اولا : تنظيم هيئة خاصة بمثابة السلطة ، تقوم مقام الامام او الخليفة ، في مرحلة الظهور ، وتتكون هذه الهيئة من العلماء واعيان القبائل تشرف على هيئات اخرى تفرعت عنها تدعى بمجالس العزابة (95) وتتواجد هذه الاخيرة في كل تجمّع للاباضية واليها يرجع النظر في كل الامور التي تخصّ الاباضية سواء في الحياة الدينية او الاجتماعية . ولا يزال هذا التنظيم قائما على سوقه ، معمولا به لدى اباضية الجزائر في واد ميزاب . وقد اهتدى الاباضية الى وضع هذا التنظيم في بداية القرن الخامس الهجري على يد الشيخ ابي عبد الله محمد ابن بكر (96) .

ثانيا : الابتعاد ـ ما امكن ـ عن مواطن المخالفين والالتجاء الى الاماكن النائية التي يقل ارتيادها ، فالاباضية يعتقدون انه بانزوائهم بعيدا عن اعين الاعداء يستطيعون حفظ مذهبهم وكيانهم ، وتحقيق وحدتهم وتماسك جماعتهم . فاعتمادا على ذلك شرع قسم من الاباضية يغادرون وارجلان و" واد ريغ" ليستقروا في وادي ميزاب حيث اسسوا هنالك مدنا في ظروف طبيعية قاسية ، ولا يزالون في تلك المناطق الى اليوم .

اما اباضية طرابلس فقد التجأوا الى جبل نفوسة ومدينة زوارة الواقعة على الشاطئ الغربي لليبيا ، وقسم آخر منهم

---

(95) حول العزابة راجع : (الكتمان في الفصل الثاني من الباب الثاني)
(96) عاش في القرن 5 هـ ، اخذ العلم عن شيخه ابي نوح سعيد بن زنغيل التنطراري ، وانتهت اليه مشيخة الاباضية بواد ريغ واليه يعود الفضل في انتشار المذهب الاباضي في واد ميزاب ، في اوائل ق 5هـ / 11م .

استقر في جزيرة جربة التونسية ، (97) حيث لا يزالون الى اليوم .

وتجدر الاشارة ونحن في صدد الحديث عن الاباضية في المغرب ، الى دور هذه الفرقة الاسلامية واسهامها في نشر الاسلام بين اهالي السودان (98) عن طريق التجارة ، وقد شهدت الفترة الرستمية بشكل خاص نموا خاصا في نمو العلاقات الاقتصادية بين الاباضية والبلدان المتاخمة للدولة الرستمية جنوبا . فقد عين الامام افلح بن عبد الوهاب (205 ـ 258هـ) سفيرا له في بلاط ملك غانة او " قاو" (99) ، كما تشير المصادر الاباضية الى ان عددا من التجار الاباضيين ينتقلون بين الجريد وغانة خلال القرن الرابع والخامس الهجرى (100) ، وهذا مما يؤكد اسهام الاباضية في خدمة الاسلام بشمال افريقيا .

---

(97) - T.Lewicki E.I. P:677

(98) يعني بالسودان جنوب الجزائر ، وتشمل موريطانيا والنيجر ومالي والسينغال وغانا وفولتا العليا .

(99) - T.Lewicki , E.I. P:678 .

(100) م . س . ص 678

الفصل الثاني

الاصول العقيدية للمذهب الاباضي

اولا : الاصول التسعة

1 ـ التوحيد
2 ـ العدل
3 ـ القضاء والقدر
4 ـ الولاية والبراءة
5 ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
6 ـ الوعد والوعيد
7 ـ المنزلة بين المنزلتين
8 ـ لا منزلة بين المنزلتين
9 ـ الاسماء والاحكام
(مفهوم الايمان والاسلام والدين)

ثانيا : بعض المسائل الخلافية

1 ـ نفي الرؤية
2 ـ مسألة الخلود
3 ـ خلق القرآن
4 ـ حكم الاباضية على مخالفيهم ومن احدث في الدين
5 ـ رأى الاباضية في الصحابة

لا يختلف اثنان في ان الاباضية فرقة اسلامية لا تحيد أصولها العقيدية عن النبع الصافي للشريعة الاسلامية الكتاب والسنة • لكن الخلاف قد يبقى حول بعض الاراء في المسائل الخلافية بين المذاهب • فيكثر الجدل حول هذه الاراء من حيث صحتها اوفسادها ، ومن حيث قربها او بعدها عن اصول العقيدة الاسلامية •

وحيث ان الفرق انما يتميز بعضها عن بعض بما تحددها من اراء اجتهادية تختلف باختلاف وجهات النظر لدى كل فرقة ، فانه من تمام التعريف بالمذهب الاباضي يحسن بنا ان نعرض اراء هذه الفرقة في المسائل الالهية والانسانية ، معتمدين على ما توفر لدينا من مصادر (1)

---

(1) الربيع بن حبيب بن عمر الازدى البصرى (ت170هـ) ، الجامع الصحيح ، نا دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ، ومكتبة الاستقامة ، مسقط عمان ، مط العمومية دمشق ، 1 رمضان 1388هـ ، جـ1 ص19 ـ 20 ، جـ3 ص26 ـ 29 / ابو زكريا يحيى بن الخير الجناوى ، الوضع ، ص11 ـ 16 / تبغورين بن عيسى الملوشائي ، نخبة المتين من اصول تبغورين ، ضمن كتب مختارة ، مط العربية ، غارداية ، د •تا •ص175 ـ 200 • اسماعيل الجيطالي (ابوطاهر) (ت750هـ) ، قواعد الاسلام ، تح ، مر ، ش• بكلي عبد الرحمن ، ط1 ، مط العربية غارداية ، افريل 1976م جـ1 ص31 ـ 34 / ابوعمار عبد الكافي (ق 6 هـ) الموجز ، تح د • عمار طالبي ، ش• و•ن •ت •الجزائر 1978م ،جـ1 ص429ـ430 / جـ2 ص91 ـ 92 ، ص104 ـ 106 ، ص116 ـ 117 / عبد الله بن حميد السالمي

اولا = الاصول التسعة

اجتمع علماء الاباضية (2) على ان المسائل التي وقع عليها اختلاف الناس تسعة، وهي التوحيد، والعدل والقضاء والقدر، والولاية والبراءة، والامر والنهي، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، وان لا منزلة بين المنزلتين، والاسماء والاحكام، تلك هي الموضوعات التي اثارت الجدل والمناظرات بين المتكلمين وكتاب المقالات. ولما حدد الاباضية موقفهم منها واتضحت آراؤهم حولها غدت اصولا للعقيدة الاباضية كما تحددت عقيدة المعتزلة باصولها الخمسة على ان الخلاف بين الاباضية والمعتزلة لم يكن حادا حول هذه الاصول حتى ان الباحثين في الفلسفة الاسلامية اثبتوا توافقا في الاراء بين الاباضية والمعتزلة، منها نفي الصفات عن الله تعالى،

= (ت 1914) مشارق انوار العقول ج2 تح، احمد بن حمد الخليلي، ط2 مسقط.عمان 1978م، ص 175، 198، 295 / عمر بن جميع ابو حفص، مقدمة التوحيد وشروحها، القاهرة 1353هـ، ص 21 ـ 26 احمد بن سعيد الدرجيني (ابو العباس ت670هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مط البعث، قسنطينة د.تا. ج2 ص 246 / محمد بن يوسف اطفيش (ت1914م) الذهب الخالص، تح وتع ابو اسحاق ابراهيم اطفيش، مط البعث، قسنطينة، 1980م، ص 22 ـ 26 / علي يحيى معمر (ت 1979م) الاباضية في موكب التاريخ حلقة 1 ص 68 ـ 92 / بكلي عبد الرحمن، فتاوى البكري ج 1 و 2 .

وخلق القرآن ، ونفي الرؤية (3) (كما تقترب العقائد الاباضية وآراؤهم السياسية والدينية بصفة عامة في كثير من المسائل الهامة بعقائد اهل السنة) (4) .

1 - التوحيد

وهو افراد المعبود بالعبادة ، والتصديق بوحدانية الخالق ذاتا وصفاتا وافعالا ، والاقرار بوجوب وجود واجد الموجودات ، وهو الله الذى لا اله الا هو ، فلا غيره بالله (متعال عن صفات المخلوقات فلا اول له ولا آخر ، وهو شيء لا كالاشياء) (5) لان اوليته سابقة لكل شيء مخلوق وآخريته باقية بعد فناء كل مخلوق ، فسبق الله لا بداية له وبقاء الله لا نهاية له ، فالازلية لله وحده لان ما سواه مخلوق والمخلوق موجود بعد عدم حيث لا زمان ولا مكان لان العدم انتفاء الشيء اصلا الا الله وكذا الابدية لله وحده لان كل شيء هالك الا وجهه ، وهلاك

---

(2) من اباضية المغرب = ش عامر بن علي الشماخي ، (792/1390م) ش تبغورين بن عيسى الملوشائي (ق 6هـ) ، ش عمر التلاتي (   ) ش عبد العزيز الثميني (ق 19م) .

(3) راجع = د . عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، جـ 1 ص 140 .

(4) Lewitcki . T . E.I

(5) ش . محمد بن يوسف اطفيش ، الذهب الخالص ، مط السلفية القاهرة 1343م ص 7 .

الشيء هو فناء الموجود بعد الوجود وهو حال العدم حيث كون الله ولا شيء .

واعتبارا بهذا فلا يصح التوحيد الا بافراد الخالق عن المخلوق في (ذاته واقواله وافعاله واحكامه وعبادته وصنفاته وسائر كمالاته) (6) فلو تشابه مع الخلق ـ كما تزعم المشبهة ـ في اقل قليل لدخل عليه العجز منه ولاحتاج الى ما احتاجوا ، (فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى . ولا تقبل ذاته الانقسام و لا تشبه صفاته الصفات ، ولا يدخل افعاله الاشراك فان الفعل له سبحانه خلقا وان ينسب الى غيره كسبا) (7)

واهم مبحث في التوحيد هو صفات الله تعالى ، وقد كان موضوع خلاف كبير بين المتكلمين ، اما الاباضية فالصفات عندهم ثلاثة انواع =

ا ـ صفات واجبة لله = كالوجود والازلية والابدية والحياة والعلم .

ب ـ صفات مستحيلة على الله كالحدوث والعدم والفناء والجهل والعجز ، ومشابهة الاجسام المخلوقة .

---

(6) شرعمر بن رمضان الثلاتي ، نخبة المتين من اصول تبغورين ، ضمن كتاب تحت عنوان " كتب مختارة " ، مط العربية غارداية د .تا . ص 175 .

(7) . نور الدين السالمي ، مشارق انوار العقول ، ط2 ، مط العقيدة ، عمان 1978 ص 150 .

جـ ـ صفات جائزة لله ، يوصف بها حين يفعلها ، ولا يوصف بها اذا لم يفعلها لجواز فعلها او تركها .

وتنقسم الصفات الواجبة الى قسمين = ذاتية وفعلية اما صفات الفعل فانها (تجامع ضدها في الوجود عند اختلاف المحل) (8) ومثاله ان يهب الله للواحد ذكرا وللآخر انثى ، او ان يعطي العلم لفلان ويخلق الجهل للآخر ، وصفات الافعال قديمة ازلية كصفات الذات فيوصف الله بانه خالق في الازل باعتبار ما سيخلق ، وانه لم يزل عالما بما كان قبل ان يكون . اما صفات الذات كالعلم والقدرة والارادة فانها لا تجامع ضدها في الوجود ولو اختلف المحل ، فلا يقال قدر الله على فعل شيء وعجز عن فعل شيء . وصفات الذات امور اعتبارية لا وجود لها في ذاتها ولا في ذاته تعالى وانما المقصود بها نفي اضدادها المستحيلة في حق الله تعالى فوصف الله بالعلم نفي الجهل عنه بينما الصفات عند الاشاعرة هي (معاني بالاضافة قائمة بذاته تعالى زائدة عليها) (9) فهي عند الاشعري حقيقة ازلية لكنها ليست كصفات البشر

---

(8) نور الدين السالمي مشارق انوار العقول ، ص 173 .

(9) ش . عمر بن رمضان الثلاثي ، نخبة المتين من اصول تبغورين ص 178 .

وهي عند الحشوية والمشبهة حقيقة ثابتة شبيهة بصفات الانسان ، اما الاباضية فترى ان الصفات هي عين الذات (10) والمراد بهذا ان ذاته تعالى كافية في الانكشاف والتخصيص والتاثير والاستلزام ، فكون الله عالما بذاته يعني ان ذاته منكشف لها جميع المعلومات انكشافا تاما من غير قيام صفة قديمة مقتضية لذلك الانكشاف ، فالله غني عن كل معنى قديم زائد عليه قائم به للانكشاف .

وكون الله في كل مكان انما بالحفظ والقدرة ، وكونه في الاشياء ومعها على معنى العلم بها والاحاطة لها بالزيادة وبالنقصان لا على الحلول والتمكن (11) واستواء الله على العرش وعلى كل شيء غير معقول (12) لقصر عقل الانسان عن ادراك ذات الله وصفاته ، ويقتضي هذا ان يؤول العرش بالسلطان واليد بالقدرة والوجه بالوجود وهذا مذهب المعتزلة في التاويل وانكارهم لزيادة الصفات عن الذات يوافقهم في ذلك

---

(10) راجع صالح الصوافي ، الامام جابر بن زيد ، ص 234 ، 235 .

(11) عبد العزيز الثميني ، معالم الدين في الفلسفة واصول الدين (مخطوط) ورقة 353 .

(12) شرح علي بن عامر الشماخي ، متن الديانات ، ضمن كتب مختارة ص 47 .

الاباضية (وهو عين ما حققه السيد الجرجاني في شرح المواقف) (13) خلافا للمشبهة والحشوية المتمسكين بظاهر النص،فاثبتوا حلول الله على العرش،وجلوسه على الكرسي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

2 ـ العدل

اجمع المسلمون على ان الله عدل لا ينسب اليه الجور ولا يوصف به ، سواء في احكامه او افعاله (14) وانما الخلاف بين المتكلمين يتركز حول الحرية الانسانية وهي مرتبطة بالعدل الالهي هل الانسان حر في تصرفاته اى خالق لافعاله ؟ ام ان الخلق لله ولا طاقة للعبد في اختيار ما يريده ؟ اختلف الخوارج حول هذا فافترقت الرافضة الى اربع فرق (15) في القول بالاستطاعة ، ومن الخوارج من بالغ في مسالة العدل الالهي حتى زعموا ان الله لا يقدر ان يظلم (فكان الله عدل محض،لا يوصف بالقدرة على الظلم فضلا عن ان يصدر عنه او ان يخلقه) (16) ويفسر صاحب متن

(13) عبد العزيز الثميني ، النور ، شرح القصيدة النونية ص105

(14) عامر بن علي الشماخي ، متن الديانات ص47 ،ابو زكريا يحيى بن ابي الخير الجناوى ، كتاب الوضع ، نشر وتعليق ابراهيم اطفيش،ط1 ، مط الفجالة القاهرة د • تا • ص 22 •

(15) ابو الحسن الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، تحقيق محمد محي الدين ط2 دار الحداثة 85 ،ج1 ص 111 •

(16) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ،ش•و•ن •ت• ، الجزائر 1978م ج1 ص 153

الديانات ، ش: عامر بن علي الشماخي (ت792هـ) ، قوله تعالى (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون) (17) بان الله لا يؤاخذ الناس بما لم يكتسبوه من عمل كما لا يعذبهم على ما لم يقترفوه من فعل (18) ما دام الله لا يجبر احدا على فعل خلافا للمجبرة (19) التي زعمت ان الله اجبر الناس على افعالهم التي زجرهم عنها ثم عذبهم عليها (20) وليس الجهمية وحدهم يقولون بالجبر فالخوارج ايضا منهم من يقول بذلك وقد ذكر ابن حزم الاندلسي ان طائفة من الازارقة ترى رأي الجهم بن صفوان (21) اما الاباضية فيدينون بان الافعال خلق لله تعالى وهي في ذات الوقت كسب للانسان وبهذا تتأكد حرية العبد وقدرته على الاختيار من دون ان يتعارض ذلك مع مشيئة الله وارادته في

---

(17) سورة يونس ، الآية 44

(18) عامر بن علي الشماخي ، متن الديانات ، ص 47 .

(19) اصحاب جهم بن صفوان ، الذي قال بالاجبار والاضطرار الى الاعمال ، وانكر الاستطاعة كلها ... وقال لا فعل ولا عمل لاحد غير الله تعالى عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 199 ، ويقال لهم الجبرية او المجبرة لقولهم بالجبر ، اي ان الانسان مسير لا مخير في جميع افعاله

(20) ابو زكريا يحيى ، كتاب الوضع ص 22

(21) ابن حزم الاندلسي ، الفصل في الملل والنحل ، ج3 ص 22 .

(22) [illegible]

الخلق الذى يتفرد به دون غيره ، اما الاستطاعة هي التخلية ، وان الاستطاعة لا تبقى وقتين ، وهي كل شيء غير استطاعة ضده (22) فالاستطاعة على فعل يستوجب استطاعة على عدم فعل الشيء ، هذا راى الاباضية اما الرافضة من الشيعة فترى ان الاستطاعة قبل الفعل وليس معه وهي الصحة وبها يستطيع المستطيع نكل صحيح مستطيع . (23) كما اختلفت الزيدية من الشيعة (24) في الاستطاعة فمنهم من يزعم ان الاستطاعة مع الفعل والامر قبل الفعل ومنهم من يرى ان الاستطاعة قبل الفعل وهي مع الفعل مشغولة بالفعل في حال الفعل (25) وجملة القول في العدل انه وضع الاشياء في مواضعها واعطاء كل ذى حق حقه وتنزيل كل شخص منزلته (26) وان الله عدل في جميع احكامه وافعاله وانه ليس بظلام للعبيد .

---

(22) ابو الحسن الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، جـ 1 ، صـ 174 .

(23) ابو الحسن الاشعرى مقالات الاسلاميين ، جـ 1 ، صـ 112 .

(24) اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، كان المرجئة لا يفضلون احدا على زيد بن علي فهو امامهم وصاحب الفضيلة على من سواه ، للمزيد من التفاصيل حول الزيدية ، انظر = مروج الذهب للمسعودى ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ 3 ، صـ 218 ، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد جـ 1 ، صـ 315 ، وانظر ابن الاثير في تاريخه الكامل ، مط بولاق جـ 5 ، صـ 90 .

3 ـ القضاء والقدر

كل شيء بقضاء الله وقدره ، فالقضاء هو ارادة الله الأزلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه ، فارادته لا حدود لها في الازل وعليه فان كل شيء داخل تحت قضائه تعالى لان قضاءه سابق للاشياء ، والقدر هو علم الله بمقادير الاشياء وازمانها قبل ايجادها (27) يوجد ما سبق في علمه ان يوجد ، فكل حادث صادر عن علمه وقدرته وارادته ، وهذا لا يتعارض مع ارادة العبد في اختيار اعماله ، فافعال العبد مكتسبة له مخلوقة لله ، وحيث ان الله خالق لكل شيء وعالم بكل شيء ومريد كل شيء ، فان القدر خيره وشره من الله ، فنقضت القدرية (28) قولهم بزعمهم ان الله تعالى لم يخلق افعالهم القبيحة لان الله لا يصدر منه ما لا يرضى (29) لقوله تعالى = " والله خلقكم وما تعملون " ويستدل الشيخ محمد اطفيش (ت 1914م) على ذلك بحديث للرسول (ص) يقول

(25) ابو الحسن الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ج1 ، ص 140 .

(26) شرح عمر التلاتي ، شرح متن الديانات ضمن كتب مختارة ، مط العربية غارداية ، د تا ، ص 52 .

(27) المرجع السابق ص 52 .

(28) القدرية من المعتزلة اصحاب واصل بن عطاء (ت 131هـ) ، سموا بالقدرية لاجماعهم على ان العباد يفعلون افعالهم با لقدرة التي خلقها الله

فيه = " الامور كلها خيرها وشرها من الله تعالى " (30)

وفي حديث عن ابي هريرة قال = قال رسول الله (ص) = " اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره فاذا مضى امره رد اليهم عقولهم ووقعت الندامة ." (31)

4 - الولاية والبراءة

الولاية هي القرب والمحبة والولاء والرضى وهي (القيام للغير بالامر والنصر ، والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال ...) وشرعا الترحم والاستغفار للمؤمنين لاسلامهم وطاعتهم والثناء عليهم مع الحب في القلب) (32) ، والولاية واجبة على المسلمين فمن انكرها ولم يوال جملة المسلمين فقد اشرك وقيل منافق من تركها او جهلها . والبراءة لغة = البعد الشيء والتخلص منه ، فهي واجبة ايضا على المؤمنين بان يظهروا البغض وعدم الرضى للكافر لكفره بل وشتمه ولعنه فواجب عند الاباضية براءة الاشخاص

= فيهم ، وزعم منهم ان القدرة فعل الجسم القادر بها وليست من فعل الله تعالى ، عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 96 .

(29) ابو زكريا يحيى بن ابي الخير الجناوي ، كتاب الوضع ، ص 22 .

(30) رواه الطبراني في الاوسط ، ذكره ش. محمد اطفيش في جامع الشمل في حديث خاتم الرسل طبع حجري بخط اليد في 436 ص ، جاء في نهاية الكتاب = قد تم طبع هذا الكتاب باعانة الملك الوهاب في غرة شهر الله

لوجود علة براءة الجملة وهي فعل الكبيرة او الاصرار على الصغيرة وكل مظاهر الشرك والكفر ، لقول عمر رضي الله عنه " من رأينا فيه شرا تبرأنا منه " (33) ووجوب ولاية الجملة وبراءة الجملة لا يعني ولاية كل الناس او البراءة منهم جميعا فيمن فعل اشرك . (واصل الولاية الموافقة في الحق ، فالمتوافقان فيه متواليان ولو لم يعلم احدهما بالآخر ، او تبرأ منه بظاهر الحال والبراءة بالعكس) (34) ، وبين الولاية والبراءة توجد حالة الوقوف ، وهي واجبة فيمن لم يعلم عنه شيء عن حاله ولم يظهر منه موجب الولاية ولا موجب البراءة لقوله تعالى = " ولا تقف ما ليس لك به علم " (35) وقوله (ص) = " قف عما لا تعلم " (36) وقد يجب ابقاء الشخص على ما هو عليه من وقوف او براءة او ولاية ، اذا فعل ما لم يعلم حكمه . وولاية الله لاوليائه رضاه عنهم ، وعلمه بما يستوجبون من ثواب وتوفيقهم

- المبارك ذى الحجة الحرام سنة الف وثلاثمائة واربعة ، على ذمة المطبعة البارونية ، مصر ، (1 ذو الحجة 1304 هـ) ص 252 .

(31) المصدر السابق ص 251 ، رواه الديلمي عن انس .

(32) ش. محمد اطفيش ، الذهب الخالص ، ص 32 .

(33) المصدر السابق ، ص 45 .

(34) المصدر السابق ، ص 42 .

(35) سورة الاسراء ، الاية 36 .

لطاعته وتنعيمهم ، وعداوته لاعدائه سخطه عليهم وعلمه بما يستوجبون من العقاب ، وخذلانهم وعدم توفيقه لهم على الطاعة ، وتعذيبه لهم ، (وولاية الله وعداوته لا تتغيران بتغير الازمان ولا تتقلبان بتقلب الاحوال) (37) كما يزعم النكار (38) والشيعة (39) فالسعيد في ولاية الله ولو في حال معصيته والشقي في براءته ولو في حال وفائه (40) ، فالله قد سبق في علمه (ما كان وما يكون وما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون) (41) بالنسبة لتعلق علم الله بالمعدوم ، فهو على علم بمستقبل اطفال المشركين قبل وجودهم ، ولذلك يدين الاباضية بالوقوف في اطفال المنافقين والمشركين ،خلافا للصفرية من الخوارج والازارقة والنجدية حين استباحوا قتل الاطفال تبعا لآبائهم .

---

(36) المصدر السابق ، ص 58 .

(37) ش. عامر بن علي الشماخي متن الديانات ضمن كتب مختارة ص 48 .

(38) فرقة تفرعت عن الاباضية في زمن الدولة الرستمية وانقرضت ، انكرت امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي ، فاصل افتراقهم سياسي ، ومن اسماء هذه الفرقة = النكاث ، واليزيدية والنجوية .

(39) يقولون بتقلب ولاية الله وعداوته ، وهذا القول مستمد من اليهود ، وهم يقولون بان الله تعالى تبدو له البدوات ، ابراهيم اطفيش في هامش كتاب الوضع ، ص 22 .

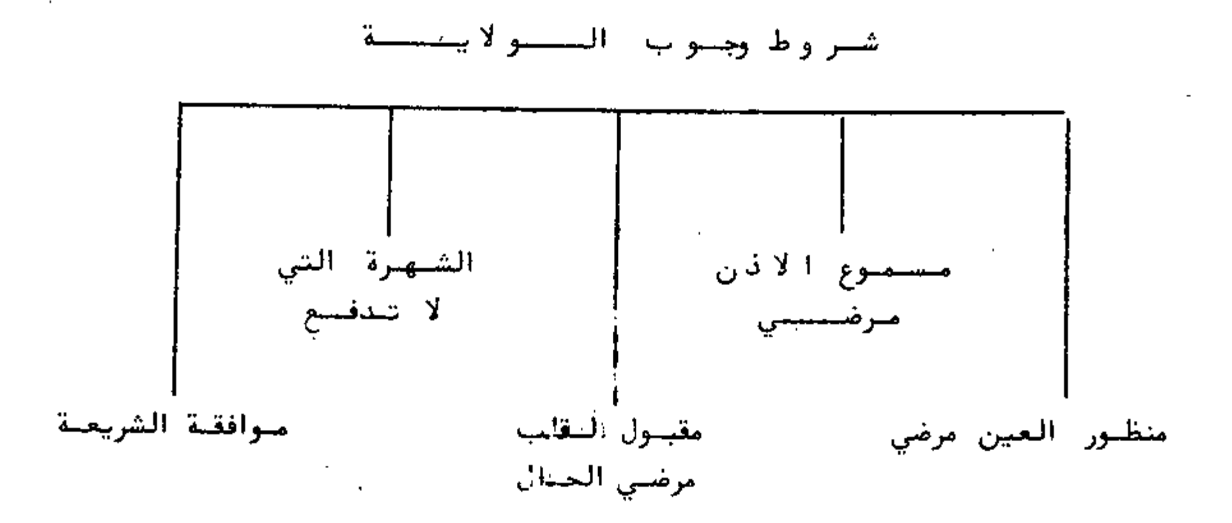
ولعل الولاية والبراءة من الاصول التي درسها الاباضية بعمق وانفردت عما سواها من الفرق بالقول بولاية الشخص وبراءة الشخص بحكم الظاهر ، ولذلك نجد دراسات مستفيضة لفقهاء الاباضية وعلمائها (42) حول مسالة الولاية والبراءة والوقوف ، ففصلوا القول في شروط الولاية والبراءة ووجوبها ، وبينوا بشكل دقيق الجهات التي تتم بها كل من الولاية المشخصية والبراءة الشخصية ، كما حددوا بدقة من تجب فيه الولاية والبراءة سواء في الجملة او الشخص ، وتجدر الاشارة الى ان اهتمام الاباضية بهذا الجانب لم ينحصر في نطاق الاجتهاد الفقهي والنظر العقلي فحسب وانما تعداه الى الميدان العملي والتطبيق الفعلي فتجسدت هذه الاراء والاحكام في واقع الحياة اليومية داخل المجتمعات الاباضية .

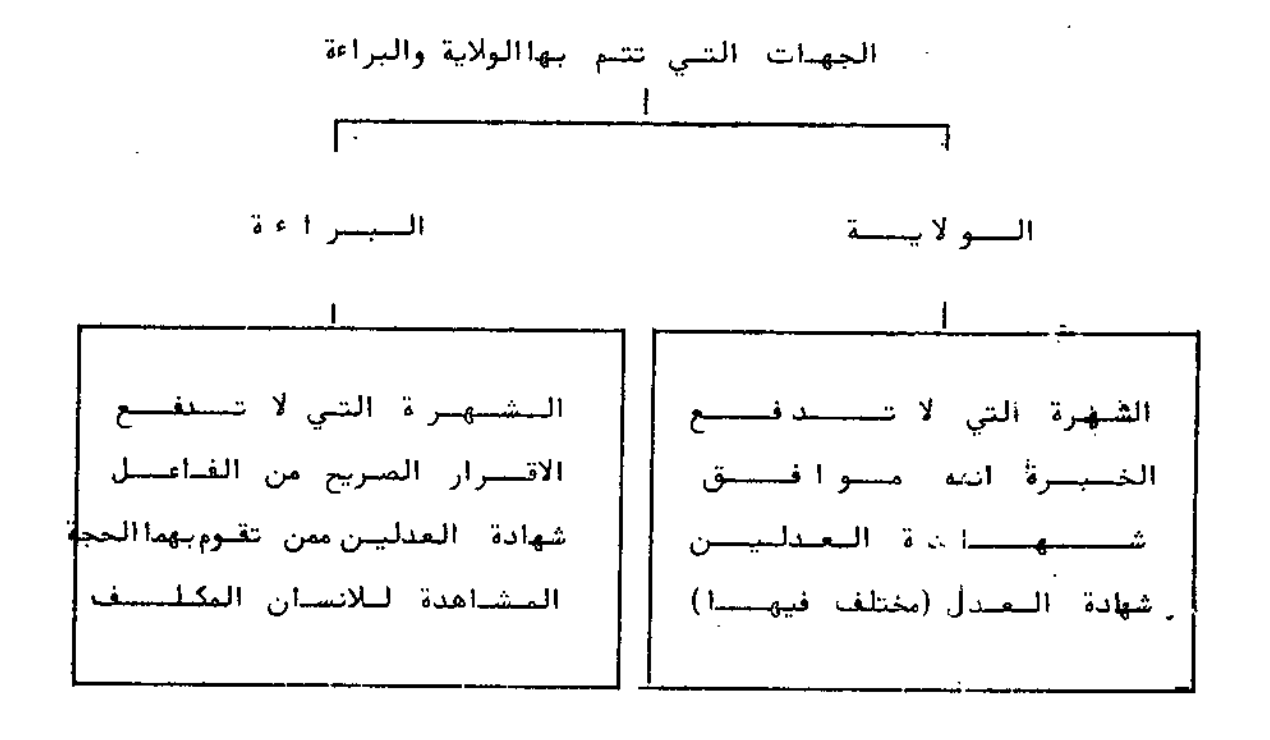
ويمكن توضيح اصل الولاية والبراءة وبيان شروطها والجهات التي تتم بها وفيمن تجب فيه بواسطة الجداول التوضيحية التالية (43) .

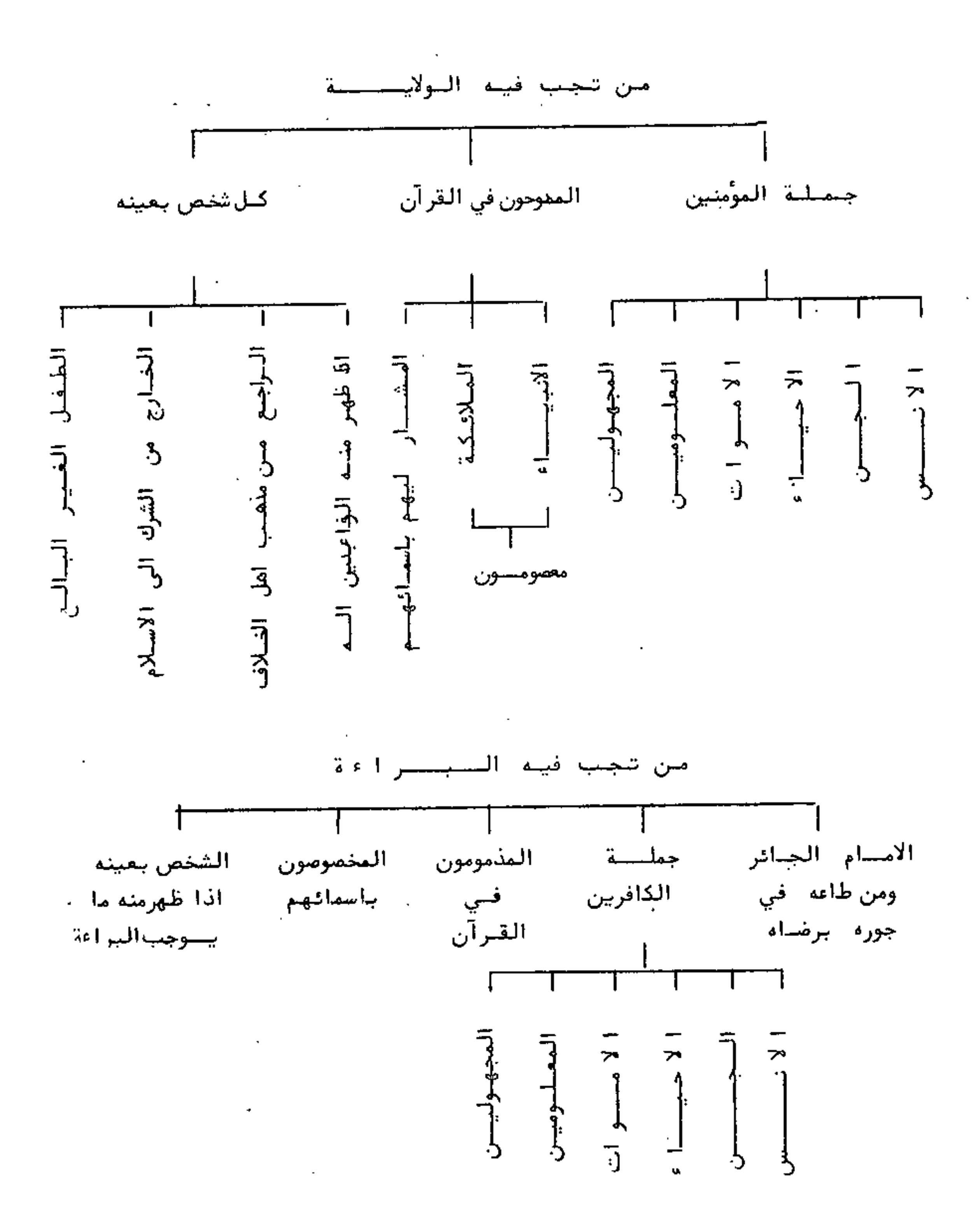
(40) ش، محمد اطفيش ، الذهب الخالص ، ص 54 .

(41) ابو زكريا يحيى بن ابي الخير الجناوى ، كتاب الوضع ، ص 22 .

(42) منهم عمر بن جميع ، مقدمة التوحيد وشروحها ، ابو طاهر اسماعيل الجيطالي قواعد الاسلام ، ابو زكريا يحيى ، كتاب الوضع ، ش، عبد العزيز الثميني معالم الدين في الفلسفة واصول الدين (مخطوط) ، نو الدين السالمي مشارق انوار العقول ، ش، محمد اطفيش = شرح تبغورين (مخطوط) ،=


شروط وجوب الولاية
الشهرة التي لا تدفع
مسموع الاذن مرضي
موافقة الشريعة
مقبول القلب مرضي الحال
منظور العين مرضي


الجهات التي تتم بها الولاية والبراءة
البراءة
الولاية
الشهرة التي لا تدفع
الاقرار الصريح من الفاعل
شهادة العدلين ممن تقوم بهما الحجة
المشاهدة للانسان المكلف
الشهرة التي لا تدفع
الخبرة انه موافق
شهادة العدلين
شهادة العدل (مختلف فيها)


من تجب فيه الولاية
جملة المؤمنين
الممدوحون في القرآن
كل شخص بعينه
الانس
الجن
الاحياء
الاموات
المعلومين
المجهولين
الانبياء
الملائكة
معصومون
المشار اليهم باسمائهم
اذا ظهر منه الوفاء عليهن اليه
الراجع من مذهب اهل الخلاف
الخارج من الشرك الى الاسلام
الطفل الغير البالغ
من تجب فيه البراءة
الامام الجائر ومن طاعه في جوره برضاه
جملة الكافرين
المذمومون في القرآن
المخصوصون باسمائهم
الشخص بعينه اذا ظهرمنه ما يوجب البراءة
الانس
الجن
الاحياء
الاموات
المعلومين
المجهولين

5 ـ الامر والنهي

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم في كل زمان ومكان على قدر الاستطاعة ، ويتجسد هذا الاصل اذا قوى الروح الاسلامي في السلوك الانساني ضمن علاقاته الاجتماعية ، لان الكافر بدين الله لا تقوى عزيمته على فعل الخير والنصح لصالح المجتمع وفي سبيل الله ، فمتى كانت علاقة العبد بربه مرضية فياتمر باوامر الخالق وينتهي بنواهيه فان ذلك ينعكس على سلوك الانسان وعلاقته بينه وبين نفسه ثم يتجاوز ذلك الى العلاقة بينه وبين غيره ممن يعيش في محيطه ، فمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاصول الاجتماعية والاخلاقية التي حظيت بعناية خاصة لدى الاباضية وحرصوا على تطبيقه في حياتهم الاجتماعية ، ونجد الاهتمام نفسه عند المعتزلة حيث (اجمعت على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الامكان والقدرة ، باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك) (44) ، وعلى وجوب الامر بالمعروف

= الذهب الخالص ....

(43) استخلصنا مادة الجداول من المصادر التالية = ابوزكريا = كتاب الوضع ص 32 ـ 34 . أسماعيل الجيطالي = قواعد الاسلام ج 1 ص 45 ـ 83 .

والنهي عن المنكر يبني الاباضية حكمهم على وجوب الامامة لان المسلمين لا تستقيم امورهم الا بتعيين سلطان يتولى امرهم وينفذ حكم الله بالعدل بين الناس ، وقد ورد في ذلك نصوص كثيرة تحث على ضرورة نصب الامام ، وتحرض الناس على الامتثال لاوامر الله ورسوله واولي الامر ، ووجوب الطاعة لهم •

6 ـ الوعد والوعيد

وهما من اختصاص الله تعالى ، وقد اتفق الموحدون على ان الله صادق في وعده ووعيده ، الا المرجئة زعمت ان الله لا يخلف وعده وقد يخالف وعيده (45) ، واكراما منه ورحمة واشفاقا على عباده •

ووعد الله هو اخباره تعالى عباده الصالحين بالخير وتبشيرهم اياه بالثواب في الاخرة كما في قوله تعالى = " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا " (46) أما الوعيد فهو

- الشيخ اطفيش ، الذهب الخالص ص ص 32 ـ 57 • نور الدين عبد الله ابن حميد السالمي ، مشارق انوار العقول ، علق عليه وصححه احمد بن حمد الخليلي ، ص ص 336 ـ 355 •

(44) ابو الحسن الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، جـ1 ، ص 311 •

(45) ابو زكريا يحيى بن ابي الخير الجناوى ، كتاب الوضع ، ص 23 •

(46) الكهف ، الآية 107 •

الاخبار بالشر والعقاب لاعداء الله من مشركين وكافرين ومنافقين في الاخرة ، كما في قوله تعالى " ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البريئة " (47) فمصير اهل الوعد هو الخلود في الجنة ومصير اهل الوعيد هو الخلود في النار ، والجنة والنار دائمتان لا تفنيان ، وكل من الثواب والعقاب في الاخرة مغاير للثواب والعقاب في الدنيا ، (48) وحيث ان الله صادق في وعده ووعيده (49) فانه منفذ حكمه على المؤمن والكافر كما وعد واوعد فلا يمكن تصور خلف الله لاقواله ، لان المسالة تتعلق بالعدل الالهي في افعاله والصدق الالهي في اخباره ، وعدله يقتضي اثابة المطيع وعقاب العاصي وصدقه يقتضي عدم خلفه لاقواله وكلام الله لا تبديل له ولا تحويل لقوله تعالى = " ان الله لا يخلف الميعاد (50) وحكم الله لا معقب له لانه ثابت لا يتغير ، فلو حدث ذلك لكان الله قد تراجع عن احكامه ، وهذا مستحيل

---

(47) البينة ، الاية 6، .

(48) عامر بن علي الشماخي ، متن الديانات ، ضمن كتب مختارة ، ص 49 .

(49) عبد العزيز الثميني ، معالم الدين (مخطوط) ورقة 355 ، عامر بن علي الشماخي ، متن الديانات ، ص 48 ، ابو زكريا ، الوضع ، ص 23 .

(50) آل عمران ، الآية 9 .

على الله ، بدليل النصوص الصريحة في ذلك ، اما عن آيات الرحمة والعفو فهي فوق العدل ، وهي خاصة للتائبين والمستغفرين والنادمين على معاصيهم لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

7 - المنزلة بين المنزلتين

قد لا يكون العبد مؤمنا ، كما لا يكون مشركا في ذات الوقت ، فهو في منزلة بين قطبين متناقضين هما الايمان والشرك وهذه المنزلة هي النفاق (51) ، وهذه المنازل الثلاث يستحيل الجمع بينها ، (فالمتصف بواحدة منها لا يوصف بالاخرى) (52) وقد فرق الله بينها في قوله تعالى = " ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات " (53) ، فالمنافق ليس بمشرك لانه موحد وليس بمؤمن لانه عاص لقوله (ص) لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .

(51) النفاق هو الاعتقاد والاقرار ثم الخيانة في العمل ، وقد بينه رسول الله (ص) بقوله = " ثلاث من كن فيه فهو منافق ولو صلى وصام وزعم انه مسلم ، من اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان " .

(52) معالم الدين في الفلسفة واصول الدين ، عبد العزيز الثميني (مخطوط) ورقة 355 .

(53) الاحزاب ، الآية 73 .

وهذا خلافا للاشعرية التي تعتبر ان ظاهرة النفاق عرفت في زمن النبي (ص) فقط ولا وجود لها بعد ذلك والذى يظهر الايمان ويبطن الشرك يعتبر عندهم مشركا ، بينما الاباضية يرون ان النفاق متوقف على الفعل لا على الاعتقاد ، وزعمت المرجئة (54) ان لا منزلة بين منزلة الشرك والايمان وجعلوا الايمان كله توحيدا ، وجعلوا الكفر كله شركا (55) .

8 - لا منزلة بين المنزلتين

الايمان والكفر (56) ضدان لا يجتمعان كالحركة والسكون ، والحياة والموت ، فلا يعقل ان يكون العبد مؤمنا وكافرا في وقت واحد ، فهو اما مؤمن او كافر ولا منزلة بين الكفر والايمان ، كما انه لا توجد منزلة بين التوحيد والشرك فاما ان يكون العبد موحدا واما ان يكون مشركا ، ان وحد وعصى فهو موحد لا مشرك كافر لا مؤمن ، ليس له حالة ثالثة لقوله تعالى = " هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " (57)

(54) المرجئة ثلاثة اصناف ، صنف منهم جمعوا بين الارجاء في الايمان وبين القدر على مذاهب المعتزلة ، فهؤلاء مرجئة قدرية ، وصنف قالوا بالارجاء والجبر على مذهب جهم فهم معدودون في الجهمية ، والصنف الثالث منهم مرجئة خالصة عن القدر والجبر ، وسموا بالمرجئة لتاخيرهم العمل على الايمان ، وقيل لانهم تركوا القطع على عقاب من لم يتب عن كبيرة حتى ، البغدادي ، كتاب الملل والنحل ، ص 139 .

وقوله تعالى = " اما شاكرا واما كفورا " (58) هذا ما أجتمع عليه الاباضية على غير مذهب المعتزلة حين جعلوا الفسق منزلة بين الايمان والكفر (فقالوا انه كالابلق لا يسمى لما به من السواد ابيض ولا يسمى لما به من البياض اسود) (59) وبهذا تنفرد الاباضية بالقول بان لا منزلة بين المنزلتين خلافا للاشاعرة فاصل الخلاف اذا حول مصير صاحب الكبيرة ، فقالت الاشعرية = انه مؤمن بتوحيده لكنه فاسق بكبيرته وحيث انه مؤمن فثوابه الجنة ولو عصى ، اى انه لا يخلد في النار ، اما واصل (ت 131هـ) (60) فلم يرض بهذا واعتبر صاحب الكبيرة فاسقا ووضعه في منزلة بين الايمان والكفر ، واستتبع هذا بالحكم على الفاسق بالتابيد في النار ان لم يتب على قول الاباضية ، الا ان الاباضية اوجبوا له الخلود لانه كافر غير تائب بينما المعتزلة اخرجوه من الكفر

(55) ابو زكريا يحيى بن ابي الخير الجناوى ، كتاب الوضع ، ص 24 .

(56) الكفر هنا كفر نعمة لا كفر جحود وشرك ، وهذا مصطلح اباضي خاص .

(57) التغابن ، الاية 2 .

(58) البلد ، الاية 10 .

(59) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، مكتبة وهبة ، ط 1 القاهرة 1976م ، ص 315 ، نقلا عن ش . تبغورين بن داود بن عيسى

(60) واصل بن عطاء الغزال الابلع كان في اول امره مع الاشاعرة لكنه اعتزل عنهم بقوله بالمنزلة بين المنزلتين ، فسمي اتباعه بالمعتزلة .

(وقالوا لم نسمه مؤمنا لان هذا من اسماء المدح) (61) وليس بكافر لانه موحد ، وفيه بعض الايمان ، وصاحب طاعات كثيرة • وقالت الازارقة من الخوارج انه مشرك كافر •

9- الاسماء والاحكام

وهذا اصل يختص به الاباضية دون غيرهم ، قالوا به حين عدم الاتفاق بين المتكلمين وكتاب المقالات وفقهاء الفرق حول [illegible] المناسبة على مسمياتها ووصف الموصوفات باوصافها الحقيقية واطلاق الاحكام الصحيحة على ما تستحق تلك الاحكام ، ويقصد بالاسماء الالفاظ والصفات التي تطلق على العبد وقد تدل هذه [illegible] المعاني الحسنة كالمؤمن والمتقي والصالح والموحد ••• وقد تدل على المعاني القبيحة كالكافر والفاسق والمشرك ، اما الاحكام فهي (الامور المحكوم بها على العباد كالولاية والبراءة والسبي ، والقتل ، والجزية •••) (62) وسائر احكام الله سواء حسنة كالثواب بالنعيم في الجنة اوقبيحة كالجزاء بالعقاب والخلود في النار • واكثر اختلاف الفرق انما جاء من

(61) عبد القاهر البغدادي (ابو منصور) الملل والنحل ، تح د • البير نصر نادر ، ط2 ، دار المشرق بيروت 1970م ، ص83 •

(62) شرح عمر التلاتي ، شرح متن الديانات لعامر الشماخي ، ضمن كتب مختارة ص 53 •

قبيل الاسماء وتحديد ما نسميه بالمصطلحات ، فتجد عدة معاني وتاويلات للاسم الواحد ، وهذا الاختلاف في تحديد معنى الاسم ينتج عنه اختلاف حول الحكم الذى ينطبق عليه .

ومن اجل ذلك اجتهد الاباضية في تحديد المصطلحات وحرصوا على تحرى الدقة في تفسير معاني الاسماء وانطلاقا من ذلك وضعوا القاعدة الاساسية ، وهي (ان الاسماء تابعة للاحكام) (63) فاحكام الموحدين - مثلا - ليست كاحكام المشركين ، والعكس صحيح لان الموحد والمشرك اسمان مختلفان لمسميين مختلفين تمام الاختلاف ، واختلافهما في الاسم يقتضي اختلافهما في الحكم ،وقد يبدو هذا واضحا ومقبولا -عقليا - لكنه لم يسلم من اختلاف المتكلمين حوله ، فقد زعم عيسى بن عمير ، واحمد بن الحسين ان اهل الكتاب ليسوا بمشركين واعتبراهم موحدين ، ولزم عن ذلك استحلالهما منهم ما يحل من المشركين ، وتحريمهما منهم ما يحرم من المشركين . واذا كان الخلاف حول حقيقة الشرك والتوحيد امرا واقعا فان الاختلاف حول

(63) ش . عامر بن علي الشماخي ، متن الديانات ، ص 49
ابو زكريا . ، كتاب الوضع ، ص 25 ، ش . عبد العزيز الثميني ، معالم الدين (مخطوط) ورقة 353 .

بقية الاسماء امرلا مناص منه و ذلك انهم اختلفوا في الطاعة والايمان والمعصية والكفر ، فقال بعضهم ان الطاعة والايمان كلاهما توحيد ، والمعصية والكفر كلاهما شرك ، وقال بعضهم - الايمان كله توحيد ، والطاعة منها توحيد وغير توحيد ، والكفر كله شرك ، والمعصية منها شرك وغير شرك ، وقال بعضهم - الطاعة كل ما قارنه الامر من توحيد اوغيره ، والايمان كل ما قارنه الثواب من توحيد اوغيره ، والمعصية كل ما قارنه النهي من شرك اوغيره ، والكفر كل ما قارنه العقاب من شرك اوغيره ، وهذا القول الاخير هوقول الاباضية (64) وعلى هذا يكون التوحيد هوكل ما قارنه الافراد وترك المساواة ، والشرك ما قارنه التساوى ووصف الخالق بصفة المخلوق ، والنفاق ما قارنه الخلف والكذب وكتمان الشيء مع اظهار خلافه .

مفهوم الايمان والاسلام والدين

حقيقة الايمان عند الاباضية هو التصديق بما يجب التصديق به شرعا من نحو وجود الله وكمالاته وبعث رسله ورسالة محمد وحقيقة ما جاء به من عند الله ، واللفظ بالشهادة شطر الايمان لا شرط في كماله

(64) ابو زكرياء يحيى بن ابي الخير الجناوى ، كتاب الوضع ، ص 25 .

حيث لا يكتمل الايمان الا بالعمل الصالح بالطاعة والعبادة
والاسلام لغة الخضوع والانقياد وفي الشرع اعمال الجوارح
والقلب بجميع المامورات (65) وهو مركب من قول وعمل
فلا يوصف العبد بالاسلام الا اذا اقر بالتوحيد وعمل الفرائض .
والدين ما امر الله به عباده ان يطيعوه به من كل
قول وعمل وهي العبادات المعتبرة .(66) والواقع ان كلا
من الايمان والاسلام والدين اسماء تصدق من حيث الشرع
على شيء واحد وان اختلفت المعاني وهو عبادة الله
بتوحيده قولا وتنفيذ ماموراته بالعمل الصادق ، لقوله
تعالى = " وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين "
(67) وقال = " ان الدين عند الله الاسلام " (68) .

وللدين قواعد واركان ومسالك ، ومجارى ، وحدود ، وافراز
واحراز ، لا بد من معرفتها ، للتمييز بين الاسلام والكفر
والتفريق بين المؤمن والمنافق والمشرك . وفيما يلي
بيان ذلك في الجداول الآتية =

---

(65) بدر الدين ابو العباس احمد الشماخي ، شرح مقدمة التوحيد لعمر بن جميع ، صححها وعلق عليها ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، القاهرة 1353 هـ ، ص 25 .

(66) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(67) البينة ، الآية 5 .

(68) آل عمران ، الآية 19 .

	الدين (الاسلام)							
القواعد	العلم		العمل		النية		الورع	
الاركان	الاستسلام		الرضى		التوكل		التفويض	
المسالك	الظهور		الدفاع		الشراء		الكتمان	
الاسهم	الصلاة	الزكاة	الصوم	الحج	العمرة	الجهاد	الامر بالمعروف	النهي عن المنكر
المجاري (69)	الكتاب			السنة			الراي	
الحدود	علم ما لا يسع جهله			فعل ما لا يسع تركه			ترك ما لا يسع فعله	
الافراز (70)	وفاء المؤمن			تضييع المنافق			جحود المشرك	
الاحراز (71)	ولاية المؤمن الموفي			براءة المنافق والمشرك			الوقوف عند المجهول	

	الكفر			
الاركان	الرغبة	الرهبة	الشهوة	الغضب
القواعد	الجهل	الحمية	الكبر	الحسد

....

(69) العجارى بمعنى = مصادر التشريع ، والذى في كتاب الوضع لابي زكرياء ص
29 = (ومجاريه ثلاثة ، الكتاب والسنة والاجماع) اقتصر على الاجماع
لان القياس مستمد من الكتاب والسنة • وفي عقيدة التوحيد ص 44 = الراى
عوض الاجماع ، وهو اعم لانه يشمل القياس والاجماع ، ويضيف أ/محمد
الشيخ بالحاج ضمن الراى بعض انواع الاستدلال ، خاصة المصالح المرسلة
وسد الذرائع ، والخروج من الخلاف ، والاستصحاب ، والعرف والقواعد
الفقهية العامة ، محمد الشيخ بالحاج = الاجتهاد في المذهب الاباضي ص
19 • والواقع ان الاباضية من اشد الفرق تمسكا بالسنة والاجماع الى
درجة انهم يدينون بتكفير من انكر الراى والسنة ، انظر عامر بن علي الشماخي
متن الديانات ص 49 ، اما القطب فيحكم بالشرك على من انكر واحدا من
الثلاثة = القرآن والسنة والاجماع ، وهن اصل القياس • محمد اطفيش
شامل الاصل والفرع ، مط السلفية بالقاهرة 1348 هـ جـ1 ص 9 • وبهذا
يكون المستشرق (موتيلينسكي Motylinski) قد اخطأ — رغم درايته
الواسعة بالعقيدة الاباضية — حين اشار في مقال له في دائرة المعارف
الاسلامية ، ان الاباضية لا تعتمد الاجماع والقياس ، وتكتفي بدلا من
ذلك بالراى ، ولم ينتبه الى ان الراى يتضمن الاجماع والقياس اللهم
ان يكون قد اطلع على مقالة السكاكية — وهي احدى الفرق الشاذة عن
الاباضية في المغرب — تنكر السنة والراى زاعمة ان القرآن وحده كاف
للتشريع ، اخذا من قوله تعالى = " وما فرطنا في الكتاب من شيئ " الانعام
38 ، فنسب المستشرق هذه المقالة على مجموع الاباضية •

(70) الافراز = جمع فرز وهو عزل الشيئ وتمييزه عن غيره ، والفرز المقصود هنا
هو التمييز بين المؤمن والمنافق والمشرك فلكل حكمه عند الله •

(71) الاحراز = جمع حرز وهو حفظ الشيئ وصيانته •

ثانيا - بعض المسائل الخلافية

1 - نفي الرؤية

رؤية الله تعالى - وهي الابصار بالعين المجردة، عند الاباضية كما عند المعتزلة مستحيلة على الانسان في الآخرة فضلا عن الدنيا ، لادلة نقلية صريحة وعقلية [illegible] .

اما عند الاشاعرة فالرؤية جائزة لكن ليس بالابصار الذى يعرفه الانسان في الدنيا ، لان حكم تلك الدار ليس كهاته . فالله يرى عند جمهور الاشاعرة بالابصار لكن بدون حلول وكيف وجد ، والاباضية لا يقتنعون من تاويل الفخر الرازى ( ) وابو حامد الغزالي (ق5هـ/ 11م) الرؤية بالعلم لان حقيقة الله تعالى لا تعلم وانما تعلم صفاته فقط ، وذلك انه لا بد للشيء المعلوم ان يتصور في ذهن العالم به وحقيقة الله تعالى لا تتصور (72) اما المعتزلة فاجمعت على ان الله لا يرى بالابصار لكن اختلفت هل يرى بالقلوب - فقال ابو الهذيل العلاف (135 - 235 هـ) واكثر المعتزلة ان الله يرى بقلوبنا - (73) ويقصدون معرفة الله بالقلب وهذا تاويل مقبول لدى الاباضية والخوارج

---

(72) نور الدين السالمي ، مشارق انوار العقول ، ص 186 .

(73) الاشعرى مقالات الاسلاميين ، ج 1 ، ص 265 .

وطوائف من المرجئة والزيدية ، اما الحشوية فتعتقد برؤية الله في الآخرة كما ترى جميع الاشياء المرئية في الدنيا .

على ان الاباضية والمعتدلين منهم خاصة (لا يمنعون ان يكون معنى الرؤية هو كمال العلم به تعالى[+]) ومعرفة الله بالبصيرة القلبية فاذا كانت هنالك حالة لا تدخل تحت قيود الادراك الانساني عن طريق حاسة البصر المعهود لدى الانسان ، ولا تؤدى الى التحديد والتشبيه فلا مانع من ذلك ، وهذا ما لم يثبته النص ولا سلم به العقل .

2 ـ مسألة الخلود

مسألة الخلود متعلقة بالعدل الالهي وهذا متعلق بالوعد والوعيد وما ينتج عنه من ثواب وعقاب فالجزاء عند الله نوعان لا ثالث لهما لقوله تعالى " فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ، واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ " (74) وقال = " فريق في الجنة وفريق

(74) هود ، الآية 108 .

في السعير " (75) وبناء على هذا يكون مصير العبد الذى مات على كبيرة ولم يتب منها تمنتا وعصيانا جهنم خالدا فيها ابدا ،واذا كان من معاني الخلود طول المكوث فان الابدية تعني اللانهاية ، ودفعا للالتباس اكد الله تعالى طول المكوث في النار بالبقاء الابدى في آية الجن حيث يقول - " ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا " (76) والله لا يخلف وعده ولا وعيده كما لا تبدو له البدوات ، يوافق الاباضية في هذا الراى الخوارج والمعتزلة ، بينما يرى الاشاعرة ان العدل الالهي يقتضي التمييز بين الموحد العاصي الذى خلط عملا سيئا مع اعمال حسنة وبين المشرك الذى لم تصدر عنه حسنة واحدة ، وعلى ذلك فلا يعقل ان يجتمع الموحد والمشرك تحت حكم واحد ويخلدان في العذاب معا الى الابد ، ومخرج ذلك ان ينال العاصي نصيبه من العذاب الى ان يستوفي مقدار ذنبه ثم يلتحق بالسعداء في الجنة ، وايا كان نوع النعيم الذى سيلتحق به فان حكمه تغير = كان من زمرة اهل النار فاصبح مع اهل النعيم في الجنة ، وهذا

---

(75) الشورى ، الآية 7 .

(76) الجن ،الآية 23 .

ما لا يرضى به الاباضية ، اما المرجئة (فتترك القطع على عقاب من لم يتب عن كبيرة حتى يموت) (77) فيتولى الله امره ان شاء عذبه وان شاء نعمه .

3 ـ خلق القرآن

يدين الاباضية بخلق القرآن ويوافقهم في ذلك المعتزلة ، والقرآن ـ كما يعتقد الاباضية ـ هو كلام الله ووحيه ، وتنزيله ، وكتابه ، استقر في قلب محمد (ص) عن طريق الوحي بواسطة جبريل عليه السلام وهو آخر الكتب المنزلة ومهيمنا عليها ، جاء بلسان عربي مبين وهو الدستور الالهي للشريعة الاسلامية .

وادلة الاباضية على خلق القرآن كثيرة ، نقلية وعقلية نذكر على سبيل المثال ما قاله الامام افلح (78) في رسالة له حول مسالة خلق القرآن ، يقول = " اذا ثبت ان كلام الله شيء لم يخل من احد ثلاثة اوجه ، اما ان يكون هو الله ، او يكون بعض الله كالجزء من الكل او يكون غير الله ، فان قالوا هو الله ضاهوا اليعقوبية (79) ، فيكون الكلام هو المعبود ، ويكون هو السميع

(77) عبد القاهر البغدادي ، الملل والنحل ، ص 139 .

(78) افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي ثالث الائمة الرستميين (190 ـ 240 هـ)

(79) اليعقوبية طائفة من النصارى تزعم ان عيسى عليه السلام هو الله .

يعرض الجدول التالي بعض الآيات التي ذكر الله فيها القرآن مقرونا بأفعال الحدوث يقابلها الافعال نفسها الدالة على الحدوث في غير القرآن من الاشيـــاء

الفعل	ماقاله تعالى في القرآن الكريم	ما قاله تعالى في غير القرآن من الاشياء
انزل	+انا انزلناه في ليلة القدر / القدر 1 + انا نحن نزلنا الذكر / الحجر 9	+ وانزلنا الحديد فيه باس شديد / الحديد 25
جعل	+ انا جعلنا القرآن عربيا / الزخرف 3	+وجعلنا الليل والنهار آيتين/ الاسراء 12
صفة الحدوث	+ او يحدث لهم ذكرا / طه 113 + افمن هذا الحديث تعجبون/النجم 59	+ ومن الناس من يشتري لهو الحديث / لقمان 6
الحفظ	+ وانا له لحافظون / الحجر 9	+ وحفظناها من كل شيطان رجيم / الحجر 17
صفة التشابه	+ كتابا متشابها / الزمر 23 +فيتبعون ما تشابه منه /آل عمران 7	+ والنخل والزرع مختلفا اكله والرمان متشابها وغير متشابه / الانعام 141
التفصيل	+ كتاب فصلت آياته /فصلت 3	+ وكل شيئ فصلناه تفصيلا /الاسراء 12
السمع	+ انا سمعنا قرآنا عجبا / الجن 1 + وانا لما سمعنا الهدى/ الجن 13	+لقد سمع الله قول الذين قالوا/ آل عمران 181 + الذين يستمعون القول.../الزمر 18
الهدى	+ وانا لما سمعنا الهدى آمنا به /الجن 13	+ اولائك على هدى من ربهم / البقرة 5

البصير ... واجمعت الامة ايضا الا يوجد كلام الا وثم متكلم وان المتكلم قبل الكلام ، ولو لم يكن المكلم قبل الكلام ولم يكن المكلّم اولا بان يكون مكلما من الكلام فيكون الكلام اذا هو المكلم ، و المكلم هو الكلام ، والكلام مكلما مخاطبا ، والكليم مكلما مخاطبا ،فلم يجز ان يكون الكلام هو المكلم والمكلم هو الكلام ثبت ان هذا غير هذا ... وثبت وجوب الحدوث الثاني ... وفي هذا ايجاب الخلق واثبات وحدانية الصانع " (80) ،

ومن الادلة الكثيرة ما يلي =

- كل صفات القرآن دالة على الحدوث وكل حادث مخلوق
- الله وحده يوصف بالقدم فلو كان القرآن قديما لما كان الله متفردا بالقدم .
- الكتب السماوية المنزلة ليست قديمة والقرآن واحد منها فهو ليس بقديم .
- القرآن كلام محفوظ منزل متلو ومكتوب ، ممكن فناؤه فهو حادث ممكن عدمه.

4 ـ حكم الاباضية على مخالفيهم ومن احدث في الدين

دماء المخالفين حرام ، ودارهم دار توحيد واسلام الا معسكر السلطان (81) .

---

(80) رسالة الامام افلح ذكرها ابو القاسم البرادى في الجواهر المنتقاة (مخطوط)

(81) سنعرض للحديث بالتفصيل عن موقف الاباضية من معسكر السلطان في الفصل الثاني من الباب الثاني .

لا يحل غنائم المسلمين المحاربين الا الخيل والسلاح وكل ما فيه قوة في الحروب ، (اما الذهب والفضة فترد الى اصحابها عند الغنيمة) (82) على خلاف موقف الخوارج الذين اجازوا الاستعراض واحلوا دماء المخالفين وسبي نسائهم وقتل ذراريهم ،ولعل هذا اوضح دليل على الاختلاف الذى يميز الاباضية عن الخوارج ، علما ان الاباضية يجيزون شهادة مخالفيهم ومناكحتهم والتوارث بينهم ، اما دماء المخالفين فحرام في السر بل حتى في العلانية الا في حالة حرب ودفاع عن النفس ، وهذا ما لا تقول به الخوارج .

- موقف الاباضية ممن احدث في الدين

لا فرق بين الاباضي وغيره اذا احدث حدثا في دينه مما يقدح في اسلامه ، فحكم الاباضية واحد يطلق على كل موحد عاص وانما اختلاف الحكم من قبيل نوع الحدث ودرجة المعصية .

فأن كان الحدث انكارا لله وللقرآن وللنبي عليه السلام خرج المحدث من ملة الاسلام ، وصار مشركا حلال الدم والمال وتحرم مناكحته وموارثته ، ويسمى بالملة التي دخل فيها ان كان يهوديا او نصرانيا اومجوسيا ويلحقه حكمها .

---

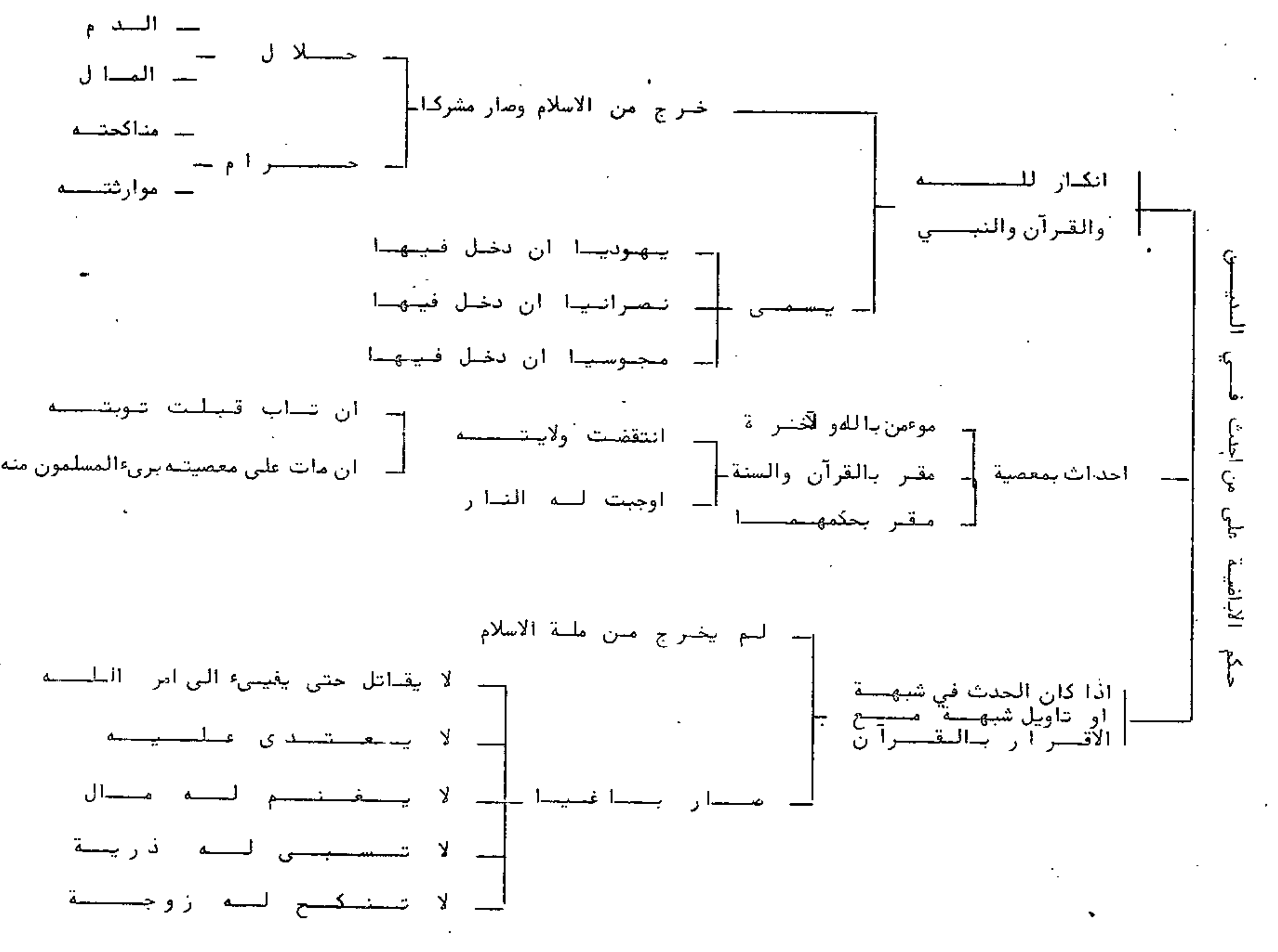
(82) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص 83 .

وأن كان حدثه معصية اوجبت له النار وهو مقر بالقرآن فيجرى عليه الحكم بقدر معصيته ، وقد انتقضت ولايته ، فان تاب قبلت منه توبته ، والا برئ المسلمون منه

وان كان حدثه في شبهة اوتاويل شبهة امتنع بحدثه صار باغيا يقاتل حتى يفيئ الى امر الله ، لا يتعدى عليه ولا يغنم ماله ولا تسبى له ذرية ولا تنكح له زوجة ما كانت في عدته ما اقر بالقرآن والنبئ (ص) وليس المنكر بالتاويل منكرا بالقرآن والنبي (ص) فان ذلك لا يعد خروجا من ملة الاسلام والحكم فيه حكم نبي الله (ص) في ملته من اهل الانكار والتكذيب ...) (83) .

هذا مجمل راى الاباضية فيمن احدث من الاعمال او الاقوال ما يمس به عقيدته او يهدم به اعماله ، وهو موقف وسط بين تسامح الاشاعرة وغلو الخوارج .

(83) اكتفينا براى الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم في موقف الاباضية ممن احدث في الدين ، وهو يعبر عن راى المذهب ، انظر تفصيل ذلك في رسالة للامام عبد الوهاب لاهل طرابلس ، ذكرها لواب بن سلام في كتابه شرائع الدين ، (مخطوط) توجد نسخة مصورة منه عند الشيخ الناصر المرموري ، القرارة ، ولاية غارداية ، الرسالة في ص 26 ـ 27 .



حكم الاباضية على من احدث في الدين
انكار لله والقرآن والنبي
خرج من الاسلام وصار مشركا
حلال
الدم
المال
حرام
مناكحته
موارثته
يسمى
يهوديا ان دخل فيها
نصرانيا ان دخل فيها
مجوسيا ان دخل فيها
احداث بمعصية
موءمن بالله والآخرة
مقر بالقرآن والسنة
مقر بحكمهما
انتقضت ولايته
اوجبت له النار
ان تاب قبلت توبته
ان مات على معصيته برىءالمسلمون منه
اذا كان الحدث في شبهة او تاويل شبهة مع الاقرار بالقرآن
لم يخرج من ملة الاسلام
صار باغيا
لا يقاتل حتى يفيىء الى امر الله
لا يعتدى عليه
لا يغنم له مال
لا تسبى له ذرية
لا تنكح له زوجة

5 ـ راى الاباضية في الصحابة

يقرر الاباضية المعاصرون بالاجماع (84) ان البحث في احداث من سبقنا كفتنة الصحابة مثلا ليس من ورائه فائدة ولا اثر محمود ينفع الامة ، بل لا يزيد لها الا تشتيتا (وعليه فالخير كل الخير للمسلم الذى يستبرئ لدينه وعرضه ، ان لا يفني عمره في التنقيب عن هنات اشخاص اصبحوا في ذمة التاريخ (85).

ولعل احسن تعبير عن راى الاباضية في الفتن بين الصحابة ، ما قاله العلامة خلفان بن جميل السيابي من علماء عمان (توفي 1392 هـ) خلاصة قوله " ان دماء الفتن طهر الله منها ايدينا فلنطهر منها السنتنا تلك امة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون ، فالصحابة كلهم عدول في الولاية قبل الافتراق اما بعد الافتراق فمن توقف ولم يدخل في الفتنة فهو على حاله في الولاية ، واما الذين دخلوا الفتنة ... فاصحابنا الاولون حكموا على كل ما عاينوه " (86) ، ولذلك نجد في بعض كتب

---

(84) من الاباضية المعاصرين نذكر = ش. نور الدين السالمي ، ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، ش. بيوض ابراهيم بن عمر ، ش. ابو اليقظان ابراهيم ، ش. عبد الرحمن بكلي ، ش. علي يحيى معمر ، ش. احمد بن حمد الخليلي .

(85) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، تعليق في هامش كتاب قواعد الاسلام للجيطالي ج 1 ، ص 84 .

الاباضية الاوائل اخبارا عن احداث الفتن يروونها كما سمعوها عن اسلافهم وبكل انصاف دون غلو ولا مبالغة كما يفعل غيرهم • فهذا ابو يعقوب الوارجلاني يذكر زلة عثمان ابن عفان ويعدها في اربعة امور هي استعمال اقاربه وصرفه لاموال الفيء في اقاربه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطرفه في يوم الدار (87) مع العلم ان الوارجلاني لم يكتف بالنظر الى مآخذ عثمان فقد ذكر حسناته وامتدحته في ايامه قبل احداثه في الدين ، والشيء نفسه بالنسبة الى الخليفة الرابع علي بن ابي طالب ، فكتب عنه بامانة مبينا ماله وما عليه ، ويذكر من زلاته التحكيم ، وقتله لاصحاب النهروان وقد نهوه عن التحكيم ، وفيهم المحق والمبطل (88) فالوارجلاني لم يكفر هنا الصحابة ولا اتباعهم كما يفعل الخوارج ثم انه يعترف بوجود المحق والمبطل بين اهل النهروان • اما الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (توفي 1914م) فيصرح بان الصحابة كلهم عدول لانهم ليسوا كغيرهم ، لما ورد في حقهم من نصوص صحيحة ، واحسن ما

---

(86) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش في هامش كتاب قواعد الاسلام للجيطالي ، جـ 1 ص 85 ، نقلا عن خلفان بن جميل السيابي ، (لم يذكر المصدر) •

(87) ابو يعقوب يوسف الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، مط. البارونية ، القاهرة 1306 هـ ، طبع حجري ، ص 14 •

حين اختار الوقوف فيمن ادرك عثمان اوعليا وحضر ما انتقم عليهما فيه الا ان صوب خطأ اوخطأ صوابا (89) فالواجب على من لم يدرك الحق ان يقف كما وقف ابوعبيدة مسلم (ق 2 هـ) وشيخه جابر بن زيد (توفي 103 او 93 هـ) عن الخوض في فتن الصحابة ٠

اما عن التهم التي توجه الى الاباضية لانهم يقدحون في اصحاب رسول الله (ص) وينالون من كرامتهم فلانها لا تخلو من الغلو والمبالغة ذلك ان الاباضية ليسوا وحدهم في هذا المجال ولم يكونوا الوحيدين من الذين كتبوا عن الصحابة واحداث الفتن فقد شاركهم في ذلك الكثير من الكتاب والمورخين ، وقد اتسم موقف الاباضية بتحرى الحقيقة ولم يزيدوا على ان بينوا ما حدث سواء في عهد عثمان اوعلي رضي الله عنه بكل انصاف ٠ ويصف الشيخ احمد بن حمد الخليلي (معاصر) ما كتبه الاباضية انه (يتسم بالادب والحشمة وتعظيم مقام الامام علي واحترام قرابته من النبي (ص) حتى في مقام في العتاب) (90) ومع ذلك فالاباضية كما يصرح به الشيخ الخليلي " مستعدون ان يطووا صحائف تلك الفتن التي حدثت

---

(88) المصدر السابق ، ص 15 ٠

(89) محمد بن يوسف اطفيش ، الذهب الخالص ، ص 43 ، انظر كذلك كتاب

في عهد صحابة رسول الله (ص) ولا ينبسوا فيها ببنت شفة ، ولا يخطون فيها حرفا واحدا ولكن لا بد من احترام اهل النهروان ايضا وعدم النيل منهم ، فيجب على المسلمين جميعا ان يتساعدوا (...) حتى تعود للمسلمين وحدتهم ، ولا يثيروا اشياء حدثت قبل 14 قرنا هم في الف غنى عن آثارتها في هذا العصر الذى هم فيه احوج ما يكونون الى ما يجمع الشمل ويؤلف بين القلوب " (91) . وبهذا تتضح نوايا الاباضية الطيبة ، وموقفهم من الاتهامات الباطلة .

= ازهاق الباطل بالعلم الهاطل ، طبعة حجرية ، الجزائر 1318 هـ ، ص 31 .

(90) احمد بن حمد الخليلي ، استجواب اجرته معه مجلة جبرين الكويتية ، افريل 1984م ، ص 33 .

(91) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

الفصل الثالث

الاباضية والفرق الاسلامية

اولا : الاباضية والاشعرية

ثانيا : الاباضية والمعتزلة

ثالثا : الاباضية والشيعة

رابعا : الاباضية والخوارج

- آراء الاباضية في الخوارج

خامسا : دعوة الاباضية الى التقارب ونبذ الخلافات

اولا =الاباضية والاشعرية

يبدو ان الخلاف لم يكن حادا بين الاباضية والاشاعرة خاصة في المسائل التعبدية ؛ اما العقيدة فقد حاول ابو يعقوب الوارجلاني حسر مواطن الخلاف بين الفرقتين فوجدها تتلخص فيما يلي = (1)

اطلقوا – اى الاشعرية – على البارى صفات لها معاني قديمة ليست هي ذات الله فاوجبوا التغاير ، وبمقتضى هذه المعاني كان الله موصوفا بها فبالعلم كان عالما وبالقدرة كان قادرا ، فهي معاني قائمة بالذات ، بينما عند الاباضية ،هي عين ذات الله سبحانه ، وليست زائدة عنه .

وصفوا اللهُ بالوجه واليدين والراس والعينين ،والقبضة والساق والاستواء والميل .... بينما ينزه الاباضية عن الله هذه الصفات والتشبيهات .

الكلام من المعاني التي وصفوه بها ، وكذا الامر والنهي المندرجين في الكلام ، والقرآن وسائر كتب الله المنزلة، كل ذلك من المعاني التي يوصف بها في ولم يزل بذلك .

(1) الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، جـ 1 ، ص 38 .

العدل والاحسان والفضل والمن والانعام صفاته تعالى لكنها افعاله محدثة .

ويضيف البارجلاني = اما الاشعرية لسنا مختلفين حول وحدانية الله وعدم حدوث المحدث وخصمنا جميعا الدهرية الضالة .

وفي الحديث عن الاشعرية تشير الى ان العلاقة بين الاباضية واهل السنة حسنة ، وتشهد تقاربا ملحوظا في الاراء والافكار . اذا استثنينا بعض المسائل المختلف حولها كالخلود والقدرة ، وخلق القرآن ولذلك نجد الكثير من الدارسين للفكر الاسلامي يثبتون هذا التوافق فلا يذكرون الاختلاف بين الاباضية واهل السنة الا احيانا (2) .

ويشير ش. محمد ابوزهرة الى هذا التقارب فيقول عن الاباضية انهم (اكثر الخوارج اعتدالا واقربهم الى الجماعة الاسلامية تفكيرا فهم ابعدهم عن الشطط والغلو) (3) الا انه كان من الاحرى ان يقول اقربهم الى اهل السنة لان في قوله " اقربهم الى الجماعة الاسلامية " تلميح الى انهم ليسوا من الجماعة الاسلامية ، وفي الواقع

(2) اجناس جولد ستهير ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص 173 .

T . LEWICKI ? E.I. 2em ed. T 3

(3) محمد ابوزهرة = تاريخ المذاهب الاسلامية ، دار الفكر العربي القاهرة 1976 ، ج 1 ، ص 85 .

لا يحسن ان نرى الاباضية على انها فرقة ليست من اهل السنة وان لا علاقة لها بالسنة الا من حيث الاقتراب ، لان المعروف عن الاباضية انها تولي عناية خاصة وعظيمة جدا للسنة النبوية ، وهذا ما يثبته احد الاساتذة المنصفين حين يقول = " ان المدقق في المصادر الفقهية الاباضية يجد ان اصحاب المذهب الاباضي من اكثر المسلمين اتباعا للسنة الشريفة والاقتداء بها ، اما ما تلصقه بهم بعض المصادر من تهم فانما هو ناتج عن احد امرين ، الجهل او التعصب " (4) .

ومما يؤكد ذلك ان ائمة السنة الذين دونوها واشتهروا بها انما جاءوا بعد جابر بن زيد (امام الاباضية) بمدة طويلة (5) فيكون جابر قد سبق علماء السنة ورواة الحديث ظهورا ولذلك (اقبل عليه نقلة السنة للاخذ عنه فروى عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما) (6)

اما الائمة الاربعة الذين هم اساس المذاهب الاربعة المشهورة (7) فانهم جاءوا بعد جابر كذلك . وبيان ذلك ان الامام ابا حنيفة لم يدرك من حياة الامام جابر

---

(4) عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية (الجامعة الاردنية عمان) ط 2 وزارة التراث القومي والثقافة ، مط الشرقية ، مسقط ، دتا ص 54

(5) سالم السيابي (ابوهلال) (ق 14 هـ) ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء ، تحقيق وشرح الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف ، مطابع سجل العرب ، القاهرة 1979م ، ص 15 .

سوى ثلاثة عشر سنة (8) .

اما الامام مالك فلم يدرك الامام جابر سوى عشر سنوات على اقصى تقدير - او سنة واحدة على تقدير - نظرا للاختلاف حول تاريخ وفاة الامام جابر ، والمرجح سنة وهي السنة التي ولد فيها الامام مالك (9) اما مولد الامامين الشافعي واحمد بن حنبل فكان بعد ذلك التاريخ . وبهذا يكون الامام جابر متقدما على الائمة الاربعة . اذا فوجه الالتقاء بين الاباضية والسنة يتضح من شخصية الامام جابر بن زيد الذى ينسبه ياقوت الحموى (ت 626هـ/1228م) في معجمه الى اهل السنة واعتبره (احد ائمة السنة من اصحاب عبد الله ابن عباس) (10) لكثرة ملازمته لعبد الله ورواية الحديث عنه ,كما روى (عن عبد الله بن عمر وابي هريرة وعائشة وغيرهم ،وهو يعتبر من ابرز التابعين) (11) .

هذا بعض ما يتعلق بالتقارب والالتقاء بين اهل السنة والاباضية عن طريق شخصية الامام جابر بن زيد

---

(6) المصدر السابق نفس الصفحة ،

(7) الحنفية ، المالكية ، الشافعية ، الحنبلية ،

(8) ولد الامام ابو حنيفة سنة 80 هـ وتوفي سنة 150 هـ (ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، جـ 1 ، ص 218 .

(9) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ 1 ، ص 555 ـ 556 .

(10) راجع ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص 243 .

اما عبد الله بن اباض فهو الآخر لم يكن على خلاف كبير مع اهل السنة ، وحسبه ان يحظى بثقة الامويين ويرتبط بعلاقة طيبة مع الخليفة عبد الملك بن مروان على غرار العلاقة القائمة بين الامام جابر بن زيد والحجاج بن يوسف وان كان هذا الاخير لم يكن على علم بحقيقة الانتماء المذهبي لجابر . بينما عبد الله بن اباض (كان المجاهد علنا ، المناضل في سبيل تحقيق الحقائق ، وتصحيح قضايا العقول فيما احدثه اهل المقالات ، وكان شديدا في الله تعالى له مناظرات مع اهل النطس والتفلسف) (12) وكانت اقاويله كما يذكر ابو العباس المبرد (285هـ/898م) ، اقرب الاقاويل الى السنة (13) ويمكن القول بعد الذى تقدم ان الخلاف بين الاباضية واهل السنة لم يكن حول الاصول بل تمركز حول بعض الفروع الجزئية ، يذكر منها الاستاذ احمد امين مسالة الزواج ، فيقول عن الاباضية (انهم لا يرون الزواج يصح الا فيما بينهم) (14)

(11) صالح الصوافي ، الامام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة ، رسالة ماجيستير جامعة الازهر ، 1401 هـ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة 1983م ، ص 198 .

(12) سالم بن حمود السيابي ، ازالة الوعثاء عن أتباع ابي الشعثاء ، ص 50 .

(13) ابو العباس المبرد ، الكامل ، مط التجارية الكبرى ، القاهرة 1355هـ ، ص 214 .

وهذا غير صحيح لانه لم يرد في مؤلفات الاباضية قبول من هذا القبيل وهو مستبعد اللهم ان يكون الاباضية يشترطون شروطا ذات طابع اسلامي لتمسكهم بالمبادئ الشرعية فيتعذر لغير الاباضي الالتزام بها ، والواقع يثبت انه تم الزواج بين الاباضية وغيرهم على ان الاستاذ احمد امين يقع في تناقض عندما يثبت في موضع آخر من كتابه فجر الاسلام (15) ، ان الاباضية (لم يغالوا في الحكم على مخالفيهم كالازارقة بل قالوا = يحل التزوج منهم ويتوارث الخارجي وغيره ونزعتهم اميل الى المسالمة) .

وفي مسالة الامامة يتفق الاباضية مع اهل السنة في وجوب الامامة ، وان (طريق عقد الامامة هو الاختيار بالاجتهاد ، وانه ليس للنبي (ص) نص على امامة واحد بعينه خلاف قول من زعم من الرافضة انه نص على امامة علي (رضي) نصا مقطوعا بصحته) (16) الا ان اهل السنة وضعوا النسب من قريش شرطا للامامة (17) ، والاباضية لم يعتبروا القرشية شرطا وانما تقدم من باب الاولوية . واتفق الفريقان ايضا على عدم وجوب

---

(14) احمد امين ، ضحى الاسلام ، دار الكتاب العربي ، ط 10 بيروت ، د تا ج 3 ، ص 337 .

(15) احمد امين ، فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي ، ط11 ، بيروت 1979م ص 261 .

العصمة للامام كما تزعم بذلك الامامية ، كما وقع الاتفاق على تفضيل ابي بكر وعمر وعلي وعثمان وانهم جميعا عدول ، خلافا للشيعة التي فضلت عليا عما سواه .

<u>ثانيا = الاباضية والمعتزلة</u>

يكاد يتفق المؤرخون ، ويجمع الدارسون للفكر الاسلامي على ان التطابق الفكري والاتفاق حول اصول العقيدة حاصل بين الاباضية والمعتزلة في اغلبية آرائهم سواء المتعلقة باصول العقيدة او الكلام ، او السياسة (18) وفي كثير من الاحيان يؤدى هذا التقارب الى عدم التمييز بين الفرقتين وهذا ما جعل المؤرخ البكرى يصف الاباضية بالمعتزلة وسماهم الواصلية الاباضية . اما ابن تيمية فيصف المعتزلة انهم مخانيث الخوارج (19) ذلك ان واصل بن عطا ، وافق الخوارج في تخليد اصحاب الكبائر في النار اذا ماتوا ولم يتوبوا (20) ومن المسائل الكثيرة التي يتفق عليها الاباضية والمعتزلة نذكر منها = الوعد

---

(16) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص 340 .

(17) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(18) انظر الاشعرى ، الابانة عن اصول الديانة ، المنيرية ، القاهرة د تا ، ص 32 ، 42 ، احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج 3 ، مهدى طالب هاشم ، نشاة الحركة الاباضية في المشرق العربي ، ص 305 اجناس جولد ستهير ، العقائد ، ص 163 ، 281 / وانظر كذلك نيلينو الفونسو في : RSO 7 ? , p 4 55 + 468 . انظر كذلك . تادوز لويسكي LEWICKI.T , E.I , 2em edi , tom,3

والوعيد ، ويترتب عنهما الاتفاق على الخلود في النار -كما اشرنا - وخلق القرآن ، وان الله لا يرى في الجنة وان الله لا يغفر الكبائر الا بالتوبة ، وحصل الاتفاق على وجوب (العقل للواجبات والتكاليف بمجرده وباستقلال عن الشرع ، وفي تاويل آية الإستواء ، والمتشابهات عامة) (21) وفي مجال السياسة يتفق المعتزلة مع الاباضية في وجوب الامامة على الامة لحفظ الدين والمصالح الدنيوية وفي احقية كل مسلم في منصب الامام .

ولكن هذا التوافق بين آراء الفرقتين يجعلنا نتساءل عن علاقة التاثير بينهما وايهما اخذت عن الاخرى ؟ .

يقول المستشرق الفونسو نيلينو "لاحظ جولد ستهير (22) ان رسالة العقيدة الاباضية لعمر بن جميع التي نشرها موتيلينسكي تتضمن امام اقوال ذات طابع معتزلي واضح " ويورد شاهدا على ذلك المسائل الآتية

(19) انظر عمار طالبي ، ابو عمار عبد الكافي والنسق الكلامي ، مقال في مجلة الاصالة العدد 41 .

(20) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ، ص 184 .

(21) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(22) في مجلة تاريخ الاديان ، مج رقم 52 سنة 1905 ، ص 232 .

- 1 ـ ليس من الممكن رؤية الله تعالى في الاخرة 2 ـ تاويل بعض مسائل الحياة الاخرى تاويلا مجازيا (كالميزان والصراط) 3 ـ كل تشبيه ظاهر وبخاصة استواء الله على العرش يجب تاويله تاويلا مجازيا ...

(23) ومما يثير التساؤل اكثر ان الجزء الاكبر من الاباضية في شمال افريقيا يتبنون آراء المعتزلة بل هم معتزلون ـ كما يقول الفونسو نلينو ـ (24) لذلك يتساءل هل هم اخذوا مبادئ الاعتزال وهم في الشرق قبل ان ينزحوا الى بلاد المغرب ، ام هم تقبلوه في شمال افريقيا تحت تاثير اتصالهم بالادارسة من الشيعة ؟ . لكن كيف يغيب عن الاستاذ نلينو ان ارض المغرب لم تشهد الاعتزال قبل نزوح الخوارج اليها ؟ هذا من ناحية ومن ناحية اخرى الا يكون سبق الاباضية ظهورا على المعتزلة دليلا على تاثير الاول في اللاحق ؟ وليس العكس، كما يرى الملطي من ان الخوارج ظهر فيهم (مذاهب المعتزلة فمنهم من ترك مذهبه وقال بالاعتزال) (25) وان صح هذا الراى فانه ينطبق على

---

(23) عبد الرحمن بدوى ، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ص 204 .

(24) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(25) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، جـ 1 ، ص 185 ، نقلا عن الاسفراييني ، التبصير في الدين ، ص 54 .

الخوارج وليس على الاباضية ، لانه لم يرد عن الاباضية انهم غيروا في آرائهم ، اللهم ما ورد عن ابي كريمة وحمزة الكوفي وعطية والحارث انهم احدثوا في عهد ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة (خليفة جابر في امامة الاباضية) بقولهم بالقدر على راى المعتزلة ،فتصدى لهم ابوعبيدة وعزلهم عن المجتمع الاباضي وتبرأ منهم (26) هذا في المشرق اما في شمال افريقيا فان المصادر الاباضية تشير الى الصراع الذى كان سائدا بين الاباضية والواصلية ، وهو صراع يقوم على المناقشات الكلامية حول المسائل الخلافية بين المذهبين – وان قلت – ولم تشر هذه المصادر الى تاثير احدهما في الاخر بان يتخلى احد الجانبين عن آرائه ، والجدير بالذكر ان الصراع كان فكريا في بداية الامر ثم تحول الى صراع مسلح (27) ويبدو ان الصراع الفكرى بين المعتزلة والاباضية كان قديما ، ففي عهد ابي عبيدة يذكر الدرجيني في طبقاته ان واصل بن عطاء المعتزلي كان (يتمنى لقاء ابي عبيدة ويقول لو قطعته قطعت

(26) مهدى طالب هاشم ، نشاة الحركة الاباضية في المشرق ، ص 305 .

(27) راجع ابي زكرياء يحيى بن ابي بكر ، كتاب سير الائمة واخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربي ط 2، دار المغرب الاسلامي ، بيروت 1982م ، ص 101 وما بعدها . انظر كذلك ابو العباس الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج 1 ، ص 60، اما ابن الصغير (ق3هـ) لم يشر الى الصراع مع المعتزلة

الاباضية...) فلقيه في الطواف يوما فقال واصل = انت ابوعبيدة ؟ قال = نعم ،قال انت الذى بلغني انك تقول ان الله يعذب على القدر ؟ قال ابوعبيدة ما هكذا قلت لكن قلت ان الله يعذب على المقدور ، فقال ابوعبيدة انت واصل بن عطاء قال نعم قال انت الذى بلغني عنك انك تقول = ان الله يعصى بالاستكراه ، فنكس واصل راسه فلم يجبه بشيء (...) وقال لاصحابه = وبحكم بنيت بناء منذ اربعين سنة فهدمه وانا قائم فلم اقعد ولم ابرح مكاني)(28) ، فيتضح لنا مما سبق ان الاباضية والمعتزلة تتفقان في كثير من المسائل الكلامية لكن ما قيل عن الاباضية انها تاثرت بالمعتزلة واخذت عنها وتبنت مقالاتها في نفي الصفات وخلق القرآن (29) بدليل ان هذه المقالات لم تكن مذاعة بين الناس قبل ظهور الجهمية (30) في اوائل المائة

راجع كتاب اخبار الائمة الرستميين ، تحقيق د /محمد ناصر و ا /ابراهيم بحاز المطبوعات الجميلة ، الجزائر 1986م .

(28) الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، جـ 2 ، ص 246 .

(29) احمد امين ، ضحى الاسلام ، جـ 3 .

عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، جـ 1 ، ص 185 نقلا عن ابن تيمية محمد بلعراد ، الحركة الاباضية في تاهرت ، مجلة الاصالة ، العدد 41 ص 44 .

(30) اتباع جهم بن صفوان الذى قال بالاجبار و الاضطرار الى الاعمال ونفي الاستطاعات كلها ، عبد القاهر البغدادى ، الملل والنحل ، ص 145

الثانية للهجرة ، وعليه فان الاباضية لم تكن آراؤهم في التوحيد قد تبلورت الا في اوائل القرن الثاني ، فان هذا الراى وان كان يبدو معقولا لكننا لا نستطيع القطع به لان القائلين به اعتمدوا على المصادر التاريخية وكتاب المقالات دون الرجوع الى تصانيف الاباضية ، ولعل احسن معتمد يمكن الرجوع اليه مسند الامام الربيع بن حبيب الذى اخذ العلم عن ابي عبيدة عن جابر بن زيد ، الذى كرس حياته لخدمة العلم فكان يسال عن دينه وعقيدته فضلا عن مسائل العبادات والمعاملات ، ولذلك نجد المسند مفعما بالاحاديث النبوية التي تعالج اصول الدين ومسائل العقيدة ، وقد رتبها الشيخ ابو يعقوب وجمعها في خاص وبلغ عددها 140 حديثا حول الايمان والتكفير والشرك والقدر ، وتعظيم الله عزوجل ، ونفي التشبيه والاستواء ... (31) وبعد هذا فلا يمكن القول ان الاباضية لم يهتموا ببعض مسائل العقيدة حتى ظهرت مقالات الجهمية والمعتزلة فاطلعوا عليها ثم تبنوها

وجهم بن صفوان الراسبي يكثر ذكره في التاريخ، قال عنه الطبرى انه كان كاتبا للحارث بن سريج الذى خرج في خراسان في آخر دولة بني امية (انظره في حوادث سنة 128 هـ) وجهم من الجبرية الخالصة ، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليهم باشياء ، انظر الملل والنحل للشهرستاني 1/113) ، محمد محي الدين في هامش مقالات الاشعرى ج 1 ،

واذا كان لا بد من التاثير فليكن من جانب المعتزلة كما يقول عثمان بن عبد العزيز الناصري الحنبلي (ق13هـ) الذى يقرر ان المعتزلة اخذوا عن الخوارج فيقول " (واما المعتزلة فغالب مذهبهم في الامة مكتسب من مذهب الخوارج) (32) وهذا الراى اقرب الى الاحتمال نظرا لتقدم الامام جابر بن زيد على رؤوس المعتزلة ، وتبلورت الاراء الاباضية قبل ظهور مقالات الخوارج والمعتزلة والجهمية ، واهل السنة ، وهذا ما اكده الامام الشيخ بيوض (ت14جانفي 1981م) عندما ناقش هذه المسالة حيث يقول " اذا كان واصل قد لزم مجلس الحسن البصرى عشرين سنة قبل ان يعتزله كما ذكر الشيخ ابو يعقوب الوارجلاني (33) مع اننا لا نعلم على وجه التحديد السنة التي اعتزل فيها واصل مجلس الحسن ، الا انه يستفاد من مجموع الروايات والتواريخ ان ذلك كان في اواخر ايام الحسن اى في اواخر القرن الاول للهجرة ، وعلى ذلك يكون امام الاباضية متقدما كثيرا على امام الواصلية والمعتزلة وتكون فلسفة الاباضية

ص 224 .

(31) راجع الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ، الجزء الثالث .

(32) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ، ص 186 .

(33) ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني ، الدليل والبرهان ،ج1 ،ص 15 .

في الارادة الانسانية والعدل الالهي (القدر) قد تبلورت قبل ان يظهر واصل بن عطاء ومذهبه)(34) بدليل ان الاباضية وقد ناقشوا مسالة استحالة رؤية الله ومسالة الاستواء بحضور بعض الصحابة كعائشة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، فهل يمكن القول - ان المعتزلة تاثرت بالاباضية واخذوا رايهم في مسالة الرؤية والاستواء مع ان الاباضية قد سبقوهم اليها ؟ علما ان المعتزلة تستدل على مقالتها بنفس حجج الاباضية ـ لا اعتقد ان منصفا يقول بذلك • ورب قائل يقول - ان الاباضية لم تكن تمثل فرقة دينية تقوم آراؤها على النظر العقلي والحجج المنطقية ، وانها لم تشتغل بالدرجة الاولى بقضايا العقيدة واصول الدين كما اشتهرت بذلك المعتزلة التي تعد فرقة دينية لانها نشات من اشتغالها باصول العقيدة فكانت آراؤها تتعلق بالتفكير الديني • بينما الاباضية والخوارج لا تمثل فرقا دينية لانها نشات حول التفكير في السياسة ولا شان لها بالعقائد الا بالعرض فهي اذن حزب ديني كما يفضل

---

(34) ابراهيم بن عمر بيوض ، في رسالة له الى ا/ مير سلطان ، ذكرها الشيخ علي يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث ، مكتبة وهبة ، ط 1 ، القاهرة 1976 ، ص 240 •

د/عبد الحليم محمود (35) لكن الواقع يثبت ان الاباضية لم تترك مسالة في الفقه والمعاملات والاخلاق العامة كما في السياسة فضلا عن مسائل العقيدة الا وتناولتها بالبحث والدراسة وحددت رايها فيها ، اما عن منهج التفكير المعتمد لدى الاباضية فهو لم يسلم من النقد فقد شاع لدى المؤرخين والباحثين ان الخوارج عامة ليس لهم منهج عقلي الا ان د/عمار طالبي يقرر بعد بحث مستفيض حول مقالات الخوارج فيقول = (ان الخوارج لم يكونوا من اهل الظاهر وانما كانوا من ذوي منهج عقلي وتاويل للنصوص بما يتفق مع اصولهم ،فالمعتزلة ان هم الا تطوير لاصول الخوارج الاولى) (36) علما ان د/عمار طالبي يعد الاباضية فرقة خارجية .

وجملة القول ان العلاقة بين الاباضية والمعتزلة متقاربة يجمع بينهما موافقة واسعة في اغلب مسائل العقيدة واصول الدين ، وليس ذلك غريبا ما دام المنهج واحد يعتمد على التفكير العقلي والادلة المنطقية في حدود النصوص الشرعية .

---

(35) د/عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام ،ط 3 دار النصر للطباعة القاهرة 1968م ،جـ 1 ، ص 105 وما بعدها .

(36) د/عمار طالبي ، ابوعمار عبد الكافي والنسق الكلامي ، الاصالة ،العدد 44 ، سنة 1977م

ثالثا = الاباضية والشيعة

قبل وقعة صفين لم تكن الامة الاسلامية تعرف التحزب السياسي ولا الانقسامات المذهبية ،كان الجميع يعيشرفي وئام تحت قيادة رشيدة ، وفي ظل الوحدة التي اذابت النعرات القبلية والعصبية الجاهلية ،لكن هذه الوحدة لم يدم حالها بسبب الفتن ومنها وقعة صفين التي افرزت شقين في صفوف الامام علي طائفة وقفت بجنبه تناصره وتبارك خطواته ومنها فرقة الشيعة ، وطائفة نقمت عليه ما احدث بقبوله التحكيم ومنها فرقة الاباضية •

فاساس الخلاف بدا في ظروف سياسية ، ثم شمل العقيدة فبالغت الشيعة في تقديس الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ الى درجة التاليه واعتقدوا انه معصوم من الخطأ لانه وصي الرسول الكريم ففضلوه على غيره من الصحابة ، وقالوا ان الامامة واجبة وهي حكر على نسل علي في آل البيت ، في الحين الذى رفضت فيه الاباضية هذه المقالات على انها ليست من الاسلام في شيء ، مع الاحترام الكامل للامام علي (رض) والاعتراف بمكانته وفضله على الاسلام ، اما الامامة مع كونها واجبة فهي ليست من اختصاص آل البيت دون غيرهم بل هي حق مشاع بين المسلمين لا فرق بين عربي

واعجمي الا بالتقوى من الاحتفاظ بالاولوية للقرشيين ان تساووا ، وانطلاقا من المبادئ العامة لكل من الشيعة والاباضية فان احتمال الاتفاق والتقارب بين الفرقتين يبقى ضعيفا للتناقض الصارخ بين الاراء من جهة ولتعدد مواطن الاختلاف بين المذهبين من جهة اخرى وابرزها تمسك الاباضية بالمبدأ الشرعي الصحيح على حساب كل شيء مهما عظم ولو كان علي بن ابي طالب . ويقابل هذا تمسك الشيعة بمبدأ الافضلية للامام وتعظيمه ولو على حساب النص الصريح ، وفي سبيل المقارنة بين مواقف الشيعة والخوارج يذكر ابن تيمية كثيرا من الامثلة ، مع ميله الواضح للخوارج - والاباضية منهم في رايه - لانهم اقرب الى الحق من الشيعة واصدق واعقل واكثر اتباعا للحق منهم (37) وهم اهل دين ظاهرا وباطنا وان كانوا اصحاب ضلالة وجهالة ومروق - في نظره - ويذكر ان حجة الخوارج اقوى من حجة الشيعة و ان تدينهم اصح لانهم لا يكذبون (38) بينما الشيعة - كما يقرر ابن تيمية - تكذب على النبي (ص) وعلى

(37) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ، ص 182 نقلا عن ابن تيمية في منهاج السنة .

(38) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، نقلا عن ابن تيمية ، منهاج السنة ج 2 ص 197 .

الصحابة كذبا كثيرا اما الخوارج فلا يفعلون كذلك (39) وهكذا نلاحظ ان اسباب الخلاف كثيرة ودواعي الاتفاق قليلة ، ورغم ذلك لم يشهد التاريخ مشادات عنيفة بين الشيعة والاباضية كما لم يسجل التاريخ صراعات مسلحة بين الطائفتين ولعل السبب يعود في ذلك الى وجود عدو مشترك ممثلا في السلطة الحاكمة التي كانت تحارب باستمرار مذاهب الخوارج والشيعة على السواء ، ولذلك توجه اهتمام المذاهب المضطهدة الى التصدى للحكم القائم ومحاولة تغيير الاوضاع ، وسواء نجحت في مسعاها ام فشلت فان ذلك حال دون اقتتال الخوارج والشيعة فيما بينهم • واكثر من ذلك نجد اخبارا تشير الى قيام علاقات ودية بين الاباضية والشيعة ، كتلك التي ذكرها الجاحظ عن هشام بن الحكم وعبد الله بن زيد الاباضي انهما كانا متصاحبين وكانت بينهما شركة في التجارة (40) ، وليس غريبا اذا علمنا ان الاباضية يكنون لاخوانهم في الدين كل التقدير والاحترام ، فهم لا يستعرضون ولا يبادرون بالقتل الا في حالة الضرورة وبعد اقامة الحجة على خصمهم ، حسبما تنص عليه اصولهم

(39) المرجع السابق ، نفس الصفحة

(40) المرجع السابق ، ص 83 انقلاعن الجاحظ ، البيان والتبيين ج1 ، ص 54-55 •

ولدينا امثلة في تاريخ الاباضية تشير الى نواياهم الطيبة في التعايش السلمي مع مخالفيهم • ففي عهد الدولة الرستمية التجأت طوائف كثيرة من الشيعة الى الدولة الرستمية ففتحت لهم هذه الاخيرة ذراعيها ورحبت بهم واكرمتهم وعرفت لهم مقامهم الرفيع ومقام جدهم علي بن ابي طالب ، وقد وجد العلويون - وهم ابناء محمد بن سليمان العلوى اخو ادريس الاكبر مؤسس الدولة الادريسية - وجد هؤلاء في الدولة الرستمية - كما يقول أ / محمد علي دبوز (41) من الاجلال والتعظيم ما جعلهم سادة في المدن التي نزلوا فيها •

وليس غريبا عن الاباضية ان يعاملوا مخالفيهم بهذا التعامل الاخوى ، ما دامت تعاليمهم تحث على التقارب وجمع الشمل ، وقد سعى ائمة الاباضية منذ البداية على ان تكون دعوتهم عبارة عن حركة اسلامية شاملة • وبالفعل كانت كذلك فانتشرت شرقا وغربا واجتذبت عناصر مختلفة من قبائل واجناس لا فرق بين مسلم وآخر • وهذا ابو حمزة الشارى يقف على منبر الرسول (ص) بمكة ويخاطب جموع الناس من

(41) انظر محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ط 1 1963م ، ج 3 ، ص 336 - 337 •

مذاهب شتى ويقول = (الناس منا ونحن منهم الاعابد وثن وكفرة الكتاب وامام جائر) وفي خطبته بالمدينة قال = الناس منا ونحن منهم الا ثلاثة = حاكم بغير ما انزل الله و متبع له وراض بعمله (42) .

وفي ظلال هذا الشعار تعايش الاباضية والشيعة في سلام . اما عن الخلافات الفكرية فيلخصها شعبد العزيز الثميني في ثلاثة امور هي = (قولهم في الامامة بالاولى مع تركهم التخطئة لكل من ولي ، ثم تجويزهم لعلي تحكيم الحكمين وقولهم بتشريك اهل التأويل ممن زعم ان الله يرى يوم القيامة) (43) وفيما عدا ذلك يشترك فيه الاباضية والشيعة دونما خلاف ، اما الخلافات الجزئية فلا توجد مقياسا للتباين بين المذاهب وسبب للصراع بينهما .

رابعا = الاباضية و الخوارج

من هم الخوارج ؟ ما علاقة الاباضية بالخوارج ؟ ما رأى الاباضية في الخوارج ؟ هل الاباضية خوارج ؟ ...

اسئلة كثيرة تفرض نفسها في الموضوع ، تعرض لها كل باحث في تاريخ الفرق الاسلامية ، والمذاهب الكلامية

---

(42) الدرجيني ، طبقات المشائخ ، ج 2 ، 267 ، 269 .

(43) عبد العزيز الثميني ، معالم الدين (مخطوط) ، ورقة 342 في خاتمة المعالم .

رغم ذلك لم يحسم الخلاف بعد في مسألة الخوارج وعلاقتهم بالاباضية ، ولا يزال الاشكال مبسوط للبحث والتحقيق ، ما دام حول الموضوع آراء متضاربة ، ان لم تقل متناقضة ، وهذا ما يدعو الى التساؤل عما دها المؤرخين وكتاب المقالات والمشتغلين بتاريخ الفلسفة الاسلامية ان يخلصوا الى قول يفصل النزاع ويوحد الرأى ، خصوصا واحداث القضية لا تزال قريبة ومصادر تاريخها متوفرة •

والحقيقة ان مسألة كهذه لا ارى ملزما للوقوف عندها طويلا فما احوجنا للبحث فيما هو اجدر بالاهتمام في تاريخ امتنا وحاضرها ومستقبلها ، وما احوج المسلمين اليوم الى التعارف الكامل والتقارب ونبذ الخلافات المذهبية ، على ان المذهبية لا تزول بالقوة والغلبة انما زوالها بالمعرفة والتعارف والاعتراف •

تتطرق في بحثنا لمسالة الخوارج لما لها من علاقة وثيقة بموضوع البحث ، ولا نزيد على ان نعرض باختصار اهم ما قيل في الموضوع مع ابداء الرأى فيه ثم استخلاص القول الاقرب الى الحقيقة •

يقول د /عمار طالبي = ان الاباضيين المتاخرين ينكرون ان يكون مذهبهم مذهبا خارجيا اشد الانكار ويتبرأون من الخوارج اشد البراءة معارضين في ذلك

ما كتبه اصحاب المقالات وما كتبه المؤرخون ... (44)

والواقع ان انكار الاباضية تسميتهم بالخوارج لا يقتصر فقط على المتاخرين منهم ، لاننا نجد الاوائل كذلك يرفضون انتماءهم للخوارج ، واكثر من ذلك يتبرأون منهم ويكفرونهم . وهذا ما نستخلصه من رسالة عبد الله بن اباض الذى يحدد فيها موقف الاباضية من الخوارج ويتمثل الموقف في نقطتين : اولهما اعتراف ابن اباض بموالاته للخوارج واتفاقه معهم من حيث المواقف السياسية فيقول : (هذا خبر الخوارج يشهد الله والملائكة انا لمن عاداهم اعداء ولمن والاهم اولياء . ..) (45) يقول هذا بعد ان ذكر المواقف السياسية للخوارج وتتلخص في انكارهم لعثمان بن عفان ما احدث ، وانكارهم للزبير وطلحة حين نكثا ، وانكارهم لمعاوية حين بغى ، وانكارهم لعلي حين رضي بالتحكيم .

والموقف الثاني ، يتلخص في انكار ما احدثه ابن الازرق بخروجه عن الجماعة ومروقه عن الدين ، فقال : " غير انا نبرأ من ابن الازرق وصنيعه واتباعه)

---

(44) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ، ص 203 .

(45) عبد الله بن اباض ، في رسالة كتبها الى عبد الملك بن مروان ذكرها البرادى في الجواهر .

(46) ويقصد بالصنيع احداثه في الدين وبالاتباع الخوارج . ونجد الرأى نفسه عند ابي يعقوب الوارجلاني في الدليل والبرهان ، فهو يرفض اطلاق لفظ الخوارج على الاباضية رفضا قاطعا ، والخوارج عنده هم المارقة والمرجئة والقدرية ، (47) وفي ثنايا الكتاب يتهجم على الخوارج كلما ذكرهم ويبين مواطن خلافهم مع الاباضية .

ونجد من جهة اخرى ان الاباضية (قديما وحديثا) يتولون عبد الله بن وهب الراسبي ، وعروة بن حدير واخاه ابا بلال مرداس وحرقوص بن زهير السعدى وغيرهم ممن انكروا التحكيم ، ويتولى كذلك جميع الصحابة ممن شهد الفتنة اولم يشهدها . فهل يجوز بعد ذلك ان نلحق الاباضية للخوارج لانهم يوالونهم ويتفقون معهم في بعض المسائل ، ام لا نسميهم خوارج لانهم اخذوا اصول دينهم عن الصحابة الكرام والتابعين العدول ؟ او بعبارة اخرى هل يشفع في الاباضية مواقفهم المعتدلة والقريبة من آراء اهل السنة لنمنع اطلاق لفظ الخوارج عليهم رغم انحدارهم

---

(46) المصدر السابق .

(47) ابو يعقوب الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، ج 1 ، ص 15 .

من طائفة المحكمة ؟ علما ان الاتفاق حاصل بين المورخين على ان المحكمة خرجت عن معسكر علي (رض) لقبوله تحكيم الحكمين فسميت بالمحكمة لرفضها التحكيم وبالخوارج لخروجها عن سلطة علي .

ويبدو بعد الذى تقدم ذكره ان الاشكال ينحصر في لفظة - الخوارج - وما دام الامر كذلك فان الابهام سيتضح بتوضيح معنى الخروج ، وتحديد مصطلح الخوارج وبعد ذلك يسهل اطلاق الاسم على المسمى .

يتفق الكثير من المورخين على ان لفظة " الخوارج " تطلق على " المحكمة " الاولى الذين انكروا التحكيم - كما رأينا - حين خرجوا عن علي (رض) يوم صفين ، بعد انعزاله وقد كانوا اقرب مناصريه وخاصته ، فلما حاربهم بالنهروان غدت هذه التسمية تطلق على كل من حضر النهروان - ضد علي (رض) - او من قال برأيهم .

وذهب فريق آخر من الاصوليين ، وكتاب المقالات الى ان الخوارج قوم من امة الاسلام مرقوا من الدين وخرجوا عن الاسلام ، بانكارهم اصلا من اصول الدين كحالة (ابن الازرق واشياعه (...) فقد احدث وارتد وكفر بعد اسلامه) (48) . فوقع الخلط بين الخروج عن علي والخروج عن

الدين ، واصبح اهل النهروان (المحكمة) في حكم الخارجين عن الدين ، ولا يخلو هذا الحكم من الصدق باعتبار ان المارقين - او الخارجين عن الدين - صادف ان ظهروا ضمن جماعة النهروان - فيما بعد - مما سهل على كتاب المقالات - في بلاط بني امية وبني هاشم - ان ينعتوا اهل النهروان بالمارقين وذوي الاهواء وسموهم "خوارج" .

والقول الثالث في الموضوع يفسر الخروج (بالجهاد في سبيل الله) (49) استنادا الى قوله تعالى = "ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله" (50) .

فاذا بحثنا في التاريخ بقصد ايجاد مكانة الاباضية ضمن هذه المدلولات لكلمة الخروج وجدنا آراء متعددة لكنها تنحصر في النهاية بين موقفين اساسيين اولهما الحكم على الاباضية بانها فرقة من الخوارج وثانيهما ان الاباضية ليست من فرق الخوارج ، فاين المصيب من المخطئ في هذين الحكمين ؟ .

---

(48) عبد الله بن اباض في رسالته الى عبد الملك بن مروان .

(49) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 1 ، ص 19 .

(50) سورة النساء ، الآية 100 .

اما اتباع ابن اباض وخاصة المتأخرين منهم فانهم يرفضون انتسابهم للخوارج ، ويدافعون عن ذلك بقوة في حين نجد منهم من يغض الطرف عن ذلك ويقبل بالتسمية على ان المقصود بالخروج للجهاد في سبيل الله او الخروج سياسيا لا خروجا عن الدين ومروقا منه (51)

آراء الاباضية في الخوارج

نقتصر الكلام على ذكر آراء الاباضية في الخوارج لتحديد موقفهم من القضية ، ولا نذكر آراء مخالفيهم لسببين = اولهما وضوح موقف المخالفين واجماعهم عليه والمتمثل في ان كلمة الخوارج تطلق على الخارجين عن علي (رض) (52) ومنهم الاباضية فهي فرقة من الخوارج ثانيهما ان المقام لا يتسع لمناقشة هذه المسالة لاتساعها وتشعبها ، اذ ليس بحثنا في التاريخ •

يقول عبد الله بن اباض (53) في تعريفه للخوارج = (هم اصحاب عثمان الذين انكروا عليه ما احدث من بدعته وفارقوه •••وهم اصحاب الزبير وطلحة حين نكثا واصحاب معاوية حين بغى ، وهم اصحاب علي بن ابي طالب حين بدل حكم الله ، فهم فارقوا هؤلاء كلهم

(51) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، جـ 1 ، ص 30 •

(52) المرجع السابق ، من ص 15 الى 30 •

(53) له مواقف كلامية وجدالية ، ولد في زمن معاوية وتوفي في زمن عبد الملك •

وابوا ان يقروا بحكم البشر دون حكم الله وكانوا يتولون في دينهم نبي الله (ص) وابابكر وعمر رضي الله عنهما ويدعون الى سبيلهم ، فهذا خبر الخوارج نشهد الله انا لمن عاداهم اعداء وانا لمن والاهم اولياء (...) بالسنتنا وايديـ ـتنا وقلوبنا (...) غير انا نبرأ من ابن الازرق وصنيعه واتباعه (54) .

فقد اقر عبد الله بن اباض انه يلتقي مع الخوارج حين خرجوا عن الائمة الذين بدلوا حكم الله بحكم البشر ،وفي نفس الوقت يعلن براءته ممن خرج عن الدين فتفهم من كلامه انه لم يحشر نفسه مع الخوارج فهو ليس منهم لكنه يوافقهم في رأيهم .

لكن الشيخ علي يحيى معمر (1915-1979) يخالف ابن اباض في رايه وهو يرى ان مدلول الخروج لا يلاحظ فيه المعنى السياسي الشوري ولذلك لم تطلق هذه الكلمة على قتلة عثمان ، ولا على معاوية وجيشه ولا على ابن فندين (55) بل ويذهب الى أكثر من ذلك وينكر ان تكون كلمة الخروج معروفة ايام صفين ، حتى ان الفرق الخارجة عن الدين كالازارقة والنجدات لم تتميز حينذاك عن

(54) عبد الله بن اباض في رسالته الى عبد الملك بن مروان ، البرادى الجواهر المنتقاة

(55) ابن فندين انكر امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، سنة 171هـ ، على يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، حلقة 1 ، ص 33 .

لكان اصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير اليه لكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول)) (61) •

اذا فالخوارج في نظر الاباضية هم الازارقة والنجدات والصفرية كانوا مع الاباضية فخرجوا عنهم بخروجهم عن الدين لما قالوا بتحليل الاموال والدماء بالمعصية •

والحديث الوارد في الخوارج انما كان المقصود منه هؤلاء ، لان في آخر الحديث (يستحلون الاموال والدماء بالمعصية ، والاباضية لا تستحلها) (62) •

اما الشيخ السالمي العماني (1286هـ - 1332 هـ) فانه يقر بخروج الاباضية لكن بمفهوم الجهاد في سبيل الله ، يقول في هذا الصدد = ((ولما كثر بذل نفوسهم - اى الاباضية - في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف ••• سموا بالخوارج جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله اخذا من قوله تعالى (ولو ارادوا الخروج لاعدوا له •••) فهذه هي اصل تسميتهم بالخوارج وهي تسمية محمودة وسبب مشكور ، ولما فارقتنا الازارقة والصفرية اخذوا عنا اسم الخروج (•••) وانقلب المدح ذما واختصصنا باسم اهل الاستقامة)) (63)

---

(61) محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الملوك والامم ، جـ 4 ، صـ 440 •

(62) محمد بن يوسف اطفيش ، الرد على العقبي ، صـ 25 •

(63) نور الدين السالمي ، في هامش الرد على العقبي للقطب ، صـ 26 •

المحكمة ، ويستدل في ذلك بحديث ام نافع بن خليفة = ((ان الناس يومئذ على ثلاثة اصناف ، صنف جبابرة واتباعهم ، وصنف فساق يشربون النبيذ ويضيعون الصلاة ... وليس هنالك صفرية ولا ازارقة ولا شكاك وانما الذين يسمون القراء ...)) (56) .

ونجد الرأى نفسه عند الشيخ التعاريتي الجربي الوهبي (اوائل ق 14هـ) حين يقول ردا على الشيخ محمد ابن مصطفى مفتي طرابلس (اوائل ق 14 هـ) = ((وقولك انهم من جملة الخوارج باطل)) (57) وهو يعني بالخروج السياسي لانه يقول فيما بعد ((ولا نقول بالخروج عن سلاطين الجور ...)) (58) وعن الخوارج دائما يقول ابو يعقوب يوسف الوارجلاني (توفي 570هـ/ 1174م) ((وزلة الخوارج نافع بن الازرق وذويه حين تاولوا قوله تعالى = وان اطعتموهم انكم لمشركون (59) فاثبتوا الشرك لاهل التوحيد ...)) (60) . وقد رأينا ان عبد الله ابن اباض قد تبرأ من ابن الازرق لما بلغه موقفه فقال ((قاتله الله ، من رأى راى نافع بن الازرق لوكان القوم مشركين

---

(56) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق ، ص 384 .

(57) سعيد التعاريتي ، السلك المحمود في معرفة الردود ، ص 34 .

(58) المرجع السابق ، ص 34 .

(59) الانعام ، الاية 121 .

(60) ابو يعقوب يوسف الوارجلاني ، الدليل والبرهان لاهل العقول ،جـ 1 ص15

هذه آراء الاباضية في الخوارج - مجملة باختصار - قد تبدو لاول وهلة مختلفة حينا ومتوافقة حينا آخر لكن سرعان ما يزول الاختلاف حينما تاخذ مدلول كلمة الخروج بعين الاعتبار ، حيث لا تنصرف عن هذه الدلالات الثلاثة =

1 - الخروج من الدين وهو انكار الثابت القطعي من احكام الدين ، او مخالفة المقطوع به من النصوص •

2 - الخروج السياسي وهو نقض البيعة لاسباب مشروعة او غير مشروعة •

3 - الخروج في سبيل الله واعلان الثورة ضد الظلم والكفر ، اعلاء لكلمة الله ، امتثالا لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله (64)

واذا حكمنا العقل ، للنظر في شان الاباضية وما يناسبها من المدلولات السابق ذكرها ، لقلنا =

اما الخروج بالمدلول الديني فان التاريخ لم يثبت للاباضية مروقا ولا فسوقا ، فعقيدتهم واصولهم ليس فيها ما يقدح وهي مدونة في امهات الكتب ، فهم ليسوا خوارج اذن • (+)

اما الخروج بالمدلول السياسي فقد ثبت ان اهل

---

(64) سورة النساء ، الاية 100 •

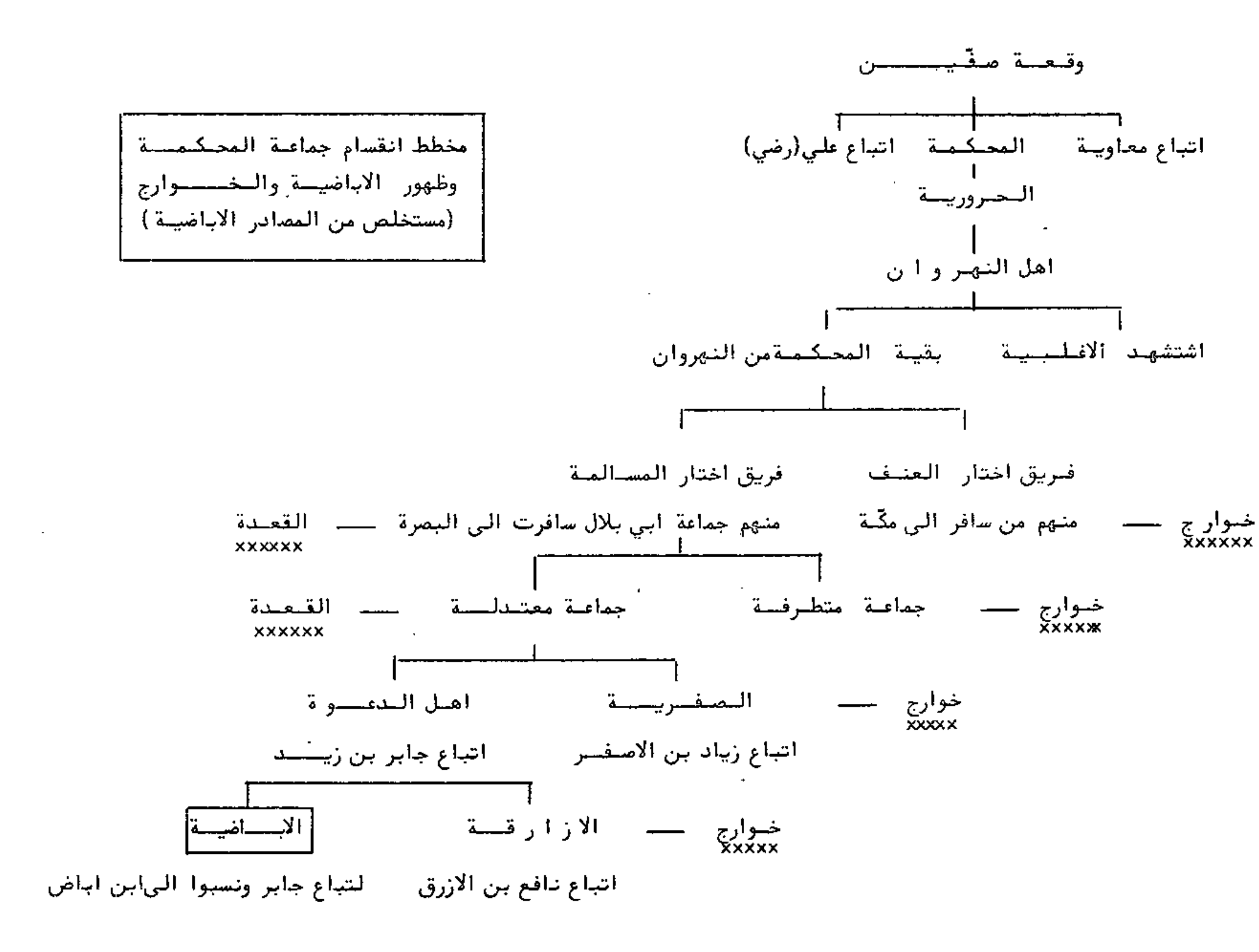
(+) باعتراف الائمة المخالفين •

النهروان فارقوا عليا والاباضية منهم ، وكان ذلك اجتهادا منهم على ان البيعة قد سقطت عن اعناقهم بعد ان ظهر عجز الامام وفقده للحركة السياسية واصبح لا يتمتع بالاهلية والكفاءة ورضي بالتحكيم وما ينجم عنه ، وليس في هذا الخروج مساس بالعقيدة . على (ان اطلاق اسم على مجموعة من الناس ليس بذي اهمية اذا كان هذا الاطلاق مجرد تسمية) (65) .

اما الخروج للجهاد فمطلب عظيم وغاية شريفة ومن لا يتمنى ان يقع اجره على الله وهو خارج في سبيله ولذلك لم يدخر الاباضية جهدا في طلب الشهادة وقد خرجوا ورغّبوا للخروج جهادا في سبيل الله .

---

(65) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 1 ، ص 20 .


مخطط انقسام جماعة المحكمة
وظهور الاباضية والخوارج
(مستخلص من المصادر الاباضية)
وقعة صفين
اتباع معاوية
المحكمة
اتباع علي(رضي)
الحرورية
اهل النهروان
اشتهد الاغلبية
بقية المحكمة من النهروان
فريق اختار العنف
فريق اختار المسالمة
خوارج
xxxxxx
منهم من سافر الى مكّة
منهم جماعة ابي بلال سافرت الى البصرة
القعدة
xxxxxx
خوارج
xxxxx
جماعة متطرفة
جماعة معتدلة
القعدة
xxxxxx
خوارج
xxxxx
الصفرية
اتباع زياد بن الاصفر
اهل الدعوة
اتباع جابر بن زيد
خوارج
xxxxx
الازارقة
اتباع نافع بن الازرق
الاباضية
لتباع جابر ونسبوا الى ابن اباض

خامسا = دعوة الاباضية الى التقارب ونبذ الخلافات

يغلب على ظن الكثير من الباحثين والدارسين للفكر الاسلامي ان الاباضية فرقة خارجية تفضل الانطواء والانغلاق حول نفسها وتؤثر العزلة على الاحتكاك بغيرها من الفرق (66) واكثر من ذلك وصف المؤرخون وكتاب المقالات اتباع الاباضية بانهم اهل بدع واهواء وضلال (67) ونعتوهم بالمروق والغلو والتعصب ، و لا غرابة في ذلك لامرين =

الاول = اعتماد المؤلفين على مؤرخي الفرق وكتاب المقالات ، الذين يكتبون ويؤرخون انطلاقا من موقف مبدأى الدفاع عن كيان الدولة والتأييد الدائم للسلطة الحاكمة سواء أكانت اموية اوعباسية ، ولهذا ينبغي على الكاتب ان يتصدى لكل التيارات المعارضة لنظام الحكم القائم وعليه ان يثبت - باى طريقة - ان الاقلية الخارجة عن السلطة هي كذلك خارجة عن الدين ، وحيث ان الاباضية تقرر اصولها السياسية بان الخلافة منصب مشاع بين الناس يحق لكل مسلم اذا توفرت فيه

(66) انظر اجناس جولد ستيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى عبد العزيز عبد الحق ، علي حسن عبد القادر ، دار الرائد العربي بيروت ، د تا ص 174 •

(67) الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، ص 156 ، عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص 55 ، 82 ، وانظر كتاب الملل والنحل ، ص 57 ، 79 •

الاهلية والكفاءة ان يتولاه ، وهذا يعني = المعارضة الصريحة لنظام الحكم القائم على الوراثة ، ولاجل ذلك عاشت الاباضية حياة الاضطهاد في كثير من مراحل تاريخها مما اضطر اتباعها الى الدخول في الكتمان واخفاء امرهم الى حين استجماع قوتهم ماديا وفكريا ولعل هذا ما يفسره البعض بالانزواء والانغلاق •

الثاني = عدم اطلاع الدارسين على تآليف الاباضية والرجوع الى مصادرهم عوض الاكتفاء بتآليف المخالفين • ولعل السبب في ذلك يعود الى نقص المصادر الاباضية وان صح هذا فسبب الظروف الصعبة التي كان يعيشها الاباضية - كما اشرنا -

ومهما يكن من امر فان الباحث لا ينكر ما لاقته الاباضية من اضطهاد من طرف الحكام او بعض وكره من طرف المذاهب الاخرى او تحامل واتهام بالزيغ ونعت بالخروج عن الدين من طرف المورخين وكتاب المقالات ورغم ذلك كله يتقبل الاباضية ذلك بحسرة ولا يقابلون بالمثل الا نادرا ، في حالة الدفاع عن النفس اذا كان الامر اقتالا او دفاعا عن الدين اذا بلغ الامر انتهاكا لاصل من اصوله ، او تعد لحد من حدود الله •

وفيما عدا ذلك فالتسامح والتجاوز عن الهفوات وكظم الغيظ من شيم الاباضية حرصا على التآلف

والتقارب وجمع الشمل ، اما الخلافات المذهبية فتراها الاباضية ناتجة عن الاجتهاد المشروع ومحاولة فهم الشريعة الاسلامية كتاب الله وسنة رسوله ، وهي المنبع الوحيد الذي تاخذ منه جميع الفرق ، وانطلاقا من هذا المفهوم يرى الاباضية والمعاصرون خاصة = ان عهد المذهبية قد ولى وزمان الصراعات بين الفرق الاسلامية قد فات اوانه ، وانه ينبغي الاعتراف (ان جميع الفرق والمذاهب الاسلامية تقف متساوية على صعيد واحد فليس فيها فرقة افضل من فرقة ولا مذهبا خير من مذهب)(68) (والحقيقة التي لا سبيل الى انكارها ان المسلمين في حاجة الى التقارب الكامل في هذا العصر الذي تيسرت فيه وسائل اللقاء وفي حاجة الى ان يطلعوا جميعا على الحق الذي حمل كل فريق جانبا منه) (69) •

والواقع ان كل فرقة اسلامية قد ساهمت في خدمة الاسلام من زاوية معينة ، فلا ينبغي لفرقة ان تعتبر نفسها ممثلة الاسلام وغيرها تابع•

وحيث ان الفرق نتجت عن اختلاف العلماء واجتهاداتهم ، فان الآراء التي استخلصوها لا تخلو من الهفوات • ففي

---

(68) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص 5 •

(69) د / عمر خليفة النامي ، مقدمة تحقيقه لكتاب قناطر الخيرات لاسماعيل الجيطالي جـ 1 ، ص 4 •

علم كل عالم مأخوذ ومتروك ، وعليه فالاجدى بالمسلمين اليوم ان يبحثوا في ايجابيات الفرق ويستثمروها ويغضوا الطرف عن سلبيات المذاهب ما دام الاشتغال بها يورث الفرقة والصراع ، ولا ينكر احد ان لكل فرقة اسلامية حسنات على الامة ، لخصها ش/ علي يحيى معمر فيما يلي (70) =

فضل الشيعة على الامة جهدهم في اثبات حق آل البيت في الحياة وفي الحكم ولولا الشيعة لقضى جبروت بني امية على بني هاشم •

ومزية الخوارج كفاحهم المرير لما استنام المسلمون وسكتوا عن الانحراف بدولتهم من الخلافة الى الملكية فقاوموا تسلط الديكتاتورية الملكية على الحكم في الاسلام واخراجه من نظام الشورى الى نظام الملك العضوض •

ولولا المعتزلة لكانت الفلسفة القديمة بما اوتيت من براعة الجدل وذكاء التمويه قد استطاعت ان تنحرف بعقيدة المسلمين عن الاسلام •

ولولا الاباضية لما كانت هناك حلقة في الاعتدال والتوسط بين الفرق المتطرفة ، فقد حاولت تقليل التباعد بين الاراء سواء في العقيدة او السياسة •

---

(70) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص 373 ـ 375 •

ولولا اهل السنة الذين ناصروا الدولة الاموية ثم العباسية لما بلغ العرب ما بلغوا من حضارة قوامها الاسلام اعطت دفعا قويا للحضارة الانسانية .

ولولا الظاهرية والحنابلة الذين تمسكوا بالنص واعتمدوا عليه دون العقل لما خدمت النصوص الاسلامية على هذا المستوى العلمي الدقيق الذى نفتخر ونعتز به .

ولولا النزعة العقلية المتحررة من الفقهاء المعتمدة على العقل والمنطق في مناقشة النصوص والآثار لبقي الفقه الاسلامي تحت اثقال من الركود والجمود .

هذا هو الاطار العام الذى يشمل الفكر الاسلامي وتتفق فيه الفرق الاسلامية كل واحدة بما تحمل من شعارات خاصة . فالكل متكامل والكل يخدم الوحدة الاسلامية . وهذا هو رأى الاباضية في طبيعة الفكر الاسلامي الذى ينبغي ان يكون حركة انسانية شاملة تذوب فيها العصبية والطائفية لتحل محلها القناعات المذهبية التي تكمل بعضها البعض لتخدم الاسلام والمسلمين .

الفصل الرابع

الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (قطب الائمة)
(1236 ـ 1332هـ/ 1818ـ1914م)

اولا : حياته

ا ـ نشأته وتعليمه

ب ـ شخصيته

جـ ـ تلاميذه

د ـ موقفه من الاستعمار الفرنسي

ثانيا : تآليفه

ثالثا : فكره

ا ـ المنحى الكلامي

ب ـ فلسفة العلوم

جـ ـ المنحى الاخلاقي والجمالي

اولا - حياته

ا - نشاته وتعليمه

في بلدة ((آت يسجن)) (1) احدى قرى وادي ميزاب (2) ولد الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح ابن عبد الرحمن بن عيسى اطفيش (3) سنة 1236هـ / 1818م (4) ، توفي والده في كهولته فذاق الابن طعم اليتم منذ سنه الرابعة ، لكن امه بالغت في الحنو عليه وعوضته برعايتها وحسن تربيتها ما فقده من ابيه (5) فلما توسمت فيه بوادر النبوغ ، وشهدت فيه الذكاء والفطنة ، عهدت به الى احد المؤدبين لحفظ القرآن فختمه واتقن حفظه وهو ابن ثماني سنوات) (6) واسرع الطفل الى دور العلم فزاحم بالركب زملاءه في حلق العلم ، واظهر ميلا قويا لحضور مجالس العلماء ، فنال المبادئ الاولى في اللغة وعلوم الدين .

(1) وتسمى ((بني يزقن)) تقع في ولاية غارداية ، تاسست عام 1321م من اندماج خمسة قرى قديمة على مقربة من المدينة الحالية وهي = تيريشين ، موركي ، اجنوناى ، تافلالت ، بوكياو . حسبما جاء في رسالة شراطفيش .

(2) قرى وادى ميزاب هي = تاجنينت ، بنورة ، مليكة ، غارداية ، آت يسجن ، القرارة بريان .

(3) يذكر الشيخ ابو اسحاق ان نسب شراطفيش ينتهي الى ابي حفص عمر بن الخطاب ، انظر ترجمة القطب في مقدمة الذهب الخالص . اما د/ محمد

وعند رجوع اخيه الاكبر الشيخ ابراهيم بن يوسف اطفيش من رحلته العلمية في المشرق انقطع اليه الشيخ محمد اطفيش فاتم على يده دراسته الثانوية واخذ كل مفاتيح العلوم الشرعية والعربية كما درس عليه المنطق والحساب والفلك ، ودرس عنه التفسير والحديث والفقه واصول التشريع وعلم الكلام ، وفي العربية والنحو والصرف والبلاغة والعروض ، كما درس التاريخ الاسلامي وتاريخ العالم كله (7)

وكان استاذه الشيخ ابراهيم اطفيش قد رحل الى المشرق لطلب العلم بعد ان تخرج في ((آت يسجن)) على تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني (1130هـ/1718م - 1223هـ /1808م) . وفي المشرق اقام في عمان مدة يتخصص في الشريعة واللغة العربية على علمائها ثم رحل الى مصر واقام فيها اربع سنين لطلب العلم في الازهر (8) ولما عاد الى وطنه الجزائر انتصب للوعظ والتدريس في ((آت يسجن)) الى ان توفي

... علي دبوز فينهي نسب القطب الى عمر بن حفص الهنتاتي واليه تنتسب العائلة الحفصية المالكة في تونس بعد الموحدين ، وهو من قبيلة مصمودة البربرية . انظر نهضة الجزائر جـ 1 ، صـ 290 .

(4) راجع = ابي اسحاق ابراهيم اطفيش ، الدعاية الى سبيل المؤمنين ، صـ 107 ، وكذلك محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، جـ 1 ، صـ 290 ، وكذلك الذهب الخالص ، صب .

حوالي 1310 هـ ، وترك تلاميذ كثيرين منهم الشيخ محمد اطفيش

ومما يروى عن ذكاء الشيخ اطفيش وشدة نبوغه انه لايكاد يبدأ الكتاب في فن جديد ... حتى يختم الكتاب بنفسه دون حضرة شيخه ، وكان يقول لاستاذه = ((حسبي من دروسك ؛ ان شئت قررت الابواب كلها وشرحت لك ما فيها)) (9) ولما اشتد عوده واستساغ حلاوة العلم ، شمر عن ساعديه واعتمد على نفسه في طلب العلم فاقبل على المكتبات يلتهم المعرفة من بطونها (وكان لا يسمع بخزانة حافلة الا ويتخذ كل الوسائل للاطلاع عليها فيستعير نفائسها ليدرسها واذا تعذرت الاستعارة بذل اكبر الاجور لمن ينسخها له من اهل البلد) (10) . ومن حسن حظه ان دعاه نجل الشيخ عبد العزيز الثميني ليقدم له خزانة والده قائلا له = (هذه كتب والدى ومؤلفاته تحت تصرفك فخذ منها ما شئت واقرأ اى وقت شئت) (11) . وهكذا وجد الشيخ نفسه امام عدد

(5) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، جـ 1 ، ص 290 .

(6) المرجع السابق ، جـ 1 ، ص 290 .

(7) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، جـ 1 ، ص 301

(8) المرجع السابق ، ص 285 .

(9) المرجع السابق ، ص 301 .

(10) المرجع السابق ، ص 304 .

(11) تعتبر خزانة الثميني اول الخزائن التي حصل القطب عليها ودرسها فكونته

من خزائن الكتب (12) فلم تتق نفسه الرحيل الى خارج الوطن طلبا للعلم ، واكتفى بما لديه وما حوله وما ياتيه من مصادر العلم والمعرفة ، وما كاد يصل الخامسة عشر من عمره حتى جلس للتدريس، مع اخيه وشيخه في المدرسة ، ولما بلغ العشرين كان اكبر عالم في وادى ميزاب ففتح دارا للتعليم ، وعكف على التاليف وشمر للاصلاح الاجتماعي والسير بالنهضة الحديثة • (13) وليس هذا بالامر الهين على مفكر اعتزل نشأ في وطن عظمت فيه المحن وانعدمت وسائل الراحة وقلت مذكيات المواهب • بل عاش في وسط كثير الفتن اشتدت فيه وطأة الاضطهاد للعلماء العاملين وقويت فيه شوكة الذين يستنكفون عن قبول الحق والامتثال للواجب (14) فليس قليلا ما لاقاه من اضطهاد حتى اخرج من بلدته ، لكن عزيمته لا تزيد الا صلابة ، فما يزال يذود عن الدين بالنصح

لذلك نجده ينوه بالشيخ عبد العزيز الثميني ويثني عليه ويذكر فضله عليه ويراه اكبر اساتذته من ناحيتين ، اولاهما دراسته على تلاميذ الثميني وثانيهما دراسته لتآليفه • انظر محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة جـ 1 ، ص 285 •

(12) من خزائن الكتب التي حظي بها القطب خزانة زوجته التي ورثها عن ابيها وكان عالما ، خاطبت هذه الزوجة تلاميذ القطب من وراء ستار وفي ليلة زفافها قائلة (اشهدوا انني قد وهبت خزانة الكتب وهذه الدار للقطب

والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتنقيح العلوم بالتدريس والتاليف ، الى ان انتقل الى عالم الارواح عند تنفس الفجر ليوم السبت 23 ربيع الثاني 1332هـ/1914م (15) عن عمر يناهز 96 عاما في خدمة العلم والاسلام •

ب ـ شخصيته

تحدث العديد من الكتاب والعلماء حول شخصيته القطب ، واطالوا في ذكر مناقبه ونشاطه الفكري والاجتماعي ، واغلب المتحدثين عنه من المشرق ومن سلطنة عمان خاصة ، ولعل المشارقة كانوا اكثر اهتماما بالقطب من ابناء طينته في المغرب ،سواء في عصره اوفي ايامنا فلم يالوا جهدا في جمع تراثه وطبعه ونشره ، وهذا مما يدل على علو مكانته بين علماء المشرق (فقد ذاع صيته حتى صار مرجع المسلمين في جميع الاقطار في مشكلاتهم) (16) ، مما

فهما ملك له) انظر محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر ، جـ 1 ، ص 305 •

(13) محمد علي دبوز ،نهضة الجزائر الحديثة ،جـ 1 ، 302 •

(14) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، صـأ من مقدمة لكتاب الذهب الخالص للشيخ محمد اطفيش •

(15) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، الدعاية الى سبيل المؤمنين ، ص 109 •

(16) المصدر السابق ، ص 108 •

يقول فيه شاعر (17) =

هو الكامل المرضي والفاضل الذى تدين لعلياه السراة الاكابر
همام غدا بالمغرب اليوم آية وبالمشرق انقادت اليها الخواطر

وفي موضع آخر يقول =

وجرى شذاها في الرياض كما جرى فضل ابن يوسف سائر الاقطار (18)

ولم يكن القطب عظيما بين العلماء فحسب بل كان ذا منزلة سامية لدى الملوك ، وخاصة السلطان عبد الحميد الثاني (1824م/1918م) (19) وسلاطين عمان (20) وزنجبار (21) ومنهم من اهدى له الاوسمة اكراما له (واعترافا بمنزلته السامية في العلم والدين) (22).

كان شديد المقاومة للبدع ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، شديد الغيرة على الدين ، لا يخاف في الله لومة لائم ، (23) ولا يهاب جبارا ولا يعظم لديه خطر

(17) الشاعر الشيخ محمد بن شيخان العماني ، اكبر شعراء بني قحطان .

(18) مقدمة الذهب الخالص ، ص = حـ ، ط .

(19) سلطان عثماني (1876 ـ 1909م) تربطه بالقطب مراسلات عديدة .

(20) سلطنة مستقلة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية 212،370 كلم2 وعدد سكانها اكثر من مليوني نسمة ، عاصمتها مسقط ، واهم مدنها مطرح وصور ، ونخل ، ونزوى وصحار وظفار ، احتلها البرتغاليون سنة 1508م فاجلوهم اليعاربة ، اقتصادها قائم على الزراعة والصيد والبترول .

(21) زنجبار (Zanzibar) جزيرة في المحيط الهندى مقابلة لتنغانيكا تؤلف مع جزيرة بمبا وتنغانيكا دولة تنزانيا ، عاصمتها دار السلام .

ذا مهيبة و وقار ، قوى الارادة حصيف الرأى (24) حريص على وحدة المسلمين ، كثير الدعاء بالنصر للامة الاسلامية . يرى من الواجب ان يكون الاسلام في عز واهله في منعة ، ويرى أن كل ما يلم بشعب اسلامي كائنا من كان من الارهاق فهو نكبة اصابت الامة (25) ولذلك يعتبر خدمة الاسلام والمسلمين من اكبر الواجبات التي يجب ان يتحملها ومن هنا كانت افكاره تتسم بالموضوعية (لا يتعصب لمذهب اسلامي فيحصر فيه نفسه ، فهو كثير الدراسة لكتب المذاهب الاسلامية كلها (...) وفي تاليفه يعرض بامانة اقوال المذاهب فيناقشها في نزاهة ويقارن بينها) (26) ونجده في ذات الوقت يعتد بمذهبه ايمانا منه بصحة آرائه فيقول ((نحن اهل تحقيقا لا تقريبا فقط (27) ولسنا نستكمل بغيرنا (...) وان كلام

(22) ابراهيم اطفيش ، الدعاية الى سبيل المؤمنين ، ص 108 .

(23) المصدر السابق ، ص 108 .

(24) ابراهيم اطفيش ، مقدمة الذهب الخالص ، للقطب ص د .

(25) المصدر السابق ، ص ج .

(26) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ج 3 ، ص 306 .

(27) ردا على القائلين = ان الاباضية اقرب المذاهب الخارجية الى السنة .

الادرعي (   ) وابن حزم (994 ـ 1063م) وابن خلدون (732 ـ 808 هـ / 1332 ـ 1406م) وابن حجر (ت 852 هـ / 1449م) كلام خير فينا لا كلام سوء) (28) وهو يقصد بهذا اظهار مذهبه على حقيقته وازالة الحواجز بين الفرق لانها تعود الى اصل واحد هي كتاب الله وسنة رسوله (ص) • ويظهر ايمانه بوحدة المسلمين واخلاصه للدين في قوله =

وربي معمور بحب محمد   وآل وصحب والدموع عباب (29)

كما يظهر ايمانه الصادق بالعمل والجهاد من اجل توحيد كلمة المسلمين وجمع ما تفرق من الامة في قوله :=

فق الناس حتى انهم انت كلهم   وكن لهم داودا وغيرك جنحابا (30)

وسعيا لتحقيق هذا الشعار كرس الشيخ اطفيش حياته لنشر العلم وخدمة الدين ، فاخذ منه ذلك كل وقته حتى حرم نفسه من الراحة فكان يقضي معظم ليله يؤلف لا يعرف النوم (31) الا قليلا ، يغتنم اقصى ما يمكن من وقته فكان يؤلف في السفينة (32) اثناء رحلته

---

(28) سالم السيابي ، ازالة الوعثاء •••• ص54 نقلا عن شاطفيش في الرد على العقبي •

(29) شاطفيش ، الذهب الخالص ، (المقدمة) ، ص = هـ •

(30) المصدر السابق ، ص = ج ، يريد بالطود الجمل العاصم وعليه يرتقي الناس ويهتدى به • اما عبارة جنحابا فغير واضحة ، عله يقصد الاجنحة ليسمو بها

الى الحجاز ، (وكان يكتب او يقرأ وهو على دابته مسافرا الى البادية) (33) •

وحرصا على حسن استغلاله للوقت نظم حياته اليومية تنظيما دقيقا ، فبلغ معدل ساعات العمل أكثر من 16 ساعة (34) موزعة كالآتي =

من صلاة الفجر الى طلوع الشمس = درس للعامة في المسجد •

فترة قصيرة بعد طلوع الشمس = يلم بدار احدى زوجاته لفطور خفيف •

بين الفطور والزوال = دروس منتظمة للتلاميذ في حلقات واذا لم تكن يجلس للتلاوة الى العصر

فترة قصيرة بعد العصر = يلم بندوة العزابة يعرضون عليه اهم المشاكل للادلاء برايه فيها •

بين العصر والمغرب = يستقبل الناس في مكتبه للاجابة على اسئلتهم ، واصدار الفتاوى •

بين المغرب والعشاء = يراجع ويستحضر ما يحتاج اليه للتاليف

بين العشاء والهزيع الاخير من الليل = يتفرغ للتاليف • (35)

ذلك هو النظام اليومي لنشاط القطب خلال ايام

(31) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج. 1 ، ص 309 •

(32) المرجع السابق ، ص 309 •

(33) المرجع السابق ، ص 308 •

(34) المرجع السابق ، ص 308 •

(35) ملخص عن أ/ محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 1 ، ص 309- 310 •

الاسبوع لما بلغ درجة الاجتهاد ، اما يوم الجمعة فقد يخصصه للاستراحة احيانا فيذهب في الصباح الى بستانه •

ج - تلاميذه

تتلمذ على يد القطب نخبة طيبة من المشايخ جاؤوا من كل قرى الوادى طلبا للعلم والمعرفة ، فوجدوا اقبالا وحفاوة كما وجدوا علما وادبا ، وفي جو من الجد والانضباط والحرص على التحصيل ، تخرجوا ، فمنهم من واصل السير في طلب العلم ونال ، ومنهم من تفرغ للعمل الاجتماعي وخدمة الصالح العام ، ومنهم من شمر للعمل في الميدان الاقتصادى في الزراعة والتجارة والكل تجمعهم النية الصادقة والعزم الخالص لخدمة الدين وقيادة النهضة الاصلاحية حيثما حلوا وارتحلوا •

وتجدر الاشارة الى ان الآثار الحميدة للتربية والتكوين في معهد القطب قد ظهرت في كل من الجزائر وتونس وليبيا ، عن طريق تلاميذ القطب وتلاميذهم •

ومن تلاميذ القطب البارزين نذكر - على سبيل المثال - ش•ح •عمر بكلي ، وش•ح • داود بن سعيد ابن يوسف من العطف (36) وش•ح • صالح عمر ، وش• سليمان ابن امحمد ابن ادريسو من بني يسجن • وش• الحاج

الناصر بن ابراهيم الداقور ، وش• اعمارة بن صالح موسى المال من بريان (37) وش• بابكر بن الحاج مسعود ، وش• ح • يوسف حدبون من غارداية (38) ، وش• ح • ابراهيم الابريكي وش• ح • عمر بن يحيى ، وش• ح • محمد القاضي من القرارة (39) وش• سليمان باشا الباروني واخوه ش• يحيى من ليبيا (40) •،

ومن تلاميذ القطب الذين ساهموا في بعث النهضة الاصلاحية خارج الجزائر نذكر ابن اخيه ش• ابراهيم بن يوسف اطفيش (ابو اسحاق) في القاهرة (41) وش• ابراهيم ابن عيسى ابو اليقظان (42) وش• محمد بن ح • صالح الثميني ، وش• صالح بن يحيى بن ح • سليمان (43) في تونس •

---

(36) انشئت مدينة العطف ، واسمها بالبربرية (تاجنينت) سنة 402هـ/1012م •

(37) تاسست مدينة بريان عام 1679م وتبعد ب 45 كلم عن غارداية مقر الولاية •

(38) انشئت غارداية سنة 477هـ /ق 11م ، وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600 كلم جنوبا •

(39) انشئت القرارة سنة 1630م ،تبعد عن غارداية (مقر الولاية) بحوالي 118كلم

(40) توفي سليمان الباروني في بمباي بالهند ، يوم 23 ربيع الاول 1359 هـ ، الموافق لفاتح ماى 1940م ، انظر تاريخ حياته في كتاب سليمان الباروني باشا في اطوار حياته ، لابي اليقظان الحاج ابراهيم ،مط العربية ، الجزائر 1956م ، جـ 1 ، جـ 2 ،

(41) ولد ابو اسحاق ابراهيم اطفيش في بني يسجن سنة 1887م ودرس على قطب الائمة ، نفاه الاستعمار الفرنسي الى تونس لوطنيته ثم نفاه ثانية الى

د ـ موقفه من الاستعمار الفرنسي

الامة الجزائرية امة مسلمة ، والاوربيون امة مشركة كافرة . واستعمار الفرنسيين للجزائر يعني قهر المسلمين ومحاربة الاسلام . من هذا المنطلق يرفض ش. اطفيش تواجد الكفار على ارض الاسلام وبالتالي يمقت ظاهرة الاستعمار في اي شكل من اشكاله ، ويعز عليه ان يهضم شعب اسلامي ويسلب حريته او يناله ادنى ضيم (43) ولذلك قارع المستعمر بكل ما اوتي من من حيلة ، حتى انه دخل في حرب ديبلوماسية مع الفرنسيين حين ساروا لاحتلال منطقة ميزاب سنة 1882م . فقام القطب وانصاره يعارضون الاحتلال واحتج القطب لدى قائد الحملة بكل جرأة وانكر عليه نقض المعاهدة (44) وافهمه ان ميزاب في غنى عنه

مصر ، وفي القاهرة اصدر مجلة المنهاج سنة 1925م لمناهضة الاستعمار الفرنسي ، وبقي في دار الهجرة حيث كان يعمل مصححا بدار الكتب المصرية الى ان توفاه الله بها سنة 1965م (د . محمد ناصر ، ابو اليقظان وجهاد الكلمة ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1980م ص 16) انظر ايضا محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 2 ، ص 38 .

(42) توفي في تونس عام 1367هـ ، الموافق لـ 1948/1/5م ، راجع تاريخ حياته في نهضة الجزائر الحديثة ، محمد علي دبوز ، ج 2 ، ص ص 38ـ40

(43) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، في مقدمته للذهب الخالص ، ص ج .

(44) تنص المعاهدة على ان يبقى المزابيون احرارا لا تتدخل فرنسا في جميع شؤونهم .

وعن خدمات دولته وانهم لا يرضون بالاحتلال واسمعه كلاما قاسيا (...) فخاف القائد ان يشير عليه ميزاب والصحراء فاعتقله (...) حتى احتل فارداية وشحنها بالجند وامن على نفسه من الثورة فاطلق سراحه (45) لكن القطب لم يهدأ ولم يستسلم للواقع فراح يحرك الشعب ، ويستنهض الهمم ويثير الرأى العام كلما سنحت له الفرصة لذلك ز وكان يغرس في تلاميذه كره الفرنسيين واحتقار المستعمرين المستجبرين ومن الطريف انه (كان يلصق الطوابع البريدية التي تحمل صور المستعمرين مقلوبة) (46) استهزاء ونكاية بهم ، و من نوادر اعتداده بدينه ووطنه انه زاره بعض القسس وكبار الولاة من الاجانب فوقفوا معه في مستوى واحد من الارض لكنه ابى ذلك فارتفع الى درجة ، ولما استفسر احدهم ، قال = (الاسلام يعلو ولا يعلى عليه) (47) ، ولما حاول المستعمر هدم الجامع الكبير بالعاصمة كتب القطب رسالة احتجاج الى الوالي العام يحذره فيها من الاقتراب الى بيوت الله وتوعده بالانتقام لله تعالى .

---

(45) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 1 ، ص 331 .

(46) المصدر السابق ، ص 327 .

(47) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، في مقدمته لكتاب الذهب الخالص ، ص ج .

ومن رسائله الاحتجاجية ، رسالته الى الحكومة الفرنسية ذكر فيها ظلم الولاة لابناء الشعب ، (ومنعهم من الحج والسفر الى الخارج) (48) ، وفي رسالة اخرى بعثها الى ((بوان كارى)) بمناسبة اغتيال احد الوزراء الفرنسيين في باريس جاء فيها - باسلوب تهكمي - = (لقد تمادى بكم ظلم المسلمين فكان الله يراقبكم حتى اصبح وزراؤكم يقتلون في الطرقات كالكلاب ...) (49) ، فلما اشتد غضب الفرنسيين على تصرفات القطب الجريئة قرروا ايقافه عند حده ، (فحاولوا ان يستقدموه الى فرنسا للمحاكمة ، لكنهم عدلوا عن ذلك حين قال احدهم = ((من العار على فرنسا ان تستدعي رجلا ، اما ان يحاججها فتكون اضحوكة امام الدول ، واما ان تحاججه وهو اعزل ليس له الا علمه . فخير لكم ان تتركوا الرجل فيتناسوه)) (50) . هكذا كان الشيخ اطفيش يحارب الاستعمار بقوة الحجة والكلمة المؤثرة ، يتالم لما يرى من العسف والحيف وقهر المسلمين بالقطر الجزائري وكامل الامة الاسلامية ، شديد الحرص على اقامة شعائر الدين والمحافظة على مقومات الامة الاسلامية ، التي هي الوحدة والحرية ، واحياء اللغة العربية .

---

(48) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، جـ 1 ، ص 330 .

(49) ابراهيم عبد العزيز (معاصر) نبذة من حياة الشيخ اطفيش .

(50) المصدر السابق .

ثانيا = تآليفه

من مزايا الشيخ اطفيش كثرته للكتابة ، فقد وهبه الله قلما سيالا ، وفكرا غزيرا ، وارادة قوية لا تعجز عن التآليف ، ولذلك تعددت تصانيفه وكثرت مؤلفاته حتى اختلف المهتمون بتراثه حول عدد مؤلفاته فقال أ/ محمد علي دبوز انها تجاوزت المائة (51) وقال الشيخ ابو اسحاق ابراهيم اطفيش = ((احصاء تآليفه غير يسير وقد تجاوزت المئات ، واما اجوبته فلا تحصى) (52) اما أ/ ابراهيم عبد العزيز (53) فقال انها تربو عن 320 مؤلف ومهما يكن من امر فان الخلاف دليل الوفرة • ولعل من اسباب هذه الوفرة ان قلم القطب كان جوالا بين مختلف فنون العلم ، ولذلك نجد الشيخ اطفيش يؤلف كتابين او ثلاثة او اكثر في ذات الوقت حول موضوعات مختلفة ومن اهم الفنون التي كتب فيها ما يلي = التفسير الاصول ، التوحيد ، الحديث والسيرة ، الفقه ، الفرائض اللغة وآدابها وفنونها ، التجويد ، التاريخ ، النحو الصرف ، العروض ، الحساب والجبر ، المنطق ، الفلسفة الطب ، الفلك ، الفلاحة •

---

(51) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، جـ 1 ، صـ 318 •

(52) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، مقدمة الذهب الخالص ، ص = هـ •

(53) محمد ابن الشيخ ، القرآن والسنة عند الاباضية ، صـ 40 •

وفيما يلي ذكر لاهم تآليفه في الفنون المختلفة :

١ - التفسير

فسر القطب كتاب الله ثلاث مرات ، وهذا شاهد على تبحره في علوم القرآن وغزارة مادته ، وهو في تفسيره يهتم بجانبين ، الناحية اللفظية واللغوية والناحية العلمية والفقهية (53) ومن الملاحظ ان طريقته في التفسير تغايرت (بين ما الفه من التفاسير في العشرينات من عمره في غضاضة شبابه وبين ما الفه في عقود نضجه بعد العقد الخامس) (54) وترتيب تفاسيره كما يلي :

أ - هميان الزاد ليوم المعاد ، فسر فيه القرآن كله في ستة اجزاء (55) (ويقع في 14 مجلدا يناهز الواحد منها 600 صحيفة او تزيد) (56) طبع في زنجبار حوالي سنة 1350 هـ واعيد طبعه مؤخرا في سلطنة عمان .

2 - تيسير التفسير ، وهو اخر التفاسير يقع في سبعة اجزاء ، طبع في الجزائر سنة 1326 هـ .

3 - داعي العمل ليوم الامل ، من سورة الرحمن الى سورة الناس ، يقع في اربعة اجزاء ، ويبدو انه آخر تفاسير

---

(54) المصدر السابق ، ص 40 .

(55) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 1 ، ص 315 .

(56) محمد ابن الشيخ ، القرآن ... والسنة عند الاباضية ، ص 40 .

القطب فقد وافته المنية قبل اتمامه (57) لكن

أ/ بيار كوبيرلي (Pierre Cuperly) يرجح ان يكون القطب

قد وضع هذ التفسير بين هميان الزاد وتيسير التفسير

ويعتقد ان نسخته الكاملة موجودة في مكتبة مسقط

بسلطنة عمان (58) •

ومن تآليف القطب في موضوع القرآن رسالته المسماة

" جامع حرف ورش " 56 صفحة مطبوعة في الجزائر في سنة

1325 هـ •

ب ـ الحديث والسيرة

ـ ترتيب الترتيب ، 1ج ، 289 ص ، الجزائر 1326 هـ •

ـ وفاء الضمانة باداء الامانة ، 3ج ، البارونية ، القاهرة ،

1326 هـ •

ـ جامع الشمل في حديث خاتم الرسل ، 1ج ، 436 ص ، طبع حجري

البارونية 1304 هـ •

ـ السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة ، 1ج ، 252 ص

القاهرة 1344 هـ •

جـ ـ اصول الفقه

ـ شرح مختصر العدل والانصاف لابي يعقوب الوارجلاني (مخ)

---

(57) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، جـ 1 ، ص 315 •

(58) اثناء لقاء مع الاستاذ كبيرلي ، الجزائر يوم 1986/1/12 م •

د - الفقه

- شرح كتاب الدعائم (للمبتدئين) ، جزآن ، الجزائر 1336هـ
- شرح رسالة الوضع ، لابي زكرياء (مخطوط) .
- جامع الوضع و الحاشية ، 1ج ، 388 ص، البارونية ، القاهرة 1306 هـ.
- ترتيب المدونة الكبرى للخراساني ، (مخطوط) .
- شامل الاصل و الفرع ، في الطهارات و الصلاة ، الفه لما بلغ درجة الاجتهاد ، في جزأين ، ج 1 387 ص ، ج 2 264 ص مط السلفية ، القاهرة 1348 هـ .
- شرح النيل و شفاء العليل ، للشيخ عبد العزيز الثميني وهو عبارة عن دائرة معارف في الفقه الاباضي ، طبعة جديدة ، 24 جزءًا / 17 مجلدا ، دار الفتح ، بيروت .
- مختصر شرح النيل ، في موضوع الحقوق و البيوع ، (مخ)
- تفقيه الغامر بترتيب لقط موسى بن عامر ، الجزائر 1319 هـ.
- حي على الفلاح ، تفسير باب الصلاة من كتاب الايضاح للشماخي (مخ)
- الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص ، حققه وعلق عليه ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، ج 1 ، 340 ص ، مط السلفية ، القاهرة 1343 هـ .

هـ - التوحيد وعلم الكلام و الفلسفة

- شرح عقيدة التوحيد لابي حفص عمر بن جميع ، 458 ص الجزائر 1328 هـ .
- حاشية الموجز لابي عمار عبد الكافي الاباضي (مخ) .
- حاشية شرح النونية ، لعبد العزيز الثميني (مخ) .

- شرح عقيدة تبغورين ، (مخ) .
- شرح معالم الدين في الفلسفة واصول الدين ، لعبد العزيز الثميني (مخ)
- الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقييد .
- الجنة في وصف الجنة ، 206 ص ، القاهرة 1321 هـ .
- ايضاح المنطق في بلاد المشرق (مخ) .
- ازهاق الباطل في العلم الهاطل ، 201 ص ، الجزائر .

و - <u>التاريخ والسير</u>

- كشف الغمة في شرح لامية ابن النظر (مخ) .
- مسائل السير ، (مخ) .
- الامكان في ما جاز ان يكون اوكان ، 129 ص ، الجزائر 1304 هـ .
- الرسالة الشافية في بعض تواريخ اهل ميزاب (مطبوع)
- شرح نونية المديح ، (مخطوط) .

ز - <u>اللغة والآداب والاخلاق</u>

- شرح شواهد القزويني (مخ)
- حاشية في النحو (مخ)
- شرح شرح ابي داود (مخ)
- شرح شواهد قواعد الاعراب (مخ)
- حاشية شرح الاجرومية للداودى
- بيان البيان (مخ)
- كتاب الرسم في تعليم الخط (مط)
- شرح مخمسة في الاخلاق (مخ)
- اجور الشهور (مخ)
- اطالة الاجور وازالة الفجور (مط)
- خطبة العيدين (مط)
- البائية في الصلاة على النبي .
- الفسول في اسماء الرسول
- شرح القصيدة الحائية (مط)

- مختصر شان في علم الخط (مخ) — رسائل الصلاة على النبي (مخ)
- مجموع قصائد (مطبوعة) — شرح الاسماء الحسنى (مط)

ط - جوابات وردود ومؤلفات مختلفة المواضيع

- ازالة الاعتراض عن محقي آل اباض (مط) — القرآن الدانية في رسالة الديوان
- الرد على العقبي الطاعن في الدين — اساس الطاعات لجميع العبادات
- الرد على الصفرية والازارقة — مختصر كتاب العمارات
- الرد على الانجليزي — شرح كتاب الزكاة
- جواب في ملل اهل الكتاب واهل الشرك — تقريرات على كتاب المعلقات
- جواب لعامر بن مسعود — شرح شواهد الوضع
- جواب لمحمد بن عبد الله — شرح لغز الماء
- جواب لاحمد بن علوة — تحفة الحب في اصل الطب
- جواب في الاوراق المالية — شرح القلصادى (في الفلك)
- جواب في المعاملة — النحلة في غرس النخلة (مط)
- جواب لاهل زوارة — كتاب المعلقات (طبع حجرى)
- جواب لعلماء مكة (مطبوع) — مسلك الفلك (يبدو ان الكتاب ليس من تاليف القطب لعدم وجود ما يثبت ذلك)
- رسالة في حكم الدخان والسعوط

ك ـ اشعاره

لم يكن الشيخ اطفيش شاعرا نابغا ، لكن اهتمامه بالادب وتذوقه للشعر العربي ، يبعث في نفسه ميلا الى نظم الشعر احيانا . فكتب قصائد عديدة ولعل اول ما كتب من الشعر (ارجوزته في نظم المغني في خمسة آلاف بيت) (59) اما الموضوعات التي تناولها في شعره فكثيرة منها = (المواعظ ، مدح الرسول (ص) الدعاية الى العلم والنهضة الحديثة (60) وفي فنون الفقه والقراءات (...) والنصائح والحكم) (61) .

- من نماذج شعره البديعة في مدح الرسول (ص) قصيدة تبلغ 180 بيتا ، مطلعها = (62)

حمدا لمن اخرج الاشياء من العدم الى الوجود لخير العرب والعجم

ولـه قصيدة بائية في 117 بيتا ، في النصائح والحكم منها هذه الابيات (63) =

ارى في قيام الليل فوزا وفي الغنى عن الناس عزا فاتخذ منها دأبا

ودرحيث دار الحق واجتنب الهوى بوقت الرضى او حين اغضبت اغضابا

ومن ذا الذي يبني على الموج داره ومن ذا الذي يجني من الطلح اعنابا

ل ـ مراسلاته

للقطب رسائل عديدة ومتنوعة ، فمنها رسائله الانتقادية يرد فيها على الطاعنين في الدين . ومنها رسائل الافتاء ، ورسائل الاحتجاج الى الحكام . اما رسائل

الاخوانيات فقليلة ان لم تكن معدومة ، واهم مراسلاته تلك التي بعثها الى العلماء في عصره ، و منهم الامام محمد عبده ، و ش. سالم بوحاجب في الزيتونة وش. دحلان مفتي مكة ، والهادى باي (64) وسلاطين عمان وزنجبار وتركيا .

__ثالثا = فكره__

يتضح لنا جليا ونحن نطلع على آثار القطب انه كان شمولي التفكير واسع الاطلاع ، ملما بمختلف فنون العلم ، فيرانه كان يركز بشكل واضح على علوم الشريعة وما يخدم الشريعة من لغة وفنونها على ما سواها من انواع العلوم ، وبناء على ذلك يمكن لنا ان نصنف الشيخ اطفيش ضمن الفقهاء وعلماء الشريعة والاصوليين ، وفقهاء اللغة ، والمفسرين لكتاب الله ويكون حينئذ صاحب فضل على هذه العلوم ، متبوئا مكانة الصدارة بين المشتغلين بهذه الفنون ، اكثر مما لو صنفناه ضمن الفلاسفة وعلماء الطبيعة ، المشتغلين بالعلوم التجريبية .

---

(59) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، مقدمة الذهب الخالص ، ص هـ ، يقول أن القصيدة مفقودة

(60) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 1 ، ص 355 .

(61) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، الذهب الخالص ، ص ز .

(62) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(63) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 1 ، ص 355 .

ونظرا لذلك سيكون الحديث حول فكره في هذا البحث محدودا لاننا لا نتعرض الى الجانب الشرعي والفقهي من مجموع فكره ، كما لا نتعرض الى تحليل آرائه السياسية لانها متضمنة في الابواب اللاحقة (65) اما آراؤه الكلامية فهي في مجموعها متطابقة مع الآراء الاباضية جملة وتفصيلا ، حتى اننا لا نكاد نلمس اختلافا في المسائل العقيدية بينه وبين اسلافه او بينه وبين لاحقيه من علماء الاباضية الا نادرا . ولذلك لا تخرج آراؤه الكلامية والسياسية عن الحالات الثلاث التالية : اما ان تكون تلخيصا وايجازا لآراء اهل المذهب . واما ان تكون تحليلا وتفصيلا لها لغرض التوضيح واما ان تكون ردا على اهل الخلاف ودفاعا عن مقالات المذهب ومن خلال هذه الحالات يتضح تمكن القطب في مسائل العقيدة . كما تظهر مكانته العلمية اثناء طرح المشاكل ومعالجتها ، معتمدا على المنطق العقلي والتفكير الموضوعي .

وفيما يلي اشارات عابرة لاهم المناحي الفلسفية في تفكير القطب :

---

(64) ابراهيم عبد العزيز ، نبذة من حياة القطب .

(65) انظر آراءه السياسية متضمنة في فصول الباب الثاني من هذا البحث .

أ - المنحى الكلامي

لم يفرد الشيخ اطفيش كتابا من تآليفه في الفلسفة وعلم الكلام رغم اهتمامه الكبير بهذا الفن ، ويتضح لنا هذا الاهتمام من خلال قراءته لتصانيف اسلافه في هذا الموضوع ثم انه لم يكتف بالقراءة فحسب بل كان يعلق عليها ويسجل آراءه وانطباعاته وفي كثير من الاحيان كان يعمد الى شرح مؤلف باكمله في موضوع الفلسفة وعلم الكلام ، وهذا ما فعله حين وقف على عقيدة تبغورين وهو كتاب صغير في علم الكلام تحدث فيه مؤلفه ش. تبغورين بن عيسى الملوشائي (ق 3 هـ / 11 م) عن اصول الاباضية التسعة (66) فاذا بالقطب يشرحه شرحا وافيا لينجز منه كتابا يفوق حجمه 300 ورقة (67) ، كما شرح عقيدة التوحيد لابي حفص عمر بن جميع (ق 8 هـ) وهي متن من متون اصول الدين . ولعل اهم انجاز في علم الكلام شرحه لكتاب معالم الدين في الفلسفة واصول الدين للشيخ عبد العزيز الثميني (ت 1223 هـ / 1808 م) حتى وان لم يكمله فقد قام بمجهود كبير في تحليله ومناقشة موضوعاته ، وفيه تعرض الى ذكر الفرق الاسلامية والرد

---

(66) حول اصول العقيدة الاباضية راجع الفصل الثاني من الباب الاول من هذا البحث .

(67) يبدو ان الكتاب لم يكمله القطب او ان النسخة الموجودة في مكتبته مخرومة .

على مقالاتها ، كما تصدى للرد على الدهريين والفلاسفة اليونانيين ، والى جانب هذه الشروح وضع حواشي عديدة في الكلام والفلسفة اهمها حاشية الموجز لابي عمار عبد الكافي ، وحاشية شرح النونية لعبد العزيز الثميني في اصول الدين والتوحيد .

وكان لا بد للشيخ اطفيش ان يهتم بالمنطق حين تعرض للكلام والفلسفة فوضع مؤلفا حول المنطق سماه ايضاح المنطق في بلاد المشرق .

ب - فلسفة العلوم

اهتم القطب بالطب فوضع مؤلفا سماه تحفة الحب في اصل الطب (68) ضمنه وصفات طبية مع عرض الحالات المرضية التي تنتاب الانسان والحيوان ، ويلاحظ فيه تركيزه على الجوانب النفسية والروحية فكان يستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية . مما غلبت عليه النزعة الميتافيزيقية فكان اقرب الى الوعظ والنصح ووصف الحالات المرضية منه الى علم الطب المعتمد على النظر العقلي في الظواهر الطبيعية وتحليلها واجراء التجارب ، ومع ذلك فان القطب لم يهمل هذا الجانب حيث عمد في كثير من الاحيان على التجربة مستعينا

(68) الكتاب مطبوع في الجزائر سنة 1304 هـ يقع في 406 صفحة .

بخبرته التي اكتسبها في حياته اليومية .

اما الفلك ، فهو الآخر كان موضع اهتمام القطب ، ولعله تاثر بالقلصادي في دراسته للفلك ،حين اطلع على كتابه " الفلك " فشرحه القطب ولا يزال مخطوطا كما ينسب اليه كتاب مسلك الفلك ،وهو مؤلف ضخم عرض فيه ظواهر الفلك متتبعا الكواكب في مسيرها والنجوم في حركاتها . وكذا نشاط الشمس والقمر ودوران الارض وما ينتج عنها من تعاقب الليل و النهار ،مدعما اقواله باشكال توضيحية ، ولكن نسبة الكتاب الى القطب تبقى موضع شك اذ لم نجد في الكتاب قرينة تثبت نسبته اليه ، وليس بعيدا ان يكون لغيره فاهتم به ودرسه ، علما ان الكتاب مخطوط وكتابته رديئة (69)

وفي علم النبات وضع القطب كتابا سماه النحلة في غرس النخلة (70) وفيه استعرض جميع انواع النباتات المثمرة مع ذكر مواسم غرسها وجني ثمارها ، و ما تستحق من عناية ،وركز الكلام اكثر على النخلة لانها عمدة الفلاحة في محيطه من ناحية ولمكانتها السامية وفضلها على سائر النباتات من ناحية اخرى ،

---

(69) الكتاب مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة القطب بآت يسجن .

(70) مطبوع ضمن مجموع ستة كتب ، مط غاردايـة دتا .

فهي اول شجرة استقرت على الارض وهي شجرة مباركة وهي عمة الانسان (لانها خلقت من فضلة طين آدم عليه السلام ، ولانها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها ، وامتياز ذكرها من بين الاناث واختصاصها باللقاح (...) وان رائحة طلعها كرائحة المني ولطلعها غلاف كمشيمة الجنين ، وانها تموت بقطع راسها ، والجمار من النخلة كالمخ من الانسان ، وان عليها اللبف كشعر الانسان (...) ويحصل لها امراض كامراض الانسان ومنها = الغم ... والعشق ... ومنها الحمل ... وسقوط ثمارها بعد الحمل ...) (72) ومن الطريف في الموضوع ان القطب يرى علاج بعض امراضها يتم بطرق العلاج النفسي ، كالعشق وهو ميل شجرة الى اخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها ان يشد بينها وبين معشوقتها بحبل او يعلق عليها سعف معشوقتها او تلقح من طلعها ، اما علاج مرض منع الحمل ان ياخذ الفلاح فاسا ويقول لها في حضرة رجل آخر = ((انا اريد ان اقطع هذه النخلة لانها منعت الحمل ، وبعد المفاوضة تضرب ثلاث ضربات ،(...) وبقدرته تعالى يخلق

(71) محمد اطفيش ،كتاب النحلة في غرس النخلة ضمن مجموع ستة كتب ، ص 47 .

(72) المصدر السابق ،ص 48 .

لها سمعا وعقلا تسمع وتفهم واذا سمعت وفهمت فانها تثمر باذن الله)) (73) وهذا يذكرنا بنظرية التوازى عند ابن سينا ،وهي التشابه بين النبات والحيوان ، في (الافعال والانفعالات المتعلقة بالغذاء ايرادا على البدن ، وتوزيعا وابانة الفضل ، وتوليدا للبرز المتولد عنه ...) (74) وكذا ظهور الاعراض المرضية عليها كما يحدث لدى الانسان .

ج - المنحى الاخلاقي والجمالي

تناول القطب الجانب الاخلاقي في تفكيره من وجهة نظر الشرع وما اجمع عليه المجتمع من آداب وعادات وقيم اصبحت مالوفة في العرف العام وفي حدود التعاليم الاسلامية ، ولذلك اتسمت المباحث الاخلاقية عند الشيخ اطفيش بالنزعة الدينية ، فما هو حلال شرعا جائز اخلاقيا واجتماعيا ، وما هو محرم شرعا فممنوع اخلاقيا واجتماعيا .

ولعل احسن ما كتبه القطب في الاخلاقيات ،شرحه للجزء الاخير من النيل تحت عنوان الافعال المنجية من المهلكة ، وهذا في الواقع تلخيص لكتاب تبيين

---

(73) المصدر السابق ، ص 48 .

(74) ابن سينا ، كتاب الشفا ، الطبيعيات ، النبات ، ص 2 .

افعال العباد ، لابي العباس (75) تعرض فيه القداسب الى الاخلاق العامة الواجبة مراعاتها بين الناس في المجتمع الاسلامي وحدد فيه العلاقات الانسانية وفق الكتاب والسنة ، وبين فيه ما يجوز للعبد من افعال وما لا يجوز ، وفي الذهب الخالص خصص الركن السابع منه للحقوق والمظالم والمحارم والآداب والاخلاق العامة وفي الآداب عالج بعض الظواهر الاجتماعية كاللباس والشرب والاكل والجماع والعلاقات الزوجية ، مبينا آدابها وما يستحسن فيها من امور يقبلها الشرع والمجتمع ، كما وضع معالم الاخلاق المؤدية بالانسان الى السعادة ومنها حسن الحديث ، ووفاء العهد واداء الامانة ،وترك الخيانة ، وحفظ الجار ، ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام ، وحفظ الجناح ، وخير الامور اوسطها ، فيحسن الترفع بالاكبر ، والتواضع بالاذل ،ومن مفسدات الاخلاق = تشبيك الاصابع ، والعبث باللحية ، وادخال الاصبع في الانف ، والتمطي ، وطرد الذباب عن الوجه تطرفا الا لضرورة • واذا جلست فبسكون وتنظيم وترتيب ، واذا صغيت فاحسن بلا تعجب ، ولا طلب الاعادة الا في طلب العلم (76) وفي الجماليات اهتم

(75) ابو العباس احمد بن محمد بن بكر ،تبيين افعال العباد (مخ) نسخة خزانة الشيخ بالحاج بالقرارة •

(76) انظر محمد اطفيش ، الذهب الخالص ، ص ص 291 ـ 339 •

القطب بالجانب اللغوى وتعمق في علوم العربية لاستخراج اسرارها ، فكتب في النحو العربي وقواعد الاعراب ، وعلم الخط ، ورسم الحروف ، وكان مولعا بالشعر ، واكثر ميله للادب الاندلسي ، لما يمتاز به من فخامة المعنى ومتانة المبنى ورقة الاسلوب ودفعه هذا الميل لقرض الشعر ، فكتب قصائد في الطبيعة وجمالها ، وكان يدعو تلاميذه بالتغني بها في حفلاتهم (77) وكم كانت تطيب نفسه وينشرح صدره لسماع الاناشيد ، مما يدل على سلامة الذوق ورهافة الحس الجمالي .

كان ذلك عرضا موجزا لجوانب مختلفة من فكر الشيخ اطفيش وكاني به كافيا لاطلاعنا على شخصية القطب ومكانته العلمية ، هذه الشخصية التي قدمت الكثير من المعارف لاثراء الفكر الاسلامي ، لكننا لم نأخذ مما ترك الا القليل ، وعسانا بعد هذه الاطلالة على معالم فكره ان نهتم بتراثه ونستثمر ما فيه من ثمار علمية .

---

(77) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 1 ، ص 355 .

الباب الثاني

الفكر السياسي عند الاباضية

الفصل الاول : مفهوم الامامة ومشروعيتها وشروطها

الفصل الثاني : انواع الامامة (مسالك الدين)

الفصل الثالث : امام الظهور

الفصل الرابع : اعوان الامام

الفصل الاول

مفهوم الامامة ومشروعيتها وشروطها

اولا : مفهوم الامامة (تحديد المصطلح)

ثانيا : مشروعية الامامة ووجوبها

ا - آراء الفرق الاسلامية

ب - رأي الاباضية

جـ - الادلة النقلية

د - الادلة العقلية

ثالثا : ثبوت الامامة

رابعا : وحدة الامامة وتعددها

خامسا : شروط الامامة

اولا - مفهوم الامامة (تحديد المصطلح)

الامامة والخلافة والامارة والرئاسة ، عبارات مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى العام (1) وهي (رئاسة عامة في امور الدين والدنيا لشخص(...) وهي خلافة الرسول في اقامة الدين وحفظ حوزة الملة) (2) تمهد لمن هو اهل لها على ان يفرض على الرعية كافة اتباعه وطاعته ما لم يامر بمعصية الخالق . فالمهمة الاساسية هي اقامة الدين وتطبيق احكام الله والمحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن الامة وهي مهام الرسول (ص) من بعد البعثة الى حين وفاته

---

(1) تبغورين بن عيسى ، نخبة المتين من اصول تبغورين ، ص 188 / انظر ايضا ش. محمد أطفيش في شرح العقيدة ، ص 437 .

(2) الشيخ محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد (ط. حجرى) ، ص 437 .

نلاحظ ان تعريف الامامة والخلافة عند الاباضية مشابه الى حد بعيد التعاريف الاخرى ، فالماوردى (ت450هـ) مثلا يعرفها بقوله (الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا) ، الاحكام السلطانية ص 5 ، ويعرفها ابن خلدون (1332/1406م) بقوله = (هي حمل الكافة بمقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية (...) وهي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا) ، المقدمة ص 159 ، وهي كما يرى محمد بن عبد ربه (زمام الامور ، ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذى عليه مدار الدين والدنيا) ، شهاب الدين النورى ، نهاية الارب في فنون الادب ، السفر 6 ، ص 5 . اما الماوردى فيستوحي مفهوم الخلافة من قوله تعالى = ((ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من

فكل من تولى هذه المهام يعتبر خليفة رسول الله (ص) في رعاية شؤون الامة . والواقع ان الخلافة بالمفهوم العام لا يعني الحاكمية والسلطة المطلقة لان ذلك من اختصاص الله ، اما الانسان فحسبه ان ينفذ تعاليم الحاكم الاعلى وهو الله فيكون بذلك قد خلف الله في الارض ، وبهذا لا تنحصر الخلافة في الارض على جنس معين بل هي حق لمن صدق ايمانه وعمل صالحا (3) قال تعالى =((وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ...)) (4) ، وقد يطلق لفظ الملك على الامامة الا انه يختلف عنها في امور منها ان الملك يميز بين تعاليم الدين ومصالح الدنيا ففي شؤون الدنيا يتقيد بقوانين وضعية يجمعها دستور يتفق عليه نخبة من العقلاء وساسة الدولة فتكون سياسة الدولة حينئذ عقلية لا شرعية

- قبلهم) الشورى 55، فيخطي مفهومين للخلافة = الاول ان الاسلام يستعمل لفظ الخلافة (VICEGERENCY) بدل لفظ الحاكمية ، لان الخلافة للانسان والحاكمية لله وحده . الثاني = ان الله وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ، فالخلافة عمومية ، فكل مؤمن خليفة لله . المودودى ، نظرية الاسلام السياسية ، ص 46 .

(3) انظر ابو الاعلى المودودى ، نظرية الاسلام السياسية ، ص 46 .

(4) الشورى، 55 .

دنيوية لا دينية ،بينما الامامة فانها تجمع بين الدين والدنيا. وتصدر الاحكام من الشرع ومن العقل ان عدم النص وقد يحدث ان تخرج السلطة عن معنى الخلافة لتصير ملكا عضوضا اذا فسق الخليفة وحاد عن الشرع ،او ان يتولى الخليفة منصبه بغير رضى المسلمين او تكون مبايعته غير حرة ، او ان يخرج عن حدود العدالة ففي هذه الحالة لا تعتبر ولايته خلافة نبوية لكنها تعتبر ملكا دنيويا ، وقال ذلك ابن تيمية (5) •

ويطلق احيانا على صاحب الحق في الخلافة ،السلطان (كناية عن الامام ووجه التشبيه = القدرة على انفاذ الامور والاحكام ، قال تعالى = وآتينا موسى سلطانا مبينا ، اى تسليطا واستيلاء) (6) الا ان شيء اطفيش يأخذ من السلطان مفهوم القوة المرافقة للظلم (7) والتصرف بغير حق ، فلا يرى صوابا تسمية الامام العادل بالسلطان •

اما الامير فلفظ يطلق على الحاكم لكثرة ما يامر اولنفاذ اوامره ، بينما امير المؤمنين فلفظ يطلق في الغالب على الامام الذى يبسط نفوذه على كل بلاد الاسلام فاذا لم يستطع ذلك او اقتصر نفوذه على رقعة

---

(5) انظر = محمد ابو زهرة ،تاريخ المذاهب الاسلامية ،دار الفكر العربي ، القاهرة 1976 ، جـ 1 ، صـ 103 •

ضيقة فانه لا يستحق هذا اللقب . وبما ان الاباضية لم يتمكن لهم هذا النفوذ منذ نشأتهم سواء في المشرق اوفي المغرب فانهم لم يتخذوا لائمتهم هذا اللقب ، هذا ما قال به الشيخ اطفيش (8) والشهرستاني (9) لكن الشيخ السيابي يرد على ذلك بقوله = (هذا فلط بل يسمون امامهم - اى الاباضية - امير المؤمنين وامام المسلمين ولا مشاحة في الاصطلاح على التسميات فانها القاب . ولعلهم يحترمون بذلك قدر امير المؤمنين (...) اولعلهم تركوا ذلك لما سمعوا الناس يقولون بامير المؤمنين للفسقة والظلمة من الملوك العتاة و الجورة الطغاة) (10) اما الشيخ عبد الرحمن بكلي (ت1986/1/13م) فيرى ان الاقطار الاسلامية لو اتحدوا على توحيد الرئاسة (اعتبر من ينتخب منهم اميرا للمؤمنين واعتبر كل من كان اماما اورئيسا في كل قطر من تلك الاقطار عاملا له وهذه النظرية (...) لا يمكن تطبيقها عمليأ الا اذا هيمنت النزعة الاسلامية وسيطرت روحها على تلك الاقطار كما كان الشان في صدر الاسلام) (11) .

(6) الشماخي ، مقدمة التوحيد وشروحها ، ص 113 .

(7) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 427 .

(8) محمد اطفيش ، شرح النيل ، ج 14 ، ص ص 372 ، 373 .

(9) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 134 .

ومن التسميات التي استعملها الاباضية = امام البيعة ، اوامام الظهور اذا انتخب الامام بصفة عادية اوامام الدفاع في حالة الكتمان اوالدفاع وفيما عدا ذلك نجد امام الاحكام وامام اهل التحقيق ٠(12) ونجد احيانا اباضية شمال افريقيا يسمون الحاكم بالملك رغم ان هذه التسمية تتنافى تماما مع العقيدة الاباضية لان مفهوم الملك لديهم مخالف للدين ٠ ولعل هذه التسمية تكون قد تسربت من اللسان البربرى التي تعني الرئيس والحاكم والكبير والعظيم ٠٠٠

ومهما يكن من امر فان التسمية الغالبة والمالوفة عند الاباضية هي الامام ٠ فالامام كما يرى الشيخ اطفيش حاكم عدل يعطي بحق ويأخذ بحق ، اما الملك فياخذ بحق ويعطي بلا حق ٠ اما السلطان ، وهو المتسلط الذى ياخذ بلا حق ويعطي بلا حق (13) ٠ واضافة الى على هذا فان الاباضية حين اطلقوا لفظ الامام دون غيره من الالقاب ، فانهم يقصدون من الامامة مفهوم الاقتداء كاقتداء المأموم بامام الصلاة (14) فضلا عما ورد في ذلك

---

(10) سالم السيابي ، ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء ، ص 53 ٠

(11) عبد الرحمن بكلي ، في هامش كتاب النيل وشفاء العليل ، ج 3 ،ص 386

(12) T.LEWICKI, EN.IS. 2em edition

(13) محمد اطفيش ، شرح العقيدة ، ص 427 ٠

(14) ابن خلدون ،المقدمة ،ص 339،وهو ما ذهب اليه /محمد الشيخ بالحاج في

من نصوص كقوله تعالى = (واجعلنا للمتقين اماما) (15) وقوله تعالى = (اني جاعلك للناس اماما) (16) ومن السنة قوله (ص) = الامام الذى على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته) (17) وقوله = (من نزع يده عن طاعة امامه فانه ياتي يوم القيامة لا حجة له) (18) .

ويلتقي الاباضية مع الشيعة في تسمية الحاكم بالامام ، غير ان الشيعة يطلقون لفظ الامام على خلفائهم ما داموا يدعون لهم في الخفاء حتى اذا استولوا على الدولة يحولون اللقب الى امير المومنين (19) اما الاباضية لا يفعلون ذلك.

ومهما يكن من امر الخلاف بين الفرق الاسلامية حول تحديد لقب للحاكم فان جميع التسميات ، من امام وخليفة وامير المؤمنين يقصد منها تمييز النظام السياسي الاسلامي عن النظام الملكي بالمفهوم اليوناني والفارسي والروماني ، والامم التي تختلف اختلافا جوهريا عن الامة الاسلامية من حيث اصول العقيدة ونظام الحكم.

= لقاء معه .

(15) الفرقان ، الاية 74 .

(16) البقرة ، الاية 124 .

(17) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

(18) رواه مسلم ، راجع باب الامامة في كتب الحديث = نيل الاوطار للشوكاني ، ج 9 مسند الربيع بن حبيب ، ج 1 ، ص 19 ، روض النضير من فقه الزيدية ، ج 5 ص 10 .

(19) عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، ص 198 .

ثانيا = مشروعية الامامة و وجوبها

ا ـ آراء الفرق الاسلامية

هل الامامة واجبة ؟ ام جائزة ؟ ام انها ليست بلازمة اطلاقا ؟ ما راى الاباضية في ذلك ؟ وما هي ادلة مشروعيتها ؟

يجدر التعرض الى موقف غير الاباضية من وجوب الامامة او جوازها ليتضح الراى الاباضي بجلاء ضمن المذاهب الاسلامية لتيسير المقارنة بين وجهات النظر •

ونبدأ اولا بالمعتزلة = فحيث انها تعتمد على (النظر العقلي كمنهج للتفكير الفلسفي) (20) فانها لم تتخذ موقفا موحدا في مسالة الامامة ، فذهب فريق منها يقول = ان وجوب الامامة انما عن طريق الشرع وفي هذه الحالة تكون واجبة بثبوت الادلة النقلية ، اما اذا حكم العقل فانه لا وجوب للامامة لانه ليس في العقل ما يدل على وجوبها • يمثل هذا الفريق مشائخ البصرة (21) •

الفريق الثاني يقول بوجوب اقامة الامامة اعتمادا على العقل الذي يؤكد على وجوب اقامتها • يمثل هذا الفريق البغداديون والجاحظ من البصرة (22)

---

(20) د / عبد الرزاق قسوم ، محاضرة في موضوع المعتزلة القاها بمعهد الفلسفة جامعة الجزائر في 16/11/1981م • انظر في موضوع المعتزلة = ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ، ج 1 ، ص 215/ الفرق بين الفرق للبغدادى

اما غير المعتزلة من العلماء فيجمعون على وجوب الامامة . وهذا ابن خلدون يؤكد (ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين ووجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين) ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض ...) لكنه يرد على القائلين بوجوب الامامة عقلا دون الشرع (23) كما يثبت ابن تيمية وجوب الامامة فيقول = (ولاية امر المسلمين من اعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين الا بها) (24) . لكنه بالرغم من دعوته الى رئاسة الدولة كواجب ديني الا انه يثبتها لموجب لا يقل اهمية من الشرع وهو اقتضاء المصلحة الاجتماعية ، يقرر ذلك رغم انه عاش قبل ابن خلدون بنحو ثمانين سنة ، فهو يقول = (ان بني آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ، ولا بد عند اجتماعهم من رأس) (25) .

رأى الشيعة =

الامامة عند الشيعة واجبة ، بل هي جزء من اصول

---

(21) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،جـ1 ، صـ 215/اطفيش ،شرح العقيدة صـ 436 .

(22) المرجعان السابقان /علي ابو ملحم ، المناحي الفلسفية عند الجاحظ ،صـ 132 .

(23) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ 1 ، صـ 339 ـ 340 .

(24) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، صـ 161 .

(25) المرجع السابق ، صـ 161 .

عقيدتهم ولا يتم الدين الا بها • تجب بالنص لشخص من الاشخاص من آل البيت عن الرسول (ص) ، فالدليل الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الامامة (26) وتنقسم الشيعة الى فرق لكل منها رايها في الامامة •

ا - الامامية (الاثنا عشرية)

سميت بالاثنا عشرية لانها تسلسل الائمة الى الثاني عشر وهو محمد بن الحسن بن علي (المهدى المنتظر) يزعمون انه سيظهر في آخر الزمن ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا • من تعاليم هذه الفرقة =

- الأئمة اوصياء استودعهم النبي اسرار الشريعة التي لم يبين منها الا قليلا •
- ما يقوله الاوصياء شرع اسلامي لانه تتميم للرسالة ، وكلامهم شرع ، وهو بمثابة كلام النبي •
- يجوز للائمة ان يخصصوا النصوص العامة ، ويقيدوا النصوص المطلقة •
- الامام معصوم عن الخطأ والنسيان والمعاصي فهو طاهر مطهر •

---

(26) محسن الامين اعيان الشيعة ، اعتقادهم في الامامة والخلافة ، ج 1 ، قسم 2 ، ص 6/ النيوبختي ، فرق الشيعة ، ص 9 / الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 146 ، ابن تيمية يرد على تكريتي الشيعي منهاج السنة •

- يجوز ان تجرى خوارق العادة على يد الامام لتثبت امامته ويسمونها معجزة ٠
- الامام احاط بكل شئ علما وفي امور الشريعة خاصة يقول الطوسي (انه قد ثبت ان الامام امام في سائر الدين ومتولي الحكم في جميعه ، جليه ودقيقه ٠٠٠) ٠ (27)

ب - الامامية (الاسماعلية)

سميت بالاسماعلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ،من اهم مبادئها في الامامة ما يلي =(28)

- يتمتع الامام بالفيض الالهي من المعرفة فيكون فوق الناس قدرا وعلما ، اختص بعلم الشريعة الذى ليس عند الناس لانه فوق مداركهم ٠
- لا يلزم أن يكون الامام ظاهرا بل يصح أن يكون خفيا مستورا ، ومع ذلك تجب طاعته ، ولا بد سيظهر قبل قيام الساعة لانه المهدى الذى سيهدى الناس ٠
- الامام ليس مسؤولا امام الناس وليس لاحد من الناس ان يخطئه مهما يات من اعمال ،بل كل ما يفعله خير لا شر فيه فهو معصوم ٠
- الامام لا يكون الا افضل الناس ، ويجوز له في حالة التقية

---

(27) ، (28) محمد ابو زهرة ، تاريخ المذاهب الاسلامية ،ص 55 فما بعد انظر ايضا عبد الحليم الفرابي في رأيه غن الرئيس ٠

ان يقول انه ليس بامام، (29)

- ان علينا كان مصيبا في جميع احواله وانه لم يخطئ في شئ من امور الدين (30) .

ج - الزيدية

سميت بالزيدية نسبة الى صاحب المذهب ، زيد ابن علي بن الحسين السبط (ت 126 هـ/744م) من آراء هذه الفرقة في الامامة ما يلي :

- تقوم الامامة باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص ، (31) .

- الادلة الخاصة بامامة علي (رض) اقتضت تعيينه بالوصف لا بالشخص .

- تتبرأ الزيدية من الشيخين دون الطعن في امامتهما وعلي افضل منهما (32) .

- تجوز امامة المفضول مع وجود الافضل .

- يشترط في الامام ان يكون عالما زاهدا جوادا شجاعا ، يخرج داعيا الناس الى امامته .

النجدات

اتباع نجدة بن عامر الحنفي (ت 69هـ) ، الدين عنده

---

(29) عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام ، ص 166 .

(30) المرجع السابق ، ص 166/انظر Merghoub B.Le devloppement politique en Algerie , P:14

(31) المرجع السابق ، ص 181 وانظر المقدمة لابن خلدون ، ص 354 .

(32) ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، 1981م ، ص 350 .

امران = احدهما الاقرار بما جاء من عند الله بعد معرفته ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين واموالهم ، وثانيهما ان النار يدخلها من خالفه في دينه ، وان المصر على معصية مشرك ولو بكذبة ، وغير المصر مسلم ولو زنى وشرب الخمر ... (33) ورأى النجدات في الامامة انها غير مفروضة ، والناس ليسوا ملزمين بتعيين الامام واقامة حدود الله لان مهمة الامام مراقبة الرعية وحملهم على طاعة الله فان هم استقاموا فان الامام لا لزوم له (34) .

وممن يقول بقول النجدات الازارقة والصفرية = فهم يرون عدم وجوب نصب الامام اصلا ، وبعض منهم قالوا يجب عند الامن لا عند الفتنة ، كهشام بن عمر القوصي واتباعه (35) وذهب غيرهم الى ان الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم ويعني هذا استبعاد نصب الامام ما دام هناك خلاف .

السكاكية

وهم اتباع عبد الله السكاك اللواتي (36) الذي يرى

---

(33) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص 66 / الشهرستاني، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 122 .

(34) الموجز لابي عمار عبد الكافي ، ج 2 ، ص 233 / الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 124 / انظر ايضا ابو ستة في حاشية الوضع ، باب الامامة / وانظر محمد اطفيش ، جامع الوضع والحاشية ، ص 27 .

ان شروط الامامة لا تتوفر في اى احد حتى في الآذان والصلاة (37) وعليه فالامامة غير واجبة لا في الامن ولا في الحرب لعدم وجود من يستحقها ، الا ان هذه الفرقة مبسوقي الاباضية لم تعمر طويلا فقد تلاشت من الوجود منذ اواخر القرن (5هـ/11م) (38) .

ب - رأى الاباضية في مشروعية الامامة

اقامة الامامة عند الاباضية امر واجب على المسلمين - حيثما وكيفما كانوا - يقول الشيخ تبغورين بن عيسى (ق5هـ) (وعقد الامامة فريضة عندنا لفرض الله الامر والنهي ، والقيام بالعدل واقامة الحدود على ما بينهما في كتابه فاجتمعت الامة على ان هذه الحدود مع وجوبها لا تقام الا بالائمة وولاتهم (...) فثبت ان عقد الامامة على المسلمين واجب وحق لازم (39) اما الشيخ اطفيش (1818م - 1914م) فيرى انها (من الاصول لما صح عن عمر وغيره من الامر بقتل من تعين نصبه اماما

---

(35) اطفيش محمد ، شرح العقيدة ، 436 .

(36) من قنطرار بالجريد التونسي ، عاش في اوائل ق6هـ ، انفصل عن الاباضية بآرائه المتطرفة منها ابطال الاذان وصلاة الجماعة .

(37) صالح باجية ، الاباضية بالجريد ، ط1 ، دار بوسلامة للنشر ، تونس ، ص 39

(38) عوض محمد خليفات ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية ، ط1 ، عمان ، 1982 ، ص 105 / انظر ايضا = الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، ج1 ، ص 118 - 119 .

(39) تبغورين ، رسالة في اصول الدين ، مخطوطة /انظر سيرة شرح ابي -

فابى قبولها ، الا انها ليست مما يقدح تخلفه في صفة الله فمعنى كونها من الاصول انه لا يجوز الخلاف فيها (40) . وفي شرحه للنيل يقول = (ان الامر والنهي لا يتمان الا بامام عدل ، فنصبه واجب ، اذا كان المسلمون على نصف عدوهم الذين يتقون شوكتهم ، ويرد الشيخ اطفيش بقوة على القائلين بعدم وجوب نصب الامام ودليلهم على عدم النصب ،ان الانسان تابى نفسه ان يتولى عليها غيرها ،ولان منصب الامام قد تحتكره طائفة دون اخرى فيكون الصراع ويعظم الضرر . وحيث ان الامام غير معصوم فقد يكفر ويحمل الناس على الكفر فيكفرون او يقاتلونه ويقاتلهم بمن معهم فيكون الضرر اشد . وقد يحتج القائل بعدم نصب الامام بوجوه اخرى منها = ان الناس اذا توفرت مصالحهم الدينية والدنيوية فان الحاجة الى نصب الامام غير واردة والدليل ان اهل البادية الخارجين عن احكام السلطان قد انتظمت احوالهم بلا امام ، فيرد الشيخ اطفيش على ذلك بقوله = (ان ضرر عدم نصب الامام - في الحالة الاولى

= الحسن العماني ، في سير اهل عمان ، مخطوط ج 1 ، ورقة 95 / راجع ايضا = ابو عمار عبد الكافي الموجز ، ج 2 ، ص 223 . . . / كذلك = اطفيش ، جامع الوضع والحاشية ، ص 27 .

(40) اطفيش ، شرح العقيدة ، ص 436 .

- اكثر لان كثيرا من الناس ينقاد الى مثله فكيف الى من هو اعظم ، واذا كفر لم يترك على كفره فقتاله مامور به شرعا) (41) اما عن احوال اهل البادية فان الواقع يثبت انها غير منتظمة (وفيهم فتن عظيمة (...) لا يبقي بعضهم على بعض ولا يقيمون على فرض ولا على سنة ومتى اتفقوا فانما يتفقون على باطل ثم انه يتوزع الى بواطل فيختلفون ايضا) (42) .

وقد يستدلون على عدم تعيين الامام بان الانتفاع بالامام انما يكون بالوصول اليه وطرح المشاكل عنده وهذا امر متعذر لانه لا يستطيع كل واحد من الرعية الوصول الى الامام كلما ظهرت لديه امور دينية او دنيوية فيجيب الشيخ اطفيش (بان الانتفاع بالامام لا يكون بالوصول اليه فقط بل يكون ايضا بوصول احكامه وسياسته اليهم ...) (43) .

اما الامامية من الشيعة فتقول بوجوب نصب الامام على الله لا على الانسان . وذلك لطفا من الله لعباده ليتوصلوا الى طاعته ، فان الشيخ اطفيش يرى في رايهم هذا تطرفا ومغالات ، ذلك ان الامامة اذا وجبت على حد

---

(41) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 438 .

(42) المصدر السابق ، ص 439 .

(43) المصدر السابق ، ص 439 .

قولهم - فان الوجوب ينصرف الى الانسان لا الى الله لانه (لا واجب الا على عاجز ، والله قادر وغيره مقدور عليه ، وايضا يحصل اللطف بالامام لزجره وانصرافه الضعيف والقوى) (44) .

والواقع ان الامامية - في راى القطب - مخطئون في قولهم بوجوب نصب الامام على الله لانهم لم يوجبوا ذلك على الله في هذا الزمان - بعد موت علي (رض) - وانما الذى يوجبونه هو امام معصوم مختف ، ويترتب على ذلك خطآن ، الاول = ابطلوا لطف الله لعدم ظهور الامام لان ظهوره بين الناس لطف من الله ، الثاني = لزم عن عدم الظهور كونه تعالى تاركا للواجب ، ما داموا يقرون ان نصب الامام واجب على الله .

ثم يتصدى القطب لمناقشة راى الخوارج (45) المتمثل في عدم وجوب نصب الامام لان نصيبه يثير الفتنة ، لاختلاف الاهواء ، فبعض يحب نصب فلان ، وبعض يحب نصب الآخر ، فيتعذر حينئذ الاتفاق الجماعي على تعيين واحد ، حتى وان نصب الامام بالاغلبية ، فان بوادر الخلاف واصول الفتنة ستظهر في الفئة القليلة الناقمة على الامام فيحصل الضرر ، والسبب راجع

---

(44) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص440 .

(45) الخوارج القائلون بعدم وجوب نصب الامام هم الصفرية والازارقة والنجدية .

الى اختلاف الناس حول الشروط المطلوب توفرها لدى الامام وحيث انه يتعذر اجتماع كل الشروط عند واحد فانه بالتالى يتعذر تعيين الامام . هذا مجمل رأى الخوارج في عدم النصب لكن الشيخ اطفيش يرد عليهم ويعطي البديل لحل هذه المسالة ، فيقول = ((ان هذا نفسه ادل على الوجوب (...) فيقدم الاعلم وان تساويا فالاورع (...) وان تساويا ، فالاسن ، وقد يقدم الاليق مع وجود الاعلم فتندفع الفتنة بهذا التفصيل ومن ابى ففاتن ، ففتنته باغية ، ولا تخلو الدنيا من انكار حق وقبول باطل والزجر عند ذلك (46) وهكذا يرد القطب على الخوارج ، ورده من صميم دليلهم ، فاذا كان الدليل يقوم على درء الناس فان المشكل اذن ينحصر في الاتفاق على شخص يصلح للامامة ويرضى عنه الجميع ، واذا كان كذلك فالحل في الاتفاق . واحسن وسيلة هي ضبط الشروط وتحديد المواصفات الموضوعية المطلوب توفرها لدى المرشح للامامة ، على ان تكون هذه الشروط محل رضاء الجميع ، وحتى تكون كذلك يضع القطب جملة من الشروط مع ترتيب عقلاني لها حسب الاهمية ، فقدم العلم اولا ويليه الورع في حالة التساوى ثم الاسن المتمتع بالخبرة والحنكة الكافية ، على

(46) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 440 .

ان هذا الترتيب يخضع عند الضرورة للتعديل المناسب (47) فقد يرشح العالم لكنه ضعيف في السياسة قليل الخبرة بامور الحرب ، غير بصير ، و الاحتمال الثاني الا يكون العالم المترشح للامامة ذا نفوذ في قومه ، ولا يتمتع بالشعبية الكافية مما يثير نصبه فتنة بين الرعية ، وهنا تقتضي المصلحة العامة التنازل عن احدى الشروط المطلوبة تلبية لرغبة الرأى العام ، وهذا من اصول الديمقراطية ،غير ان الشيخ اطفيش لا يقول بتحقيق مطالب الناس فردا فردا ، لان الاتفاق العام على قضية لا يمكن حصوله لاختلاف الاهواء والاغراض بين الناس ، فحينئذ يلجأ الى الاخذ بمبدأ الاغلبية الصائبة (ومن ابى ففاتن وفتنته باغية) (48) ، لان الطبيعة الانسانية لا تخلو من الاعوجاج والتطرف السلبي من اجل تحقيق الاغراض الخاصة باى وسيلة حتى (بانكار حق وقبول باطل) (49) وفي هذه الحالة يجب حسم الموقف بالقوة المشروعة ، ويصبح الزجر ضروريا حتى تفيء الفئة الباغية الى امر الله تعالى .

ومجمل القول ان الاباضية ترى ان الامامة فرض واجب لانها ضرورية من اجل تطبيق الاحكام الالهية ونشر

---

(47) انظر Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'ibadi-sme et de sa theologie , O.P.U. Alger, 1984, P:296

(48) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 440 .

العدالة بين الرعية ، والعدل في توزيع الثورات ومحاربة المرتدين (50) ويتفق مع الاباضية اغلب المذاهب الاسلامية في ضرورة نصب الامام •

جـ - الادلة النقلية لوجوب الامامة عند الاباضية (51)

شرع الله في القرآن احكاما لا يتصور تنفيذها دون وجود دولة تتولى تنفيذها كقتل القاتل (52) وقطع اليد (53) ومعاقبة الساعي في الارض فسادا (54) وغيرها من الاحكام التي تستلزم وجود سلطة تطبق ما شرع الله • هذا فضلا عن الآيات التي تشير صراحة الى ضرورة اقامة الدولة ، منها قوله تعالى = (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) (55) وقال = (ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) (56) •

---

(49) المصدر السابق ، نفس الصفحة •

(50) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadism, P:291

(51) ذكر الشيخ اطفيش اكثر من اربعين حديثا من السنة تثبت بشكل مباشر وغير مباشر وجوب الامامة ، انظر شرح النيل ، جـ 14 ، ص 267 •••
وانظر ايضا شرح اطفيش ، وفاء الضمانة باداء الامانة ، جـ 3 ، ص 102 - 109
وانظر مسند الربيع بن حبيب ، جـ 1 ، باب الولاية والامارة ، ص 18 - 19 •

(52) المائدة ، 45 •

(53) المائدة ، 38 •

(54) المائدة ، 33 •

العدالة بين الرعية ، والعدل في توزيع الثورات ومحاربة المرتدين (50) ويتفق مع الاباضية اغلب المذاهب الاسلامية في ضرورة نصب الامام .

ج - الادلة النقلية لوجوب الامامة عند الاباضية (51)

شرع الله في القرآن احكاما لا يتصور تنفيذها دون وجود دولة تتولى تنفيذها كقتل القاتل (52) وقطع اليد (53) ومعاقبة الساعي في الارض فسادا (54) وغيرها من الاحكام التي تستلزم وجود سلطة تطبق ما شرع الله . هذا فضلا عن الآيات التي تشير صراحة الى ضرورة اقامة الدولة ، منها قوله تعالى = (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) (55) وقال = (ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) (56) .

---

(49) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(50) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadism, P:291

(51) ذكر الشيخ اطفيش اكثر من اربعين حديثا من السنة تثبت بشكل مباشر وغير مباشر وجوب الامامة ، انظر شرح النيل ، ج 14 ، ص 267 ...
وانظر ايضا ش. اطفيش ، وفاء الضمانة باداء الامانة ، ج 3 ، ص 102 - 109
وانظر مسند الربيع بن حبيب ، ج 1 ، باب الولاية والامارة ، ص 18 - 19 .

(52) المائدة ، 45 .

(53) المائدة ، 38 .

(54) المائدة ، 33 .

اما الادلة النقلية من السنة فكثيرة ،نذكر منها قوله (ص) (الامام الذى على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته) (57) وقال = (تخيروا لامامتكم وتخيروا لنطفكم) (58) وقال في طاعة الامراء (اطيعوهم ما لم يمنعوكم الصلوات الخمس) (59) • والى جانب هذه الادلة وغيرها نجد في حرص عمر بن الخطاب وابي عبيدة من قتل المرشح للامامة ان ابى ورفضها ، دلالة صريحة على وجوبها •

د ـ الادلة العقلية لوجوب الامامة

لما كان اجتماع الامة على ان حدود الله لا تنفذ الا بالائمة العدول وولاتهم ••• ثبت ان عقد الامامة على المسلمين فرض واجب وحق لازم ، يقول ابو عمار عبد الكافي = ولما كانت الفروض التي ذكرناها منوطة بالامامة الا تقام الا معها ، فكل ما كان من الفرض لا يتم الا به فهو فرض مثله والامة لا تجتمع على شئ ثم تختلف فيه (60) اما الشيخ اطفيش فيرى وجوبها الى جانب ما تقدم ـ اقتضاء للمصلحة الاجتماعية من دفع الضرر وجلب المصالح ، يقول = (فاذا وجد في نصب الامام دفع ضرر مظنون واجب

---

(55) آل عمران ، 104 •

(56) النساء ، 58 و 59 •

(57) رواه البخارى ومسلم •

(58) الربيع بن حبيب ،الجامع الصحيح ، ص 204 ، رواه جابر عن ابن عباس •

اجماعا ، وعليه فنصب الامام واجب) (61) • واذا كان فضل الرسول (ص) مصدرا اساسيا للتشريع ،فانه اقام دولة مثالية في اسلوب جديد لم يعهده العرب من قبل فولى الولاة ، وعين القضاة ، وارسل القواد ، واقام الحدود وعقد العهود ، ونمى اموال بيت المال فوزعها بالعدل بين مستحقيها • هذه اسوة الرسول (ص) في شخص الحاكم والقائد ، وراعي الرعية ، فالمسلمون مامورون بالاقتداء بها ، لا على انها مشروعة فحسب ،بل لاقتضاء المصلحة العامة وضرورة الاجتماع لها • ومن بين هذه المصالح الاجتماعية ، وحدة الامة ، واتحادها لا يتحقق الا بوجود سلطة يخضع لها كل فرد في الامة ،وتنقاد لها جميع الطوائف والاقليات ، وهو ما انتبه اليه زعماء القبائل البربرية قبل ميلاد الدولة الرستمية حين وجدوا انه لا مناص من تعيين امام فقالوا = ((قد علمتم انه لا يقيم امرنا الا امام نرجع اليه في احكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ، ويقيم لنا صلاتنا ونؤدى اليه زكاتنا ويقسم فيئنا)) (62) • اذن فقد

---

(59) المصدر السابق ، ص 203 •

(60) ابوعمارعبد الكافي ، الموجز ، تح عمارطالبي ، ج 2 ،ص 234 •

(61) اطفيش ،شرح العقيدة ،ص 436/ انظر = سعيد التعريتي ،المسلك المحمود ص 49 •

(62) ابن الصغير ، اخبار الائمة الرستميين ،تحقيق وتعليق د /محمد ناصر ، ط/ابراهيم بحاز ، المطبعة الجميلة ، الجزائر 1986م ، ص 25 ـ 26 •

اجتمعت الادلة النقلية والعقلية على وجوب نصب الامام واقامة الدولة ، لكن لا يزال في المسالة اشكال يطرح نفسه بعد الاخذ بمبدأ وجوب نصب الامام والاشكال ينحصر في طرق ثبوت الامامة ، وشروطها •

ثالثا = ثبوت الامامة

اختلفت المذاهب الاسلامية حول طرق اثبات الامامة الا انها اتفقت جميعا على اثباتها بالنص من رسول الله (ص) اما الطرق المختلف حولها فهي ثبوتها بالنص من الامام السابق او باهل الحل والعقد ولو كانوا غير مجتهدين (63) بمعنى الاختيار والبيعة اوعن طريق الدعوة وهي ان يباين الظالمة من هو اهل للامامة ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الناس الى اتباعه •

وبيان الخلاف ان الامامية (64) تنفي طريق الاختيار والدعوة ، واتفقت الاشاعرة والمعتزلة والخوارج والصالحية من الزيدية على ان الاختيار طريق اليها ايضا وهو مذهب الاباضية ، اما الجارودية (65) من الزيدية فتجعل

= أ/ ابراهيم بحاز ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر 1986 ، ص 25 – 26 •

(63) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 443 •

(64) انظر حول الامامية وفرقها ، عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص 17 ، 39 •

(65) انظر حول الجارودية ، المصدر السابق ، ص 16 •

الدعوة طريقا لثبوت الامامة (66) ومن ادلة الشيعة على اثبات الامامة بالنص = ان الامامة نيابة عن الله ورسوله فلا تثبت باهل البيعة والا كان الامام خليفة عنهم لا عن الله ورسوله ، ويرد القطب عليهم (بان اختيار اهل البيعة دليل على نصب الله ورسوله للامام وحكمها به كسائر انفاذ الاحكام ، فالبيعة مظهرة له لا مثبتة) ، (67) ومن ادلتهم ان اهل البيعة لا يجوز لهم التصرف على غيرهم فكيف يملكون شخصا على غيرهم ؟ كما ان القضاء لا ينعقد بالبيعة فكيف بالامامة العظمى والرد على ذلك - كما يرى الشيخ اطفيش - ان بيعة اهل البيعة هي امارة من الله ورسوله ، وحكمها ينطبق على سائر الرعية لانهم ممثلون عنهم ، اما القضاء فامر يثبت بما دون البيعة (وهو اقامة الامام له وبامكان الرجوع فيه الى الامام وان لم يكن امام فلا بد من البيعة للقاضي أو اقامة الجماعة او ذى امارة له تغني) (68) ، ثم ان البيعة لا يشترط فيها الاجماع بل تصح ولو بواحد كعقد عمر للصديق . كما لا يشترط على الامام ان يعلم كل شيء ، فاذا لم يعلم سأل او اجتهد . اذن فلا مجال لضرورة النص عقلا .

---

(66) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 229 .

(67) المصدر السابق ، ص 443 .

(68) المصدر السابق ، ص 443 .

رابعا - وحدة الامامة وتعددها

كثر الحديث بين الفقهاء ومؤرخي الفلسفة الاسلامية حول جواز تعدد الائمة وعدم الجواز ، فالقائلون بالجواز يستدليون بتراضي علي (رض) ومعاوية سنة اربعين للهجرة على اقتسام الشام والعراق فكتب معاوية الى علي يقول له = (اما اذا شئت فلك العراق ولي الشام ، وتكف السيف عن هذه الامة ولا تهرق دماء المسلمين) (69) هذا ما ذهب اليه قوم من الكرامية (70) وهو جواز نصب امامين او اكثر في وقت واحد ...

والرأى الآخر يرى انه لا يجوز تعدد الائمة اطلاقا استنادا على حديث لعمر بن الخطاب يقول فيه = (ان الله واحد والاسلام واحد ولا يستقيم سيفان في غمد واحد) يعني امامين في وقت واحد (71) .

والرأى الثالث في الموضوع = ان الامامة لا تجوز لشخصين في آن واحد بنفس البلد الا اذا (بعد المدى

(69) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، مط ، الحسينية ، القاهرة 1355 هـ ج 5 ، ص 140 .

(70) فرقة من المجسمة ، تنتسب الى محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة 256 هـ ، تزعم هذه الفرقة ان عليا ومعاوية كانا امامين ، يجب على الناس اتباع كل واحد منهما (...) غير ان عليا كان اماما على السنة ومعاوية على خلاف السنة ، فاجازت الكرامية كون امامين او اكثر في وقت واحد من وقوع القتال له . انظر عبد القاهر البغدادى ، كتاب الملل والنحل حققه وقدم له وعلق عليه د /البير نصرى نادر ، ط 2 ، دار المشرق -

وتخلل بين الامامين شسوع النوى ، فلاحتمال في ذلك مجال ، وهو خارج من القواطع) (72) وبمنزلة رأي الاباضية في الغالب ، فقد اقر به التماريتي بقوله = (لا يجوز تعدد الائمة في صقع متضائق الاقطار خلافا للماوردية) (73) اما اذا اتسع نطاق البلد اوكان البحر فاصلا بين القطرين بحيث لا يطيق الامام الواحد تولي جميع شؤونه فانه يجوزه) (74) وهو ما ذهب اليه الشيخ عبد العزيز الثميني في قوله = (ولا يرى اماما لعسكر واحد وجاز لعساكر ولبلاد متفرقة) (75) ويبدو ان العمل جرى بالسماح بتواجد عدة ائمة اباضية في عدة بلدان من العالم الاسلامي في آن واحد (76) (مثل ما عقد لعبد الله بن يحيى طالب الحق (77) في المشرق في حين كانت امامة الاباضية قائمة بالمغرب) (78) • على اى حال فان الرأي الصحيح في نظر الاباضية هو ما جاء على لسان

= بيروت ، 1986 ، صص 149 – 154 •

(71) ش• /ابو الحسن العماني ، سير اهل عمان ، ج 1 ، ص 100 / الباقلاني نصوص من الفكر السياسي ليوسف ايبش ، ص 50 / عبد القاهر البغدادى اصول الدين ، ص 128 / الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص 9 / ابن حزم ، الفصل في الملل و النحل ، ج 4 ، ص 87 •

(72) الجويني ، امام الحرمين (ت478هـ) الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد ، نقله يوسف ايبش في كتابه نصوص الفكر السياسي ، ص 279 •

(73) لكن الماوردى لم يخالف التماريتي ، انظر الماوردى ، الاحكام السلطانية

(74) سعيد التماريتي ، المسلك المحمود ••• ، ص 50 •

الشيخ عبد الرحمن بكلي (ت 1986/1/13م) في قوله = (يجوز اقامة امام بكل قطر ولا يجوز اقامة امامين في قطر او مصر واحد لما يتولد على ذلك من شتات الشمل واختلاف الكلمة وتنازع النفوذ (...) وهو ما استقر عليه العمل اليوم في سائر الاقطار الاسلامية) (79) .

وقد اشار الشيخ اطفيش الى هذا الرأي في قوله = (الواجب امام واحد ولكن لو فصلت اقوام لا تطاق فانه يصح امامان واكثر) (80) الا ان هذا ينافي قول ، اباضية المشرق في انه (لا يجوز امامان في الدنيا الا في خصلة واحدة هي ان يفصل بينهما البحر) (81) .

---

(75) عبد العزيز الثميني ، كتاب النيل وشفاء العليل ، ج 3 ، ص 886 .

(76) داتوز لويكي ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الاباضية .

T.LEWICKI, En.Is , 2em. edition ,

(77) ابو اسحاق الحضرمي ، مختصر الخصال ، اما طالب الحق فتولى الامامة باليمن ، واستولى على الحرمين سنة 130 هـ .

(78) استبعد ان تكون امامة عبد الله بن يحيى معاصرة للامامة الاباضية بالمغرب لان وفاة طالب الحق كانت على الارجح سنة 133 هـ . بينما الامامة بالمغرب كانت في 140 هـ على يد ابي الخطاب .

(79) عبد الرحمن بكلي ، في هامش النيل وشفاء العليل ، تاليف الشيخ عبد العزيز الثميني (ت 1223 هـ) ، ط 3 ، المطبعة العربية ، الجزائر 1969م .

(80) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 428 .

(81) المصدر السابق ، ص 428 .

خامسا = شروط الامامة

رغم اعتقاد الاباضية بوجوب الامامة واقتناعهم بضرورة تعيين الامام ، فانهم لا يرونها واجبة في ظروف خاصة ، معنى ذلك ان وجوب الامامة مشروط بتوفر العوامل المساعدة على اقامتها ، ونظرا لذلك وضع علماء الاباضية جملة من الشروط ينبغي مراعاتها قبل اختيار الامام واعلان الدولة .

وينبغي الاشارة هنا الى ان هذه الشروط قد تختلف باختلاف الظروف التي يعيشها الاباضية من ناحية ، وقد تختلف من ناحية اخرى باختلاف نوع الامامة المراد اعلانها ، فشروط امامة الظهور ليست هي شروط امامة الدفاع ، اوامامة الشراء ، اوامامة الكتمان . وعليه فاننا نركز الآن على شروط امامة الظهور ، التي هي ثلاثة ـ كما يرى ابواسحاق الحضرمي (ق 5 هـ) ـ =

احدها = قوة اهل الدعوة ، وذلك ان يغلب على ظنهم ان يغلبوا اهل الباطل ، والثانية ان يكون اهل الدعوة (82) اربعين رجلا احرارا بالغين اصحاء ، والثالث ان يكون فيهم ستة رجال فصاعدا اهل علم باصول الدين والفقه من ذوى ورع وصلاح في الدين (83)

(82) المقصود باهل الدعوة ، جماعة الاباضية ، انظر اصل التسمية في الفصل الاول من الباب الاول .

(83) ابواسحاق الحضرمي ، مختصر الخصال ، (مخطوط) ، ورقة 7 ب .

فاذا اجتمع للاباضية هذه الشروط يصبح اعلان الامامة امر واجب فيعقدوها لافضلهم او من يستحقها منهم (84) . لكن نلاحظ ان الشرط الثاني المتعلق بعدد الجال فانه في الواقع يخص الامامة في مرحلة الدفاع اما في مرحلة الظهور فيجب ان يكون عدد المسلمين (كنصف عدوهم في جميع ما يحتاجون اليه) (85) ، لقوله تعالى = (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين) (86) . يحدد الشيخ محمد اطفيش (1818 ـ 1914م) اهم ما يحتاج اليه لقيام الدولة بقوله = (ما يكفي من سلاح وكراع وعلم ومال) (87) فاشتراطه للكفاية له معنى كبير ، لان محاولة قيام الدولة بدون الاعداد لها ـ مسبقا ـ اعدادا كافيا وقويا لا يضمن النجاح والاستمرار للمحاولة وفيما يلي بيان وسائل الاعداد =

السلاح = رمز القوة ، وبدونه لا تستطيع الامة الدفاع عن نفسها ولا الظهور على اعدائها ، بل حتى الامن الداخلي لا يمكن تحقيقه ان لم يكن للسلطة سلاح

---

(84) راجع شروط الامامة ، الفصل الاول من الباب الرابع .

(85) محمد بن عمر ابو ستة ، حاشية الوضع ، باب مسالك الدين ، (مخطوط) .

(86) الانفال ، الآية 66 .

(87) محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 436 .

كاف ، ويستتبع السلاح بالضرورة جيشا كفءا ، قادرا قويا ، حسن التدريب .

الكراع = ويرمز الى الوسائل والتجهيزات بمختلف انواعها وهي غير محددة النوع والكيف ، لاختلافها من عصر الى آخر ، وحيث ان اهل القرون الماضية يعولون على الحيوان في معاشهم فمنه اللباس والاكل والشرب وعليه ينتقلون ويحملون متاعهم ، وبه يدافعون ويحرشون . فانهم جعلوا توفره من شروط اقامة الدولة ونظرا للاعتبارات المتقدمة . على انه من الممكن الاستغناء عنه واستبداله بما هو افضل واصلح خصوصا وان الانسان يعيش عصر الآلة المتطورة والتكنلوجيا المبدعة .

العلم = ويرمز الى الثقافة الضرورية تجاه الدولة ، وهي بمثابة العقل من الجسد ، والعلم يحمله العلماء وذوو الحجا فعلى كواهلهم تقوم الدولة وبيدهم يكون زمام الامور .

المال = وهو قوام الاعمال ، يرمز الى الجانب المادى الذى لا بد منه لضمان سير الامور بوجه افضل .

هذه اهم الشروط الواجب توافرها لاقامة الدولة واعلان الظهور ، وتاتي في الدرجة الثانية بعد العناصر الاساسية لتكوين الدولة وهي ثلاثة =

1 - السلطة = وتتمثل في الامام الذى يتولى امور المسلمين ، و يرعى شؤونهم • ويساعده جهاز الحكم من قضاة و عمال ومجلس الشورى ، و القائمين بالحسبة والجيش•

2 - الامة او الرعية التي تتولى السلطة قيادتها ورعايتها ، ويشترط فيها ان تكون في العدد كنصف العدو - على الاقل - كما اشرنا •

3 - الارض التي يسكنها الشعب ويجرى فيها الحكم تلك السلطة •

الفصل الثاني

انواع الامامة (مسالك الدين)

اولا : الظهور

ا ـ علاقة الاباضية بالام في مرحلة الظهور

ب ـ الحكم في الاموال والكنائس والبيع

جـ ـ علاقة الاباضية باهل الخلاف في مرحلة الظهور

د ـ حكم الدار ومعسكر السلطان

ثانيا : الدفاع

ا ـ موجبات الدفاع

ب ـ نتائج الدفاع

ثالثا : الشراء

ا ـ شروط مرحلة الشراء

ب ـ اهداف الشراة

رابعا : الكتمان

ا ـ التنظيم الاجتماعي في مرحلة الكتمان

ب ـ علاقة الاباضية بمخالفيهم في مرحلة الكتمان

جـ ـ نظام العزابة

د ـ نظام العشيرة

انواع الامامة (مسالك الدين)

المسالك لغة مواضع السلوك وهي الطرق (1) قال تعالى (الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا) (2) • اما المسالك اصطلاحا فهي(الطرق التي يتوصل بها الى انفاذ الاحكام الشرعية) (3) وهي(تعبرعن مراحل الامامة لا الاباضية - التي يمكن ان تجتازها في مختلف ادوار حياتها ازاء واجب الدعوة لدين الله ...) (4) •

ويعتبر هذا الاصل " مسالك الدين " من اهم ما يتميز به الاباضية في مجال الفكر السياسي • فهو يضع جملة من التعاليم والمبادئ يحدد الاباضية وفقها مواقفهم السياسية في مختلف الظروف الزمانية والمكانية سواء المتعلقة بالشؤون الداخلية حيث تتواجد التجمعات الاباضية • اوالمتعلقة بالشؤون الخارجية متمثلة في علاقاتهم بالدول الاخرى اوتكتلات مخالفيهم

ولعل السرفي استمرار البقاء الاباضي ، منذ ان سطع نورالاسلام الى يومنا هذا سواء البقاء الفكرى في عقيدتهم وتعاليمهم • اوالبقاء الاجتماعي في قبائلهم وشعائرهم ، يعود الى هذا الاصل الذى يضمن

---

(1) بدر الدين الشماخي ، مقدمة التوحيد وشرحها ، ص 50 •

(2) سورة طه ، الآية 53 •

(3) محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 113 •

لهم اسباب التكيف والتأقلم مع الحياة وتطوراتها مع الامم وساساتها ، مع المخالفين وعقائدهم ،كل ذلك ضمن الاطار الشرعي وفي حمى الكتاب والسنة .

وخلاصة ما يهدف اليه هذا الاصل " مسالك الدين " هو التخطيط لاقامة دولة اسلامية عادلة دستورها القرآن والسنة ، حكامها خبراء في امور الدين والدنيا ، فان لم يتحقق هذا المطلب بان عدمت شروط اقامة الدولة وجب حينئذ تصحيح الاوضاع ، امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، بمختلف الوسائل والانهج المشروعة ، فقد يضطر الموقف لاعلان الثورة ضد الجور والفساد ، وقد تقتضي الحكمة انتهاج سياسة اللين والعمل في الخفاء من الاصلاح وتغيير المنكر بالتي هي احسن (5) .

وفيما يلي عرضا تحليليا لمسالك الدين الاربعة - وهي الظهور ، والدفاع ، والشراء ، والكتمان مع ابراز العلاقة بين تعاليم الاباضية ومبادئها وبين ما تقوم عليه نظرية مسالك الدين من ابعاد سياسية .

---

(4) عبد الرحمن بكلي ، فتاوى البكري ، ج 2 ، ص 337 .

(5) انظر للمزيد من التوضيح - CHIKH BEKRI , LE Kharijisme Berbere , P . 60

اولا = الظهور

الظهور (هو الاصل والمأمور به) (6) يمثل المرحلة الاولى من مسالك الدين ، وتعتبر افضل المراحل واحسنها وعادة ما تكون هذه المرحلة (تتويجا للمساعي والجهود للحالات الثلاث (الكتمان والدفاع والشراء) وهي الهدف الذى يتقاتل ويستشهد في سبيله الاباضية وعند الانتصار تسمى هذه الحالة بالظهور ويعني بها قيام حكومة اباضية وفقا لتعاليم المذهب الاباضي (7) تسير على منهج الشرع الاسلامي ، فتنفذ احكام الله وتقيم الحدود وتصون الحقوق وترد المظالم وتحفظ الثغور وتحمل دعوة الاسلام الى بلاد الكفر (8) ، لان الدولة حينئذ تكون قد ظهرت على غيرها ، بعد ان تكاملت فيها جميع الوظائف العامة والاساسية ويكون المجتمع الاسلامي فيها حرا مستقلا ذا سيادة في ارضه (لا يخضع لاجنبي بوجه من الوجوه ولا يستبد به حاكم ولا يطغى عليه ذو سلطان) (9) .

(6) محمد بن عمر ابو ستة ، حاشية الوضع ، (مخ) غير مرقم ، وانظر مقدمة التوحيد وشروحها لعمر بن جميع ، ط القاهرة 1353 هـ ، ص 50 .

(7) مهدى طالب هاشم نشاة الحركة الاباضية بالمشرق ، ص 298 .

(8) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية .

(9) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 1 ، ص 93 .

ومرحلة الظهور - هذه - لا تتحقق الا (بالامامة الكبرى لانفاذ حقوق الله وحقوق العباد ، لا يزول امامها الا باحداث في الاسلام او زوال عقل اوعدم نفع ...) (10) .

ويضع الاباضية جملة من الشروط الواجب توافرها لاعلان الظهور واقامة الدولة ، فقد سبقت الاشارة اليها (11) اما ادلة مشروعية الظهور فكثيرة منها قوله تعالى = " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " (12) وقوله تعالى = " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون " (13) .

ويشير الاباضية الى امثلة من التاريخ للدول في حالة الظهور منها ظهور النبي (ص) بمكة بعد اسلام عمر (رض) ثم ظهوره بالمدينة بعد الهجرة ، (وظهور ابي بكر وعمر يصليان الجمعة ، ويجمعان الزكوات والغنائم) (14) وظهور الدولة الخطابية (15) في طرابلس الغرب ، والدولة الرستمية (16) في الجزائر

وفي الواقع يمكن ان نلاحظ نوعين من الظهور الاول = الظهور الكامل حيث تتحقق الامامة العادلة

---

(10) محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 113 .

(11) راجع شروط الامامة في الفصل الخامس .

(12) سورة المنافقون ، الآية 8 .

(13) سورة آل عمران ، الآية 104 .

ـ كما ينبغي ان تكون وفق المبادئ العامة للفكر السياسي الاباضي وفي اطار الحدود الشرعية • ويمثل هذا النوع حالة الدولة الرستمية في عز اوجها • والنوع الثاني وهو الظهور الناقص او الظهور الضعيف ، وفيه تكون الامة ظاهرة ومستقلة وذات سيادة لكنها لا تحقق كل الاهداف المرجوة ولا تبلغ كمال الظهور ، ولا الامامة العظمى فتضعف عن تطبيق بعض المبادئ السياسية كالانتخاب الحر والبيعة الشرعية ، او تعجز عن تنفيذ الاحكام الشرعية كاقامة الحدود واعلان الجهاد يمثل هذا النوع حالة الامة العمانية في نهاية القرن العشرين •

ا ـ علاقة الاباضية بالامم في مرحلة الظهور

الاباضية لا يرون قهر غيرهم ولا التدخل في شؤونهم وغايتهم ان يعيش الجميع في وئام وتفاهم ، وهذا ما يلمسه الدارس لتاريخ الدولة الرستمية حيث سلك الاباضية فيها (سياسة التعايش السلمي مع جيرانهم

---

(14) محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 114 •

(15) نسبة الى ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح ، دامت دولته من 141هـ الى 144 هـ •

(16) اسسها عبد الرحمن بن رستم سنة 160 هـ ، وعاصمتها تيهرت ، دامت 136 عاما •

(...) واحترموا مبدأ الحرية ، والعدل ، والمساواة ، وغيرها ...) (16) كما تمتاز دولة الرستميين (بانتماء السكان فيها الى فرق دينية شتى عاش بعضهم مع بعض في سلام ووئام) (17) .

وفي الوقت ذاته يجتهد الاباضية في تبليغ الرسالة ، والدعوة الى الاسلام كلما سنحت الظروف لذلك ، واما علاقتهم باهل الذمة فيجب ان تكون علاقة الضعيف المحمي بالقوى الرحيم . والضعيف هو غير المسلم الذى يدفع الجزية ، وهنا يفصل الوارجلاني الكلام في علاقة الاباضية باهل الذمة فيقول - ((ان عطّل اهل الذمة ما عليهم من الخراج ومن الجزية سنين عديدة فانا ناخذهم بذلك) (18) يعني بالقوة لان السكوت عن ذلك تعبير عن الضعف اما اذا غاب اهل الذمة في بلاد بعيدة عن بلادنا فاتوا علينا فانا لا ناخذ منهم شيئا من الجزاء الا اذا مكثوا في بلادنا سنة كاملة سواء تلك البلاد التي جاؤوا منها بلاد شرك او بلاد اسلام (19) ولا نعشر اموالهم الا لعام واحد ،فان هم ادعوا انهم اعطوا الجزية

(17) رشيد بوريبة ، الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، ص 63 .

(18) ابو يعقوب الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص 52 .

(19) المصدر السابق ، ص 52 .

او العشر لبعض اهل تلك البلاد التي جاؤوا منها او لاهل الخلاف ولهم على ذلك (20) اما اذا كانت اقامتهم دون العام فلا عليهم شيء ، وهم على هذا الحال ما داموا في ملتهم اما ان اختاروا الاسلام - وهذا هو المرغوب فيه - اصبحوا في حكم المسلمين فيبطل عنهم الفيء والجزية والخراج (وان كانت بلادهم بلاد صلح لا بلاد فيء فمن اسلم فله اسلامه وماله ، وعليه فيه الصلح والعشر) (21) وبهذا تحفظ الحقوق في اطار شرعي من غير ظلم ولا جور .

ب - الحكم في الاموال والكنائس والبيع

قد يظهر الاباضية في ناحية من البلاد على الملوك او السلاطين فيقيموا دولة اسلامية فما حكم الاموال ومخلفات الملوك ؟ يجيب الوارجلاني على ذلك بالتفصيل لكننا نكتفي بخلاصة ما قرره "اما الغنائم فان عطنل الملوك فيها السهام وردوها الى بيت مال المسلمين (تركناهم وفعلتهم وان كانت قائمة لم يمضوا فيها بامر اجريناها على السهام) (22) ويعطى لكل ذي حق حقه .

---

(20) المصدر السابق ، ص 52 .

(21) المصدر السابق ، ص 52 .

(22) المصدر السابق ، ص 53 .

اما الاموال التي جمعت من الضرائب ، او بعقاب من عمل المعاصي اوخالف امر الملك فان دخلت في بيت مال المسلمين بقيت فيها ، الا اذا كانت اموالا اخذت عنوة وجورا ، فان كانت عقارا قائمة باعيانها او اموالا معلومة في يد من اعطوها له وعرف اصحابها اعيدت لهم ، اما ان جهل اصحابها فانها ملك للدولة تودع في بيت المال .

وقد يحصل ان ينقض الملوك عهدا اوعذرا او مظالم كانت قائمة بينهم بين اهل الذمة والمحاربين ، فهناك يجب الصلح (سواء كان النقض او العذر من اهل الاسلام او من اهل الذمة والمحاربين ، فمن امتنع اجبرنا عليه حكم الاسلام واهله ومن امتنع قاتلناه وحاربناه) (23) واذا احدث اهل الذمة ايام الملوك كنائس وبيع ينظر في امرها فان بنوها بطرق غير شرعية كاستخدامهم للرشوة ، والحيلة والقوة و الظلم فحكمها الهدم .

وان بنوها على يد السلطان لا الملك فانهم يمنعون منها ، لان السلطان يحكم بالجور والظلم فليست اوامره مقبولة ، ولا اعماله شرعية .

اما اذا بنوا معابدهم بامر الملك ، او بعد طلب

(23) المصدر السابق ، ص 53 .

رضاه ، وتحت رعايته فالحكم فيها تركها لهم .

ج - علاقة الاباضية باهل الخلاف في مرحلة الظهور

أول واجب للامام ان يدعو اهل الخلاف الى ترك ما به خالفوا (فان اجابوا للطاعة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) (24) وكان العدل والمساواة في كل شيء ، لهم حقوقهم من الفيء والغنائم والصدقات (ولهم علينا دفع الظلم عنهم وان فزوا معنا فلهم سهامهم كما لنا) (25) اما اذا امتنع منهم عن اداء الواجبات عوقب بما يرده الى سواء السبيل .

اما اذا فضل المخالفون بالمكوث في بلادهم واقامة دولة لهم فيها ليجروا احكامهم وفق مبادئهم فان الاباضية يتركونهم لشانهم على شرط ان يعترفوا بالدولة الاباضية ويذعنوا لطاعتها ، ويصبحوا في حكم المحميين ، على الدولة الاباضية مراقبتهم والدفاع عنهم ، يقول الوارجلاني = (ناخذ منهم كل ما يجب من الحقوق ونردها في فقرائهم وذوي الحاجة منهم ، ولا نتركهم يظهرون منكرا بين ايدينا (...) ونمنعهم ان يحدثوا في ايامنا ... الا ان يكون امرا

(24) ابو زكرياء يحيى بن ابي الخير الجناوي ، كتاب الوضع ، مط الفجالة القاهرة ، د ت ، ص 17 .

(25) الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص 54 .

لا مكروه تحته فلنا الخيار) (26) .

واذا حدث ان وقع صراع مسلح فالاباضية لا يتبعون مدبرا ولا يجهزون على جريح ولا يقتلون النساء والاطفال والشيوخ ، فاذا هزم الاباضية فاموال المخالفين مردودة عليهم الا ما كان لبيت مال المسلمين .

كان ذلك عرضا لاحوال الاباضية في مرحلة الظهور فما حالهم في الدفاع ؟ .

---

(26) المصدر السابق ، ص 54 .

حكم الدار ومعسكر السلطان

الوطن	السلطان	حكم المعسكر	موقف الاباضية من السلطان	حكم الدار
مسلم	شرعي ملتزم	اسلام وتوحيد وعدل	طاعة السلطان واجبة والخروج عليه فسوق	اسلام وتوحيد وعدل
مسلم	شرعي غير ملتزم			
مسلم	شرعي غير ملتزم	بغي وظلم	تحذير السلطان وامره بالاعتدال امره بالمعروف ونهيه عن المنكر طاعته فيما يوافق الحق — اقرار الامن والنظام / الجهاد في سبيل الله / ايصال الحقوق الى الناس لا تجب طاعته في معصية يجوز الخروج عليه وتغيير حكمه	
مسلم	غير شرعي غير ملتزم			
مسلم	غير شرعي مشرك	كفر	طاعة السلطان غير واجبة الخروج عليه وتغييره واجب	

ثانيا - الدفاع

مرحلة الدفاع بعد الظهور مرتبة واقل منها درجة وفضلا سميت بالدفاع لان المسلمين يشغلهم الدفاع عن انفسهم ودينهم ومكتسباتهم عن اقامة الدولة والظهور على الاعداء ، ويكون المسلمون حينئذ قد ضعفوا وتخلفوا عن شرف الظهور ، لنقص امكانياتهم وقلة عددهم ومع ذلك (يجب الا يهادنوا الظلم وان لا يستكينوا للطغيان وان لا يسمحوا للايدي العابثة ان تهتك حرماتهم وتحول دون امور دينهم وتتحكم في اعمالهم وعباداتهم) (27) بل ويصبح امر الدفاع واجبا فلجأ الاباضية الى اختيار امام يقود الجماعة لاسترجاع حقوقهم ، وتدعى امامته بامامة الدفاع ، يرى أ/مهدي طالب هاشم (معاصر) ان امامة الدفاع تعقد بعد موت الامام الشاري (28) وقد اعتمد حسب قوله على رواية الدرجيني في طبقاته التي تشير الى تعيين عبد الله بن سعيد الحضرمي اماما للدفاع بعد موت الامام الشاري عبد الله بن يحيى الكندي (طالب الحق) (29) • لكن يبدو ان امامة الدفاع لا تعقب الامام الشاري

---

(27) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 1 ، ص 93 •

(28) مهدي طالب هاشم ، نشاة الحركة الاباضية في المشرق العربي ، ص 295 •

(29) امام من اليمن استولى على صنعاء و مكة ، بعث له الخليفة عبد الملك بن

بالضرورة ، اما رواية الدرجيني فلم تثبت تعيين الحضرمي بعد طالب الحق ،وان الذى ذكره كان في سياق الخروج على الظلمة ، و مبايعة رجل (يقال له حسن بعد ما وقع في امر عبد الله بن سعيد الذى انكروا عليه اشياء ...) (30) ولعله من الارجح ان تعقد امامة الدفاع بعد زوال الظهور وضعف الدولة الاباضية .

من موجبات الدفاع و رفع رايته ما يلي :

1 ـ مداهمة العدو للامة ، وسيطرته على الوضع ،وقد يكون هذا العدو من خارج الدولة ، استهدف الارض والشعب والإطاح بالامامة القائمة وقد يكون العدو من الداخل كظهور حزب منشق يقوم بثورة ضد الحكم القائم . او من الخارج بتدخل اجنبي في شؤون الدولة ، و هذا هو الغالب .

2 ـ تفشي الفساد واشاعة الفاحشة ، وكثرة الظلم بسبب انحراف الامام عن الجادة وتخليه عن الامانة وخيانته لله ورسوله والمومنين (31) .

حينئذ يجتمع المسلمون على امام ينصبونه (وتجرى عليه الاحكام التي تقع في حالة كونه اماما ـ للظهور ـ وتجب عليهم طاعته) (32) فيعلنون

محمد ، وقتله سنة 130 هـ .

(30) طبقات الدرجيني ، ج 2 ، ص 251 .

(31) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 1 ، ص 93 .

الدفاع عن الدين والامة ، مبتدئين اولا بتحذير الظالم وارشاده ونصحه واقناعه بالرجوع الى سواء السبيل ،فاذا امتنع وتمنت استكبارا عن الخضوع لامر الله حينئذ تشمر الجماعة للثورة على الظلم والبغي والجور والكفر ، والاستعمار ...

يسمى قائد الثورة بامام الدفاع ، له على الامة الثائرة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة ، فاذا هدات واستقرت الاوضاع اصبح واحدا من افراد الامة (تزول امامته بزوال الثورة ، فتجدد له اولغيره لحادث ، وقيل يجوز نصبه على استمرار وابقاء ، اذا نصب بلا قيد استمرار وبلا نفي استمرار فلا يزول بزوال الحرب) (33) فالعبرة بشروط التنصيب .

ب ـ نتائج الدفاع

والثورة لا تهدأ الا باحد امرين = الانتصار او الفشل

اولا = تنتصر الامة الثائرة وترجع الامور الى نصابهنا وتستقيم الاوضاع ، وفي هذه الحالة تحتمل نتيجتين =

1 ـ تستجيب الدولة الباغية الى الرشد وتنضم الى اهل الحق وفي كلا الحالين لا يكون لزعيم الثورة حق

(32) حاشية الوضع لابي ستة ،باب مسالك الدين / انظر ايضا = محمد بن يوسف اطفيش ، شرح النيل ، جـ 14 ، 276 .

(33) اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ،ص 114 /انظر ايضا = مهدى طالب هاشم الحركة الاباضية بالمشرق العربي ، ص 296 .

في الامامة كما راينا .

ثانيا = تفشل الثورة ولا تحقق اهدافها . ويحتمل نتيجتين كذلك .

1 - يستشهد الثوار عن بكرة ابيهم ، بعد ان ادوا واجبهم وهذا مطلب عظيم اجره ، ونتيجة مرغوب فيها .

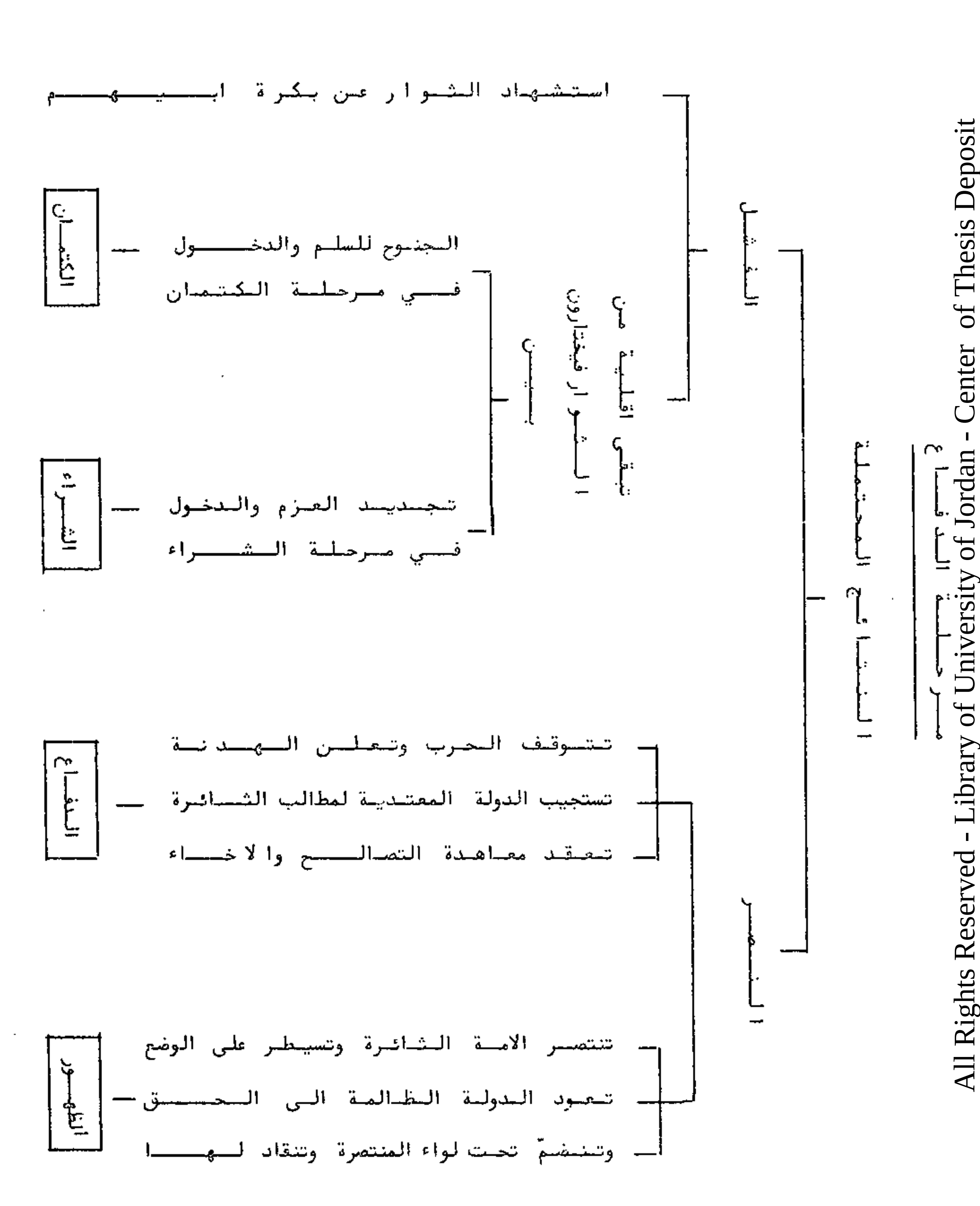
2 - تبقى اقلية من الثوار لا حول لهم ولا قوة ، فيختارون بين امرين = اما الاستراحة وطريق السلم فيدخلون في مرحلة الكتمان ، واما تجديد العزم والدخول في مرحلة الشراء .

وللدفاع امثلة في التاريخ كايام عبد الله بن وهب الراسبي (بايعوه اذ غشيهم العدو فاستشهد بالنهروان ومن معه من المسلمين الا يسيرا) (34) . وابو حاتم ابن حبيب يعقوب الملزوزى (منذ بويع ما استكان للشيطان ولا طلب الراحة للبقاء بل جرد سيفه واقام دين الله طاعة فقاتل جنود الظلم) (35) .

---

(34) حاشية الوضع لابي ستة ، باب مسالك الدين ، مخطوط

(35) احمد بن سعيد الشماخي ، مقدمة التوحيد وشروحها ، ص 53 / وانظر ايضا الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، ج 1 ، ص 36 / وانظر ايضا عبد العزيز الثميني ، معالم الدين (مخطوط) ص 269 .



مرحلة النتائج المحتملة
الفشل
النصر
استشهاد الثوار عن بكرة ابيهم
تبقى اقلية من الثوار فيختارون
الجنوح للسلم والدخول في مرحلة الكتمان
الكتمان
تجديد العزم والدخول في مرحلة الشراء
الشراء
تتوقف الحرب وتعلن الهدنة
تستجيب الدولة المعتدية لمطالب الثائرة
تعقد معاهدة التصالح والاخاء
اللقاء
تنتصر الامة الثائرة وتسيطر على الوضع
تعود الدولة الظالمة الى الحق
وتنضمّ تحت لواء المنتصرة وتنقاد لها
الظهور

ثالثا - الشراة

يأتي الشراء كمرحلة ثالثة من مسالك الدين تتفق هذه المرحلة مع الدفاع من حيث الاهداف المتعلقة بالاطاحة بالسلطان الجائر وتصحيح الاوضاع السياسية والاجتماعية ،وكذا المطالبة بتنفيذ احكام الشريعة لكن تختلف وإياها في اسلوب التغيير وطريقة تنفيذ العمليات ،حيث يعتمد الشراة في تحركاتهم على الحيلة و المباغتة والعنف من اجل تغيير المنكر وتصحيح الاوضاع في اوساط الدولة الفاسدة ؛ يقول الشيخ علي يحيى معمر (1915 ـ 1979م) = (ان هذا التنظيم يشبه ان يكون شغبا على دولة ظالمة ، مسلمة او مسالمة راضية بالذل حتى لا تطمئن الى تنفيذ خططها الجائرة وقد لا تكون لها نتائج غير هذا القلق يخيم على الظالمين) (36) والذين يتولون هذه المهمة يسمون " الشراة " لانهم باعوا انفسهم بالجنة (او لشراء انفسهم من النار ، او لشراء الجنة بانفسهم ، فان الشراء يطلق ايضا للبيع) (37) ٠ قال تعالى = (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) (38) وقال في آية اخرى (ان الله

(36) علي يحيى معمر ،الاباضية في موكب التاريخ ،الحلقة 1 ،ص 94 ٠

(37) اطفيش، شرح عقيدة التوحيد ، ص 114 ٠

(38) البقرة ، الآية 207 ٠

اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) (39) .

ا - ما هي شروط مرحلة الشراء ؟

يشترط الاباضية عند خروج الشراة معلنين الثورة ضد الحكم ، ان يكون عددهم من اربعين فما فوق (تاسيا بالنبي (ص) اول امره (٤٠٠) فلما اكتمل عدد من آمن به اربعون نزل عليه قوله تعالى - فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (40) فامر باظهار دعوته والجهر بها) (41) وان لا يعودوا الى اهلهم الا ان يموتوا او يصبح عددهم ثلاثة او اقل . يقول القطب (اطفيش محمد) - (وامام الشراء اذا نزل عن ثلاثة فليس عليه شيء وقيل يجاهد حتى يظهر امر الله او يموت) (42) ..

هذا بعض ما يشترطه الاباضية فيمن يهب نفسه عن طواعية للجهاد ابتغاء مرضاة الله . لكن هناك تساؤل يفرض نفسه في الموضوع ، كيف يعود الثلاثة الى اهلهم وقد عاهدوا الله بالخروج للموت ؟ يقول الشيخ عبد الرحمن بكلي (معاصر) ذلك عندى اجتهادا منهم - رحمهم الله - ولولا ان اكون قد تجرأت على مقام

(39) التوبة ، الاية 111 .

(40) الحجر ، الاية 94 .

(41) بكلي عبد الرحمن ، فتاوى البكرى ، ج2 ، ص 339 .

(42) اطفيش ، ترتيب لقط الشيخ موسى بن عامر ص 16

ائمتنا (...) لقلت = لا يسوغ لمن باع نفسه لله ان يعود الى اهله ولو بقي وحيدا بل يظل موفيا لصفقته او يستشهد (43) ولعل في الامر مقصد آخر مفاده ان البقية الباقية يؤثرون على انفسهم ليحرموا من الشهادة في سبيل اعادة الكرة من جديد ويشكلوا نواة لجماعة اخرى تعمل الثورة على الفساد ، وبهذا يستمر البقاء الاباضي ...

اما الشروط اثناء الخروج فقاسية تاخذ طابعا عقائديا (44) (لا يقبلها الا الفدائيون الذين وهبوا حياتهم لحياة الامة الاسلامية) (45) . ويمكن حصر هذه الشروط والتعاليم فيما يلي =

1 - لا يعود الشراة الى ديارهم بعد الخروج ، الا في حالات استثنائية ، يمكن للواحد ان يدخل منزله اضطرارا من اجل استمرارية الثورة ، للتزود او لجمع الذخيرة والاستخبار .

2 - يعتبر العائد الى منزله - لمهمة - غريبا عنه وفي حكم المسافر فيقصر في صلاته . (وعند ما يكون في سعف الجبال وفي بطون الاودية (...) يعتبر

(43) بكلي عبد الرحمن ، فتاوى البكري ، ج 2 ، ص 340 .

(44) مهدي طالب هاشم ، الحركة الاباضية في المشرق ، ص 297 .

(45) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

في منزله وبين أهله ...) (46) .

3 - ان لا يستقروا في مكان واحد ، ولا يركنوا الى الراحة لان مهمتهم تقتضي التنقل الدائم واليقظة المستمرة استعدادا لمباغتة العدو في كل لحظة .

4 - ان لا يعترضوا سبيل المسالمين ولا يروعوا الامنين وان لا يمسوا الشيوخ والنساء والاطفال بسوء ، وكل ضعيف .

5 - ان لا يهلكوا الحرث والزرع والغلال ، وان لا يهدموا الاسوار والمباني ... الا لضرورة تقتضيها المصلحة .

6 - ان لا يتخلوا عن رسالتهم حتى ينتهي بهم الامر الى النجاح او القتل . والقتل اقرب الامرين لهم (47) .

ب - اهداف الشراة

الغاية القصوى التي خرج من اجلها الشراة تتمثل في اعلان الثورة ضد الظلم والفساد ، وتغيير نظام الحكم ان لم يحكم الرعية بمقتضى الشرع ، او كان الحاكم من غير الملة اصلا دخل البلاد مستعمرا . حينئذ ينشد الشراة اهدافا مرحلية تكون مطية لبلوغ الهدف .

(46) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(47) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ الحلقة 1 ، ص 95 .

الاسمى ، وتتلخص الاهداف فيما يلي :

1 ـ قطع المواصلات على السلطة الظالمة .

2 ـ هدم قلاع الطغاة وحصونهم ...

3 ـ الاستيلاء على مخازن الذخيرة والعتاد .

4 ـ اثارة الشغب في اوساط اجهزة الدولة المستعمرة

5 ـ (ضرب مضاجع ومعاقل السلطة الجائرة وزعزعة هيبتها ،حتى تشعر الامة الاسلامية ان هناك قوة روحية ... الهية اقوى واشد من القوة المادية الحاكمة التي وصلت الى الحكم عن طريق الوسائل اللاأخلاقية لاجل حب الرئاسة ومفاتنها) (48) .

يقيم الشيخ علي يحيى معمر مرحلة الشراء بقوله : (انه تنظيم رائد للفدائية في الاسلام عندما يستحكم الظلم وتعطل احكام الله باحكام السلطان) (49) . وقد سجل التاريخ صفحات خالدة لثورات رائعة في مرحلة الشراء نذكر منها : (ثورة بلال بن مرداس حيدر التميمي ، وواخيه عروة - اول من قال لا حكم الا لله - وقريب بن مرة الاوذى وزحاف الطائي ...) (50) . قال ابو القاسم سعيد العماني : (بلغنا ان هؤلاء كانوا يخرجون

---

(48) بكير اعوشت ، دراسات اسلامية في الاصول الاباضية ، ص 112 .

(49) علي يحيى معمر ،الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 1 ، ص 95 .

(50) الشماخي ، مقدمة التوحيد ، ص 54 .

بامر امامهم جابر بن زيد العماني ويحبون سيرة الحرب لئلا تموت دعوتهم) (51) .

هذه سيرة الشراة وبعض اعمالهم في حالة الحرب وطغيان الجور ، وفيما يلي مهام الشراة في حالة السلم وتحت الدولة العادلة .

حيث يقوم نظام الحكم على اصوله ويجتهد الامام في تطبيق الاحكام الشرعية ، فان الشراة الذين عاهدوا الله على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تاخذهم في ذلك لومة لائم ولا خوف من الموت ، فانهم لا يجنحون الى الراحة والقعود عن اداء واجبهم حتى في حالة السلم والرخاء حيث تشغلهم عناية الدولة ومراقبة السلطة في تسيير شؤونها ، ومتابعة الائمة واعوانهم في تنفيذهم لاوامر الله واقامة حدوده ... ولا يخفى ما لهذه المهمة من آثار ايجابية في سياسة الامة . كما يسمح مركزهم هذا بالتوسط بين الرعية وساستها وحل الكثير من المعضلات بفضل اخلاصهم يقول الشيخ سليمان الباروني (52) في شان الشراة =(انهم يمتحنون دائما الائمة والعمال) (53) ،

---

(51) محمد ابوستة ، حاشية الوضع ، باب مسالك الدين ، مخطوط .

(52) توفي يوم 1 ماى 1940م ،راجع تاريخ حياته في كتاب = سليمان الباروني باشا ، تاليف ابراهيم ابو اليقظان ، مط العربية ، الجزائر 1956م .

(53) سليمان الباروني ، الازهار الرياضية ، ص 210 .

فيراقبونهم في اعمالهم واخلاقهم ومعاملاتهم • و لا يخفي الشراة نتائج تحرياتهم بل يعلنون عن كل شيء وجدوه فيطلعون الرعية بذلك • ان كان خيرا يحمدون ويثنون وان كان غير ذلك يذمون وينتقدون ويطالبون بالاصلاح (وعلى ذلك يكون مدار اقوال الناس فيهم) (54) وبفضل هذا النظام الرقابي ينضبط الائمة ويحرص الحكام على السير السوى ويجعلون نصب اعينهم (علم الجميع باخلاصهم العمل لله في اصلاح الامة واقامة الدين) (55)

والواقع ان نظام الشراء عند الاباضية ، يشبه الى حد كبير حركة ثورية مبدأها مقاومة الظلم اما بالدعوة السلمية اوبالقوة ان اقتضى الامر لذلك (56) وتتميز هذه الحركة بالتخطيط المسبق لها وتنظيماتها الدقيقة التي تشبه تنظيمات الاحزاب السرية المعاصرة (57) من ثم كانت حركة الدعوة الاباضية تحاول دائما (التغيير والتبديل نحو الافضل (•••) ضمن مفاهيم ومبادىء واهداف داخل اطار الاسلام وقيم العروبة) (58) •

---

(54) المصدر السابق ، ص 210 •

(55) المصدر السابق ، ص 210 •

(56) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص 298 •

(57) فاروق عمر ، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، دراسات نقدية في تفسير التاريخ ، ط 2 ، دار اقرأ ، بيروت 1985م ، ص 40 •

رابعا - الكتمان

المرحلة الرابعة من مسالك الدين هي الكتمان ، وهي ادنى درجات الجهاد في سبيل الله ، وفيها تفتر القوة ، وتضعف النفوس ، فيعجز المسلمون عن رد المظالم وانكار المنكر - الا بالقلب - فترضى الامة بالواقع وتستسلم لحكم الجبابرة ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحكم ، فيضطر ذوو الغيرة على الدين حينئذ لكتمان امرهم وانعزالهم بعيدا عن المجتمع الفاسد ، ويوجهون نشاطهم لامورهم الداخلية ويكونون بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان وهو تنظيم خاص للمجتمع الاباضي الذى عجز عن اقامة الدولة ، لعدم توفر الشروط الكافية للظهور (59) .

وتمتاز مرحلة الكتمان بتنظيم جيد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الاباضية على التنظيم المتسم بالعقلانية والواقعية والاعتدال في التفكير واصدار الاحكام ووضع المبادئ كما تدل مرحلة الكتمان على (النضج السياسي لدى الاباضية فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة وانما هو مرحلة اعداد لاستلام

---

(58) المصدر السابق ، ص 40 .

(59) راجع شروط اقامة الدولة في الفصل الاول من الباب الثالث .

السلطة) (60) ، الا ان الواقع يشير الى ان الاباضية في الكتمان المعاصر لا يفكرون في العودة الى الظهور لان الظروف الحالية مختلفة عما كانت عليه في القرون الاولى للهجرة • لان وجود سلطة اسلامية قائمة بشؤون الدولة تغني الاباضية عن الخوض في المجال السياسي ، ولذلك (لم يقم من الاباضية قائم يدعو لنفسه او يعمل لغيره او يساعد احدا للوصول الى الحكم منذ اواخر القرن الثالث للهجرة الى اليم) (61) •

وفي مرحلة الكتمان يركز الاباضية نشاطهم على جانبين ، الاول = التنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني والاجتماعي والتربوى والاقتصادى ، والثاني = العلاقات الخارجية للمجتمع الاباضي بغيره من الطوائف والمذاهب •

١ – التنظيم الاجتماعي في مرحلة الكتمان

ما من نشاط داخلي للمجتمع الاباضي في مرحلة الكتمان الا ويقوم اساسا على مبدأ (المحافظة على الدين) حتى اصبح هذا المبدأ عنوان المرحلة وهدفها فقالوا (من ضيع دينه فليس جاريا على حكم الكتمان (62) ، • ومع المحافظة على الدين يجب المحافظة

---

(60) مهدى طالب هاشم ، نشاة الحركة الاباضية في المشرق العربي ، ص 292 •

(61) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية •

(62) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 114 •

على المجتمع شكلا ومضمونا ، شكلا من حيث المؤسسات من الاسرة ومجلس العائلة والعشيرة الى المسجد والبلدة ومجلس اعيان المساجد ... ومضمونا من حيث القيم والعادات والتقاليد والتراث الاصيل بمختلف انواعه وفنونه ، مع الاهتمام بالجانب الثقافي لما له من فعالية في استنهاض الهمم و شحذ العزائم وذلك بحسن تربية النشئ والعناية بتعليمه وتلقينه اصول دينه . ومن ناحية اخرى اهتمام المثقفين بدراسة اصول المذهب ونشرها لضمان استمرارا لبقاء الفكرى . وهو ما دأب عليه الاباضية (فقد حاولوا في السنين الاخيرة ان يستنهضوا همتهم و نشاطهم وان يستعيدوا الشعور بكيانهم فعمدوا الى طبع عدد من كتبهم الرئيسية في علم الكلام) (63) والفقه والتاريخ . وكل ذلك لا يتحقق الا بانشاء جمعيات ومؤسسات خيرية تتكفل (بارشاد الناس الى الخير العام وتهذيب نفوسهم وتسعى الى غرس فضائل الاسلام وقيمه الخلقية وتربية النشئ تربية دينية اسلامية سليمة ونشر الوعي الديني بين طبقات الشعب (64)

---

(63) اجناس جولد ستهير ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، علي عبد القادر ، ص 174 .

(64) بكير اعوشت ، دراسات اسلامية في الاصول الاباضية ، ص 113 .

والمؤسسات الدينية عديدة تختلف باختلاف المهام المنوطة بها كالمسجد والعشيرة والمدارس والمعاهد والنوادى ودور اليتامى . يقوم برعاية هذه المؤسسات وتوجيهها هيئة عامة متمثلة في حلقة العزابة وهو نظام محكم يقوم مقام السلطة في مرحلة الكتمان يقول ابوعمار عبد الكافي (ق 6هـ/12م) = (ومنزلة الحلقة اى نظام العزابة التي اثبتها المشائخ حين عدم اهل المذهب السلطان العادل وتبوؤها ونزولها منزلة السلطان العادل في العدل سواء) (65) .

وتشير المصادر الاباضية الى انه كان للعزابة في دور الكتمان مهام سياسية فضلا عن المهام الدينية والاجتماعية ، فكان على المجلس تولية الامراء وعزلهم يقول الشيخ ابو سليمان التلاتي (توفي 462 هـ) (نحن جماعة العزابة ليس بايدينا ولا الينا تولية الامراء ولا عزلهم في هذا الزمان) (66) . ويعلق الشيخ علي يحيى معمر على هذا بقوله =(يدل هذا على ان تولية الامراء وعزلهم كان من عمل العزابة لكنه نزع من ايديهم في هذا العصر) (67) غير انني استبعد

---

(65) ابوعمار عبد الكافي ، نظام العزابة ، رسالة مخطوطة ، ص 5 / انظر ايضا = فرحات الجعبيرى ، نظام العزابة ... ص 25 .

(66) اورد الشماخي هذا الخبر في السير ، ص 583 .

(67) في رسالة بعثها علي يحيى معمر الى ش. ابراهيم ابو اليقظان في موضوع

ان يكون لهيئة العزابة دور في المجال السياسي . علما ان العزابة كنظام ديني واجتماعي لا يظهر الا في مرحلة الكتمان حيث لا تكون السلطة السياسية في يد الاباضية . والواقع يفرض عليهم ذلك ، ومن ثم يتعذر عليهم التدخل في شؤون السياسة فضلا عن تولية او عزل الامير . يومئ ابو عمار عبد الكافي الى ذلك حين يعتبر الحلقة في منزلة السلطان وليست هي السلطة (68) .

ب - علاقة الاباضية بمخالفيهم في مرحلة الكتمان

اما هذه العلاقة فانها غير ثابتة - في الواقع - حيث نجدها تتسم بالتقارب و التآزر حينا ، وبالتباعد و التنافر حينا آخر وفي الحالة الثانية تركن الجماعة الاباضية الى الانزواء حول نفسها رافضة كل ما ياتي من الخارج .

ويبدو ان هذا التأرجح بين الحالتين ناتج اساسا عن التغير الحاصل في الظروف الزمانية والمكانية وبما ان الاباضية يضطرون للدخول في مرحلة الكتمان هروبا بدينهم بسبب الفساد وتسلط الحكم الجائر فهذا مما يدعو بالضرورة الى الانعزال مع ابقاء العلاقات

- عزابة جربة ، اوردها ش. ابو اليقظان في ملحق لرسالته في العزابة ، مخطوطة لدى أ/ عبد الحميد (نجل ابي اليقظان) تحت رقم 52 .

(68) ابو عمار عبد الكافي ، رسالته في نظام العزابة ، مخطوطة ، ص 5 .

الاخوية بالمخالفين على الدوام دون اثارة الفتنة ما لم تمس الجماعة في دينها واعراضها وممتلكاتها ،اما اذا حدث شيء من ذلك فان الامر يقتضي اتتهاج سياسة الحياد الايجابي واول ما ينبغي في ذلك الالتجاء الى مواقع نائية منعزلة (بعيدة عن مواطن الاتصال بين الامم فيقطنون بقعا تكاد تكون نسيا منسيا) ، (69) ومن مظاهر الانغلاق في مرحلة الكتمان الابتعاد عن مجالس المخالفين وعدم دراسة مؤلفاتهم مخافة التأثر بهم والذوبان في مجتمعهم ، يقول الشيخ ابو الربيع سليمان بن يخلف النفطي (اواخر ق 5 هـ) يوصي اتباع الاباضية = (احذروا كثرة مجالس المخالفين (...) وتجنبوا مخالطتهم والميل اليهم وكثرة مطالعة مؤلفاتهم وحذروا من ذلك سواكم ...) (70) ويؤكد هذا نقمة المشائخ على ابي يعقوب يوسف ابن خلفون (اواخر ق 6 هـ) شغفه بمطالعة كتب الاشراف (71) وغيره من تصانيف المخالفين (72) .

ربما كان الاباضية مبالغين في موقفهم عند الكتمان خوفا من الوقوع في مزالق الاثم ، الا انه اذا حدث

---

(69) اجناس جولد ستيهر ،العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص 147 .

(70) صالح باجية ، الاباضية بالجريد ، ص 48 نقلا عن الدرجيني الطبقات ج 2

(71) انظر = الفقه اعلى المذاهب الاربعة ،لابي بكر النيسابوري الشافعي ، المتوفى سنة 318 هـ .

مثل هذا في فترة من التاريخ فانه - لا محالة - وقع تحت تأثير قوى من العصبية والطائفية ، في عصر بلغ فيه الصراع المذهبي أوجه ، على ان هذا الانعزال لا يخلو من محاسن ، واهمها تفرغ العلماء للدراسة والتأليف والتدوين وكان يتم ذلك في المغاور وبطون الاودية طلبا للعلم سرا ، وبذلك لم تنقطع الحركة التعليمية في مرحلة الكتمان : يقول أ/ محمد الشيخ بالحاج (أنه رغم تلك الوضعية القاسية المؤلمة فان الحركة العلمية او الفقهية لم ينلها من ذلك الا التستر والاختفاء مع العمل الدؤوب دون انقطاع او جمود أو اغلاق لباب الاجتهاد عند الاباضية) (73) ، علما (أن هذا التستر والاختفاء فرض عليهم بالظلم و البطش ولم يرضوه لانفسهم اختيارا) (74) .

وحيث ان موقف الاباضية من المخالفين يتغير بتغير الظروف في مرحلة الكتمان ،فان العلاقة بين الاباضية وغيرهم قد تطورت نحو الاحسن ، بعد صفاء الجو من غيوم التطاحن والصراع ، فحل الوفاق محل الخلاف مع الاحترام المتبادل للاراء و الافكار. يقول الشيخ

---

(72) الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، ج 2 ، ص 496.

(73) محمد الشيخ بالحاج « الاجتهاد عند الاباضية ، ص 27 .

(74) محمد الشيخ بالحاج ، في مقابلة معه في القرارة .

علي يحيى معمر يدعو الى مزيد من التقارب والتفاهم والاتحاد ضد اعداء الاسلام = (عندما تكون الدولة القائمة جائرة يجب على المسلمين ان يستمعوا لها ويطيعوا في غير معصية الله وعليهم ان يحاربوا معا اعداء الاسلام وان يدفعوا لها ما تطلبه ظروف الحرب من اموال ودماء ، وان يساعدوها في حفظ الامن والقيام بالمشاريع العامة)(75) .

ج ـ نظام العزابة

العزابة جمع لكلمة عزاب وهو الاسم الذى يحمله العضو في حلقة العزابة ، والحلقة (76) نظام ديني اجتماعي تربوى ، تطور عبر مراحل التواجد الاباضي بين وادى اريغ و وادى مزاب ليصبح مجلسا للعزابة (وهو اعلى سلطة في المكان الذى يوجد فيه ، ويمثل سلطة الامام (...) ويقوم مقامه في جميع مهامه باستثناء اقامة الحدود التي يعطلها الاباضية في طور الكتمان ...)(77) ويرجع تاريخ تاسيس نظام العزابة الى اوائل القرن الخامس الهجرى على يد الشيخ ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (78) حين

---

(75) علي يحيى معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص 29 .

(76) كانت الحلقة تشتمل على الشيخ وجماعة التلاميذ يعلمهم العلم ويلقنهم السير فكانهم ملحقون ولو انهم مفترقون ، الدرجيني ، الطبقات ، جـ1 ، ص4 .

(77) عوض محمد خليفات ، التنظيمات السياسية والادارية ... ص 13 .

استقر مع تلاميذه في مدينة " تينبيسلي " (79) ،وفي غار " التسعي " (80) شرع الشيخ ابي عبد الله في وضع نظام الحلقة سنة 409 هـ (81) ولما استكمل التنظيم وارسى قواعده وآدابه وشروطه انتقل الشيخ بتلاميذه الى منطقة " وادى مزاب " وبذلك دخل نظام العزابة الى المنطقة وهولا يزال بها ساريا مف ـوله الى اليوم والعزاب رجل اعتزل العوائق الدنيوية وعزب عن الملذات (ولازم الطريق وطلب العلم ، وسير اهل الخير وحافظ عليها ، وعمل بها ، فان حسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا ...) (82) .

تشكيل حلقة العزابة وصلاحياتها .

تتالف الحلقة غالبا من اثني عشر عضوا لكل مهامه الخاصة ،وقد يرتفع عدد الاعضاء الى اكثر من ذلك حسبما تتطلبه الحاجة الدينية والاجتماعية اما شروط العضوية فكثيرة اهمها ان يكون المرشح اباضيا متفانيا في خدمة مذهبه واتباعه وان يكون حافظا للقرآن الكريم ، زاهدا في الدنيا وملذاتها (واذا تحدد الشخص جعل له رقيب ليراقب سلوكه

---

(78) راجع ترجمته في طبقات الدرجيني ،جـ2 ،ص 377 ، وفي سير الشماخي ص 384
(79) اوتنسلي بالقرب من توقرت (وادى ريغ) تعرف الان باسم بلدة اعمر .
(80) او تسعماى نسبة الى سنة 409، انظر طبقات الدرجيني ، جـ1 ،ص 170 .
(81) الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، جـ1 ص170 .

وتصرفاته) (83) اما شيخ العزابة فيشترط فيه ان يكون ذكيا لبقا ورعا لطيفا مع اصحابه ، يبقى في منصبه مدى الحياة (84) وهو المرجع الاول لاباضية بلدته .

مهام الاعضاء (85)

1 ـ شيخ العزابة

يتولى الوعظ والارشاد وتبليغ اعلانات العزابة الى العامة ، واليه يرجع الامر في الحل والعقد وسير شؤون الحلقة . وقد ينوبه نائب له .

2 ـ المؤذن

يتولى امر الآذان وضبط وقت الصلاة .

3 ـ الامام

يتولى امامة الناس في الصلاة ، وهو الذى يعلن حكم البراءة على المحكوم عليه بذلك من طرف مجلس العزابة ، وقد يقوم الامام باعلان العفو باسم اعضاء الحلقة ان لم يكن الشيخ حاضرا .

4 ـ وكيلان لاوقاف المسجد

لهما مسؤولية السهر على اموال المسجد .

---

(82) المصدر السابق ، ص 4 .

(83) عوض محمد خليفات ، التنظيمات السياسية والادارية ... ، ص 15 .

(84) المصدر السابق ، ص 14 .

(85) عمر سليمان بوعصبانه وعبد الله خرفي ،نشأة وعمران مزاب ومؤسساته الدينية والاجتماعية ، جناح التاريخ بالاسبوع الثقافي الثالث لجمعية

5 ـ ثلاثة معلمين للصبيان

يتولون مهمة تعليمهم القراءة و الكتابة والاشراف على سير محاضرهم والمحافظة على النظام في المسجد .

6 ـ خمسة أعضاء مساعدون

تسند اليهم مهمات اجتماعية مختلفة.

والى جانب المهام المذكورة ، يتولى مجلس العزابة رعاية المصالح الاجتماعية للمجتمع(86) فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويسهر على حل المشاكل والخصومات بين الناس ، ويحارب الآفات الاجتماعية كما يقوم بالاشراف على الاسواق وحراسة البلدة اذا اقتضت الضرورة الامنية ذلك ، واليه يعود الامر في كثير من المسائل التي تمس حياة المواطنين الدينية والاجتماعية والثقافية .

د ـ نظام العشيرة

العشيرة مجموعة اسر تربط بينها قرابة الرحم ويلتقي نسبها في جد واحد ، الا ان رباط الاخوة الاسلامية وروح التعاون والتآزر والحب في الله يجعل من هذه العائلات أسرة واحدة متحدة تربطها بغيرها من العشائر روابط التعارف و التكامل الاجتماعي والتعاون

ـ قدماء التلاميذ ، القرارة 1979م (مطبوعة بخط اليد على الستانسيل) ص 6 ـ 7 .

(86) انظر محمد بلغراد عن الزركلي في الاعلام حول دور العزابة ، الاصالة عدد 41 ـ

لما فيه الصالح العام والتناصح في الله بحيث تذوب في هذه القيم الراسخة علاقة الدم والعصبية القبائلية الجاهلية ، وللعشيرة في وادى مزاب نظام محكم يقوم اصلا على مبادئ الشريعة والتعاليم الاسلامية السامية ، يكافل للمجتمع الاباضي العيش في امن وسلام ورخاء . وبفضل التكافل الاجتماعي الذى يفرضه نظام العشيرة تغيب في المدينة الاباضية مظاهر الفقر والتسول و التشرد ، وتخف حدة الطبقية ، وتتساوى الفئات الاجتماعية من حيث المظهر ، كما يفرض العرف العام تحديد وتوحيد انماط السلوكات الاجتماعية في الحياة اليومية والمناسبات في التقاليد والعادات ، فتختفي بسبب ذلك - مثلا - ظاهرة المغالات في مقدار ونوعية الصداق ، وبذلك يتيسر لابنسط الناس بناء اسرة اسلامية باقل التكاليف ويعود الفضل في كل ذلك الى دور المسجد بالدرجة الاولى ثم العشيرة التي تتمتع بصلاحيات واسعة تخولها الاشراف عن كثب على الحياة الدينية والاجتماعية والتربوية لابنائها .

يشرف على نشاط العشيرة مجلس ادارى ينتخب من مجموع ابناء العشيرة ، وهذا المجلس يختار

= صفحة 44 .

من بين اعضائه رئيسا للعشيرة ويكون افضلهم علما وورعا وصلاحا وهو ممثل العشيرة في حلقة العزابة ،

اما صلاحيات العشيرة فمتعددة لاتساع مجالات اشرافها ، حتى انه يتعذر حصرها ، لكن يمكن تقسيمها الى قسمين هما =

أولا = التكافل الالزامي ويتناول الاصناف التالية (87) =

- تحمل دية قتل الخطأ فيما فوق الثلث ؛
- تقدير النفقة للفقير المحتاج ، اما لمرض اوعجز اونزول مصيبة عليه او اتلاف ماله ، او الشيخوخة والكبر وغير ذلك •
- تعيين وكيل على اليتيم ، وتصفية تركة المتوفى •
- تقدر للمتزوجة من العشيرة نفقة لها ولاولادها بالعدل والمعروف في حالة تهاون الزوج عن ذلك ، وكذا في حالة الطلاق •
- تعيين وكيلا للمبذر لماله والمسيء التصرف فيه سفها حتى لا يضيع مستقبله ومستقبل اولاده ، وكذا بالنسبة للمجنون •
- تعيين وكيل للاسرة التي غاب عنها وليها ولم يترك نفقة • و تقدر لها نفقة حتى لا تضيع الاسرة ، وتتعرض للفقر،

---

(87) ابو اليقظان ابراهيم ، نظام العشيرة في وادي مزاب ،(مخ) ،ص 13 •

ثانيا = التكافل الاجتماعي =

وهو ان لم يكن لازم فهو ضروري لتتكامل حياة المجتمع ، ومن اهم مجالاته ما يلي =(88)

- تعاون العشائر بالمساعدات المادية والمعنوية وعن طريق الحملات التطوعية لصالح البلدة والمجتمع منها على سبيل المثال =

- التعاون على بناء المشاريع الخيرية العامة مثل المدارس والمساجد ودور العشائر والنوادى ، والسدود

- التعاون على حفظ الامن في البلد وذلك ببناء الاسوار حول المدينة ، وتنظيم الحراسة العامة ليلا ونهارا .

- التعاون على اقامة الاعراس لابناء العشيرة والاحتفال بهم .

- التعاون على تعليم النشئ وتربيتهم وتوجيههم

هذه هي العشيرة التي تقوم على مبادئ اسلامية يعتمد عليها اباضية الجزائر لتنظيم شؤونهم الاجتماعية والتربوية وهي تقوم مقام الدولة في اداء الخدمات الاجتماعية في حالة الظهور ، يقول الشيخ ابو اليقظان = ((لو ان بلاد الاسلام حافظت على نظام العشيرة فيها كما حافظت عليه بلاد مزاب لكان اولئك السواد الاعظم من الفقراء واليتامى والمساكين

---

(88) المصدر السابق ، ص 14 .

والارامل (...) والسفهاء والمجانين وامثالهم مكفولين غير مضطرين الى ملاجئ تأويهم او الى الطرق للتسول ...))(89) والواقع انه مهما سعت الحكومة في القيام بشؤون المواطنين الداخلية - وما اكثرها واعقدها - فانها لا تستطيع تحقيق مساعيها في غياب هذه المؤسسات الخيرية التي تعمل جاهدة للصالح العام وتقدم خدمات كبرى للدولة بدون مساس بسيادتها وهيبتها .

هذه نظرة خاطفة على النشاط الاباضي في مرحلة الكتمان وما يتعلق بها من تنظيمات تاخذ طابعا اجتماعيا دينيا . وتبتعد ما امكن عن الخوض في المجال السياسي . لان الهدف الاول من الكتمان هو التركيز على الحياة الداخلية للمجتمع ، بالمحافظة على الدين والسعي في تطبيقه ، وبتنظيم الحياة الاجتماعية .

ويمكن ان نلاحظ ما دمنا في آخر مراحل مسالك الدين ان الكتمان ينقسم الى نوعين = الاول = مرحلة الاختفاء والتستر المتطرف والانعزال التام وهي شبيهة بحالة القعود مثل ما كان عليه الامام جابر ابن زيد وابو عبيدة مسلم في العراق ، وابو الربيع

(89) ابراهيم ابو اليقظان ،نظام العشيرة في وادى مزاب (مخ) ، ص 12 .

سليمان بن يخلف النفطي (ق5هـ) ومن عاصره في الجريد حيث كانوا يبالغون في اخفاء امرهم ، نظرا للظروف القاسية في زمانهم . والنوع الثاني = هو الكتمان المعتدل او الظاهر حيث يتمتع فيه الاباضية بحرية الرأى واظهار نشاطهم بين الامم الا انهم يعجزون عن اقامة دولة مستقلة لهم ولا يرغبون في ذلك . ومثال هذا النوع حالة اباضية شمال افريقيا بعد سقوط الدولة الرستمية .

فنسمي الحالة الاولى بالكتمان الخفي ،والحالة الثانية بالكتمان الظاهر ، وفي كل من الخفي والظاهر يترأس الجماعة الاباضية امام الكتمان يدعى امام المسلمين او امام القوم او امام التحقيق كما كان يسمى عبد الله ابن اباض في صدر نشأة المذهب (90) الا ان هذه الامامة لا تاخذ بعدا سياسيا ، فالامام في مرحلة الكتمان يكون بمثابة الرئيس (في حكومة)تيوقراطية اباضية تدعى جماعة المسلمين) (91) تتولى هذه الحكومة او السلطة رعايةالشؤون الداخلية و التنظيمات الاجتماعية للجماعة الاباضية . وتتشكل هذه الحكومة من مجلس متكون من خيرة المشائخ ينتخبون من بينهم

---

(90) انظر سير الشماخي ، ص 77 ، جواهر البرادى ، ص 155 ، السير العمانية ص 110 .

رئيسا تسند اليه مهام امامة الكتمان ، من امثلة هذا التنظيم = مجلس المشائخ في عهد الامام جابر ابن زيد وابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ، ثم الربيع ابن حبيب ومن جاء بعدهم في المشرق . وفي المغرب نجد مجلس المشائخ في عهد يعقوب بن سهلون (ق 4 هـ) وابي نوح سعيد بن زنغيل (ق 5 هـ) وابي عبد الله محمد بن بكر (ق 5 هـ) وابي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ق 6 هـ) ثم اخيرا مجالس العزابة التي قل نشاطها اوتوقف نهائيا لدى اباضية شمال افريقيا (92) باستثناء قرى وادى مزاب الكائنة في جنوب الجزائر ، والتي لا تزال مجالس العزابة فيها تقوم بمهامها الدينية والاجتماعية واليها يعود تنظيم النشاط الاباضي في مرحلة الكتمان .

---

(91) تادوز لويكي ، دائرة المعارف الاسلامية مادة الاباضية

(92) انظر فرحات الجعبيري ، نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة ، مط المصرية ، تونس 1975م .

خلاصة مسالك الدين

	الظهور	الدفاع	الشراء	الكتمان
الهدف	اقامة الدولة العادلة	الدفاع عن الدين ومحاربة الفساد	الثورة ضد الحكم الجائر	المحافظة على الدين واصلاح المجتمع
دليل المشروعية	ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين	وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون	ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم	(ادلة مشروعية التقية)
الشرط الموجب	توفر القوة الكافية في العدد والعدة	انتشار الفساد او ظهور عدو	تسلط حاكم جائر او مستعمر كافر	اقلية ضعيفة في دولة مخالفة
نوع السلطة	امام منتخب وحكومة عادلة	امام ينعزل بانتهاء الحرب	قائد مؤقت ينتصر او يموت	سلطة اجتماعية (نظام العزابة)
اسلوب العمل	تسييس الرعية وانفاذ احكام الشرع	المجابهة بالقوة بعد النصح والتحذير	الثورة عند الظلم او المراقبة في السلم	النشاط الديني والتربوي والاجتماعي
الامكانيات	السلاح والعلم والمال والرجال	السلاح والرجال	مايحتاج اليه الفدائي مع قوة الايمان	العلماء والمؤسسات الثقافية والاجتماعية
المثال	النبي بعد الهجرة الخلفاء الراشدون الدولة الرستمية	عبد الله بن وهب الراسبي وابو حاتم يعقوب	بلال بن مرداس و زحاف الطائي وقريب بن مرة	اباضية الجزائر وتونس و ليبيا بعد الدولة الرستمية

الفصل الثالث

امام الظهور

- اولا : شروط الامام
- ثانيا : تنصيب الامام
  - أ ـ الترشيح
  - ب ـ البيعة (اهمية العقد)
  - جـ ـ الصفقة
  - د ـ حالات استثنائية عند البيعة
- ثالثا : موجبات عزل الامام
- رابعا : هل يجوز الخروج على السلطان الجائر
- خامسا : موقف الامة من الامام العادل
- سادسا : مسؤوليات الامام وواجباته
  - أ ـ المسؤوليات الامنية
  - ب ـ المسؤليات الادارية
  - جـ ـ المسؤوليات الدينية
  - د ـ المسؤوليات الاقتصادية
  - هـ ـ المسئوليات الاجتماعية

بما أن التفكير السياسي لدى الاباضية " منشأه العقيدة الدينية . وتقوم الامامة على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (1) وانطلاقا من مبدأ الافضلية للأتقى والاصلح دون اعتبار العرق والنسب، عملا بروح التعاليم الاسلامية في المجال السياسي والاجتماعي القائمة على مبدأ الحرية الانسانية والمساواة فان الاباضية اختاروا الاتجاه الديمقراطي الاسلامي كنظام سياسي واجتماعي لانه النظام الوحيد الذى يكفل الحريات الأساسية للمواطن ، كما يضمن صيانة حقوق الفرد ضمن حدود الشريعة ، ومن أهم حريات المواطن اختيار من يتولى رعايته ومن أبسط حقوقه تولي السلطة اذا تأهّل لها . ونظرا لهذه المنطلقات الاساسية كان رأى الاباضية في الامامة " هو الرأى الذى يؤيّده الاتجاه الحديث ويؤيده كل مخلص لدينه ووطنه " (2) ومن أهم مزاياه المحافظة على مبدأ الشورى وهو عمود الديموقراطية في الحكم، ولذلك أولى الاباضية عناية كبيرة بمفهوم الشورى فكانوا " وحدهم الذين طبقوه في الحكم بعد الخليفتين أبي بكر وعمر " (3) .

ونظرا لأهمية التجربة الاباضية في مجال الحكم فاننا سوف نركّز الحديث حول تطبيق الشورى والديمقراطية من خلال عرضنا لجهاز الحكم المتمثل في الامام كمسؤول أول في الدولة ثم أعوانه ومساعديه.

---

(1) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadisme..P:289

(2) عبدالحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام ، ص: 191 .

(3) عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية لنشأة الفرقة الاباضية ص: 54 .

كمجلس الشورى و القضاة والعمال والحسبة والجيش . وهي أطراف متكاملة لتأليف شيء واحد هو السلطة . بأنواعها الثلاثة : التشريعية والتنفيذية والقضائية . ونظرا لأهمية الامام سنفرد له فصلا خاصا ثم نتطرق الى اعوانه في فصل لاحق .

أولا : شروط الامام

عندما نسأل : من أحق بمنصب الامام ؟ نكون قد اثرنا أهم مسألة في الفكر السياسي عند المسلمين ، ولعلها أول مشكلة سياسية اختلف حولها الفقهاء والعلماء فترتب عنها ظهور الاحزاب السياسية والفرق الدينية ، وسبب هذا الاختلاف يعود الى تحديد الشروط المطلوب توفرها لدى المرشح لمنصب الامام أوالخليفة أو أميرالمؤمنين ، وبالرغم من اتفاق جميع المذاهب على الشروط الاصلية كالعلم والاجتهاد والذكاء والشجاعة والنزاهة والعدل و الحرص على مصلحة المسلمين، والتقى والورع .... فان الخلاف يبقى واردا حول بعض الشروط التي تعتبر مكمّلة لا أصلية . ومنها شرط الانتساب الى بني هاشم الذى تطالب به الشيعة (4) أو فرع من آل البيت كالقرشية (5) أمّا الامامية فاشترطت أن يكون الامام" عالما بأصول الدين وفروعه بالفعل لا بالقوّة وأن يكون معصوما " (6) وكذا اشترط الاسماعلية وزاد بعضهم اشتراط" ظهور المعجزة علي يده" (7) ويرد الشيخ

---

(4) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص: 441 .

(5) م.س ص: 440 ، وعلي يحي معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص: 364 .

(6) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص: 441 .

(7) م.س ، ص : 441 .

محمد اطفيش على هذه الآراء بأن " خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ليسوا من بني هاشم ولا عالمين بالفروع والاصول كلها بالفعل بل لهم اجتهاد ومعونة من الصحابة كعلي " (8) (رض) بل حتى علي (ض) ولم يكن من بين هؤلاء الاربعة معصوم ، أما ظهور المعجزات فهي مسألة تخص الانبياء وحدهم .

ومن الشروط كذلك الاولوية للأفضل والاعلم ، وجواز الخروج عن الامام اذا جار أو عدم جوازه، وطاعته اولا اذا لم يعدل..." (9) كما تسبب في الخلاف مسألة ترشيح الامام وطريقة اختياره ثم تنصيبه وبيعته، وصلاحياته ومهامه ....

اذن فما موقف الاباضية من كل ذلك ؟ وماهي الشروط الواجب توفرها عند المرشح للامامة ؟

في الواقع يتعذر تحديد هذه الشروط بشكل دقيق وثابت نظرا لتعدد الآراء حولها وعدم وجود اتفاق شامل يجمع بين قدماء الاباضية ومعاصريهم ، ولكن يبقى المبدأ الاساسي المتمثل في المنهج الديموقراطي وأحقية كل مسلم لمنصب الامامة دون اعتبار اللون والجنس، يبقى هو المبدأ الذى يؤمن به كل مفكر اباضي ، ويمكن الملاحظة كذلك أن الشروط الى جانب كثرتها تتصف حينا بالصرامة والمبالغة عند بعض الاباضية وتتصف حينا آخر بالبساطة والسهولة عند الآخرين .

---

(8) م . س ، ص : 441 .

(9) اطفيش شرح العقيدة ص : 440 .

وفيما يلي بيان أهم الشروط كما تتصورها النخبة من علماء الاباضية مع التركيز على آراء الوارجلاني ومحمد اطفيش .

ونبدأ أولا بتحديد القطب للشروط فيقول : " أن يكون مجتهدا في الاصول والفروع ليقوم بأمر الدين والدّنيا متمكنا من اقامة الحجة وازالة الشبه وتصحيح العقائد " (9) وأول مايلفت الانتباه أن القطب لم يشرط أن يكون الامام عالما في الاصول والفروع بل اشترط الاجتهاد لأن الاجتهاد أعمّ من العلم ولايبلغ الامام درجة الاجتهاد الاّ اذا كان عالما . وفي نص القطب اشارة الى ضرورة تمكن الامام من العلوم الدنيوية الى جانب العلوم الدينية حتى يستطيع القيام بالأمور الدنيوية كذلك ، وهي ملازمة لأمور الدين ، لانه لافصل بين الدين والدولة في الحكم الاسلامي . وهكذا نلمس تأكيد القطب على الجانب العلمي في الامام وهو مذهب الاباضية عامة حيث " يركّزون على العلم فكيف يمكن تطبيق الاحكام والقيام بالواجبات ومراعاة الحقوق بدون علم " (10) ومن كمال العلم أن يكون الامام " فصيحا بالعربية " (11) وهذا شرط اضافه القطب ولم ينتبه اليه سواه ولعله لاحظ أن اللسان البربرى يغلب على أهل زمانه وأدرك أن العلم لاينال بالبوبرية بالقدر الذى ينال به بالعربية لغة القرآن والعلوم العقلية

---

(9) اطفيش ، شرح العقيدة ، ص : 440 .

(10) Pierre Cuperly ,Introduction à l'etude de l'Ibadisme...P:295

(11) محمد اطفيش ، شرح النيل ، ج 18 ، ص: 8 .

والنقلية ، ويضيف القطب الى شروطه بأن يكون الامام " ذا رأى بالحروب والثغور والجيوش شجاعا ولوكان لايباشر الحرب ليدافع عن الدين والحوزة " (12) وهذا مايسميه الامام الغزالي بالنجدة ، واظهار الشوكة والقوّة ، ووفرة العدّة والاستظهار بالجنود من أجل قمع البغاة والطغاة ومجاهدة الكفر والعتاه (13) ويتفق القطب مع الغزالي في عدم اشتراط مباشرة الامام للحرب بنفسه كما أنه لاحرج عليه اذا باشرها بنفسه واذا استغنى الامام بجيشه عن الخوض في الحروب جاز له المشاركة بالرأى والتدبير (14) لان المقصود الاول هوالدفاع عن الحوزة بأى وسيلة يراها الامام ناجعة ، ومن مظاهر الشجاعة والنجدة ألا يفشل الامام " ولايلين ولا يهوله الحدود وضرب الرقاب" (15) وهذا مذهب الجمهور الاّ أن البعض لم يوجبوا هذه الشروط اذ قد لا تجتمع في واحد لكن القطب يرى وجوب نصبه " اذا وجد من يصلح به دفع الفساد ولو دون ذلك بأن يكون له علم يكفي أومعه عالم يقتدى به" (16)

---

(12) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص: 440.

(13) محمد جلال شرف ، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام ، دارالنهضة العربية ، بيروت 1982 ، ص: 283 نقلا عن الغزالي أبو حامد فضائح الباطنية ، ص: 182 .

(14) م.س ، ص: 283 نقلا عن الغزالي ، فضائح الباطنية تح : عبدالرحمن بدوى ، ط القاهرة 64 .

(15) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص 440.

(16) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص: 440.

أوخبيـــر بشؤون الحرب يستشيـره، ومن شروط الامام " أن يكون عـــــدلا لئلا يأخذ بلاعدل أو يقتـــل بلاعدل" (17) ويقتضي عدل الامام أن يكون الناس كلهم سواسي في عيـني الامـام فلا يمـيز بين الرعية ولايميل الـــى عنـصر أو قبيـلة دون أخرى على نحو ما كان عليه الخلـفاء الراشــدون فالامام الذى يوثر بعض اقاربه على الناس " فهو ممن لايعدل ولا يكـــون اماما مستـقيما الآ أن يكون الناس عنده كلهم سواء في الحق، " ســـواء القريـب أوالبعيد، الشريف أو الوضيـع، الذكر أو الانثى، الصغيـــر أو الكبيـر (...) ولايتـفاضـل الناس عنده الآ بتـقوى الله (...) ان أكرمكم عند الله أتـقاكم (18) فمن لم يكن كذلك فهو ليس من أهـــل العدل ..." (19).

وهذه الشروط المتـقدمة من العلم والورع والشجاعة والعدل متوقفة على شروط أساسية تسبقها بالأولوية من حيث تعلّقها بالجانب الخلقـي ـ الجسماني ـ في الانسان وأهمها أن يكون عاقلا (20) ذا بصيرة وفطنـة وذكاء، وأن لايكون" أعمى ولا أصم ولا أخرس ،وليس بمزمن ولا مقطــوع اليدين والرجلين ..." (21) لأن أى نـقص في الامام من الناحيــة

---

(17) م . س ، ص: 440.
(18) الحجرات 13.
(19) من رسالة الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الى أهل طرابلس ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) في حوزة ش ناصر المرموري ص: 32.
(20) محمد اطفيـش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص: 440.
(21) ابو اسحاق الحضرمي ، مختـصر الخصال ، (مخ) ص: 188 ـ 189.

الجسمية يترتب عنه نقص في أداء مهامه فلا يعقل أن يتقلد المجنون أو الأعمى أو الأصم وغيرهم من المعتوهين زمام الأمور وهم لا يتمكنون حتى من تدبير أنفسهم ، هذه جملة من الشروط المتعلقة بالجانب الجسماني ويضاف اليها شروط ترتبط بها من حيث كونها غريزية في الانسان غير مكتسبة وأهمها أن لايكون الامام صبيا (22) لأن البلوغ مناط التكليف والتكليف ملاك الأمر ولا تكليف على صبي .
وأن يكون حـرّا (23) فلا تنعقد الامامة للعبد لانه لا يملك أمره فهو أشبه ما يكون بالحيوان يتصرف فيه مالكه حسب هواه ويسخره لأغراضه.
وأن يكون ذكرا (24) فلا تنعقد الامامة لامرأة مهما أوتيت من كفاءة وتأهل ، نظرا لما يعتريها من حالات نفسيّة ومرضية تقعدها عن القيام بشؤونها ولذلك لا يحق لها منصب القضاء فكيف بامامة المسلمين .

هذه شروط فطرية لدى الانسان أما الشروط الممكن اكتسابها أو التي تنمو وتزيد بالكسب فهي المتعلقة بالجانب الاخلاقي ، وهي كثيرة منها أن يكون الامام "مشاورا أهل الرأى والعدل ، عفيفا عن الطمع ، محتملا . . . رحيما حليما مصلحا بين الناس" (25) ولا يبلغ ذلك الاّ اذا كان "عزيزا في قومه ، ذا حسب ونسب" (26) ولكن لا ينبغي

---

(22) محمد اطفيش ، شرح العقيدة ، ص: 440 . مختصر الحضرمي ، ص: 189 .
(23) م . س ، ص: 440 . الحضرمي ، مختصر الخصال "(مخ) ، ص: 189 .
(24) م . س ، ص: 440 . مختصر الحضرمي ، ص: 189 .
(25) خميس بن جميل السعدى ، قاموس الشريعة ، كتاب الامامة (مخ) ص: 70 .
(26) محمد اطفيش ، شرح النيل ج: 13 ، ص: 8 .

أن يتفاضل الناس معه " الا بقدر فضلهم في العلم " (27) وهذا يقتضي أن يكون متواضعا لا الى درجة الذّل ، مترفعا لا الى درجة التكبر ، و أن لايكون " كذابا ولا مخلفا ولا حسودا ولا حقودا ، ولا بخيلا ولا عجولا ، ولا مبذّرا ، ولا عذّارا ، ولا مكّارا ... " (28) وبذلك يكسب ودّ الرعية ويحظى بالتأييد ، فاذا رضى الناس بالامام كان موضع ثقتهم فيسهل له القيادة و تدبير شؤونهم .

ويصور لنا شي أبو الحسن العماني شخصية الامام كما ينبغي أن تكون فيقول : أن يكون خير أهل عصره (29) ويكون أقوى طبائع عقله ثم يصل قوّة عقله بشدة الفحص (30) وكثرة سماعه بحسن العادة (31)

---

(28) م . س ، ص : في التواضع يقول (ص) السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمته في الأرض . . رواه أبو الشيخ عن أبي بكر ، انظر اطفيش جامع الشمل ، ص : 303 .

(29) يشير بقوله (خير أهل عصره) مشكل الافضلية الذى لا تقول به الاباضية فقد يتولى رجل الامامة وفي الجماعة من هو أفضل منه وأعلم . كما ولي أبو بكر وزيد بن ثابت أفرض منه وعلي أقضى منه ، انظر طبقات الدرجيني ج 1 ، ص : 50 .

(30) يشير الى كثرة استعمال العقل والاجتهاد .

(31) يشير الى الاستشارة والاستماع الى النصائح والانتقاد .

فاذا جمع الى عقله علما والى علمه حزما ، والى حزمه عزما ، فذلك الـــذى يعد لعز الدولة ونكاية العدو ، ويقوى على اقامة الحق ، ويكون عــدلا مرضيا ، ولايكــون يلي أمور المسلمين على ظاهر الرأى أكثرمن واحــد ..." (32) أما أ/ محمد بن الشيخ (معاصرا) فيجمع المقاييس المعتبــرة للامامة عند الاباضية فيما يلي : " الكفاءة والتأهّــل بالرسوخ في علـــم القــرآن والسنة ، مع قدم الهجرة (33) وكــبر السن ، ووفرة التجربـــة دون اعتــبار للحسب والنسب ولا للعرق والجنس" (34) وحول هذا الشرط الأخيــر المتعلق بالانتساب الى جنس معيــن نجد خلافا جزئيـــا بين فقهاء الاباضية ينحصــر في مسألة القرشية ، هــل من اللازم أن ينتسب الامام الى قــريش ؟ . الواقع أن الاباضية لايرون اشتراط القرشيــة فــي عقد الامامة ، ويتـفق معهم الخوارج في أن منصــب الامامة ليس من حــق فــرد معيــن دون غيــره ، ولا حكــرا على أسرة دون أسرة ، أوجنسا دون آخر. انما الخلافة حق مشاع بين جميــع من تتوفر فيه الكـفاءة المرجـــوة من المســلمين عامبة لا العرب فحسب كما كان الحال قبل اتساع رقعـــة الاسلام ، ولذلك كان الخوارج في صدر الاسلام يعارضون حصر الخلافـة

---

(32) أبوالحسن العماني ، سير أهل عمان ، (مخ) في حوزة شو ناصـــر المرموري ، ج 2 ، ص: 96 .

(33) اشارالقطب هوالآخر الى شرط الهجرة . انظر شرح النيل : ج 13 ص: 8

(34) محمد الشيخ بالحاج ، الاجتهاد في المذهب الاباضي ، ص: 25 . ركـــزّ الاستاذ ابن الشيخ على الكفاءة والتأهل ويضيف جديـــدا لأن الرســوخ في علم القرآن والسّنــة ، ووفرة التجربة من تمام الكــفاءة والتأهــل أما كبــر السّــن فشــرط ثانــوى ، لأن الكــفاءة والتأهــل يغنــي عــن السّـــن .

في سلالة معينة ويعتبرونها حقا لكل عربي " (35) ولما انتشر الاسلام ودخلت فيه جماعات من غير العرب عداوا عن قولهم فنادوا بأن الامامة " حق لكل مسلم تتوفّر فيه شروطها " (36) أما حديث الرسول (ص) الائمة من قريش فيحمله الاباضية من باب الترجيح باعتبار ما كانت عليه قريش في عهد النبي (ص) من مكانة وسيادة بين قبائل العرب، أمّا وقد تغيرت الامور ولم تحافظ قريش اليوم -ان وجدت- على ذلك الدور الريادي، فان مقاييس الاختيار تتغير تبعا لذلك، وبالتالي يبطل مبدأ الأفضلية .

فانطلاقا من هذا الاعتبار " لم يشترط الاباضية القرشية لصحة الخلافة وانما تكون مرجحا -ان وجدت- وتساوت الكفآت الاخرى " (37) بينما تعتبره الشيعة والاشاعرة وفرق السنة شرطا لابد منه، ولذلك يعده الغزالي (أبو حامد) من الشروط العشرة الواجبة للامامة، لأنه" مأخوذة من التوقيف ومن اجماع أهل الاعصار الخالية على أن الامامة ليست

---

(35) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي ... ط 3 مكتبة النهضة القاهرة ج 2، ص: 3 .

(36) م . س، ص 3، ج 2 .

(37) علي يحي معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص: 464 .
أما الشيخ التعاريتي (ق 19 م) من اباضية تونس يرى أن القرشية شرط لازم لصحة الامامة الافي حالة عدم وجود القرشي فانه يجوز لغيره أن يأخذ الامامة دفعا للفتنة التي تحصل لفقده .
انظر: سعيد التعاريتي، المسلك المحمود في معرفة الردود ط حجرية تونس 1321 هـ، ص: 49 .

الاّ في هذا النسب " (38) والواقع أنه ليس الاباضية أو الخوارج هم أول من قال بعدم حصر الخلافة في قريش" وانما سبقهم اليه كبار الصحابة عندما ناقضوا أول خليفة في الاسلام فقد قال بعض الانصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، ولو لم يكن الانصار يعرفون أنه يجوز أن يتولى الامارة غير قرشي لما قالوا ذلك "(39) .

وفي العصر الحديث نجد المفكر أبو الاعلى المودودى يرفض فكرة حصر الخلافة في أسرة أو طبقة والاّ ما كانت الخلافة الاسلامية ديموقراطية.(40)

أما مسألة الافضلية وهي أن يتولى رجل منصب الامامة مع وجود من هو

---

(38) محمد جلال شرف، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام ص : 282 .

(39) علي يحي معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص: 464 .

(40) يقول المودودى في هذا المعنى :" لايذهبن بكم سوء الفهم من كلمة النيابة الى أنها عبارة عن ظل الله أوحقوق الملوك الالهية ( ) فقد قضى القرآن أنه ليست هذه المنزلة ــ منزلة الخلافة من حق فرد من الأفراد أوأسرة من الاسر أوطبقة من الطبقات وانما هي حق لكل من يسلمون بحاكمية الله ويؤمنون بعلو القانون الالهي ... وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض(النور 55) وهذا مايجعل الخلافة الاسلامية ديموقراطية " انظر، المودودى أبو الأعلى نظرية الاسلام وهديه ، دار الفكر، د تا ص: 259 .

وفي موضع آخر يستوحي المودودى من مفهوم الخلافة في الآية السابقة : ان الله وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ولم يقل انه يستخلف أحد منهم فالخلافة عمومية لا يستبد بها فرد أو أسرة بل كل مؤمن خليفة عن الله، وانما حصرها في جملة الذين آمنوا وعملوا الصّالحات، انظر : المودودى ، نظرية الاسلام السياسية ص: 46 .

أعلم منه . فان الاباضية يجيزون ذلك خلافا للامامية من الشيعة ، أما الأشاعرة فيقولون برأى الاباضية في ذلك (41) .

ومما جاء في رسالة من علماء الاباضية في المشرق الى أهل المغرب في عهد الامام عبد الرحمن قولهم : " وأما ماذكرتم من تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم منه فذلك جائز اذا كان ـ الامام المرشح ـ مستكملا لشروط الامامة وكان من أهل الفضل والدين والعدل والسياسة والمنزلة المرضية فقد ولي أبوبكر الصديق (رض) وزيد بن ثابت أفرض منه وعلي أقضى منه ومعاذ بالحلال والحرام أعرف منه وأبي بكتاب الله أقرأ منه (...) ومع هذا فلم يكن احد منهم أولى منه بالامامة " (42) لأن ثبوت الامامة ـ كما يرى القطب ـ " لا يفيد القطع بالأفضلية " (43) ويبدو أن الامامية منعوا امامة المفضول مع وجود الفاضل لأنهم يرون ذلك قبيح عقلا (44) بينما الاباضية لا يرون في ذلك مذمّة مادام الهدف هو تحقيق المصلحة العامة وهذا ما عليه الجمهور ، ومع ذلك ذهب قوم الى " نصب الأفضل وان أثار فتنة لم تجب كما اذا كانت الرعايا لا ينقادون للفاضل ، بل للمفضول والآ وجبت اقامة الأفضل " (45)

---

(41) سعيد التعاريتي ، المسلك المحمود في معرفة الردود ، طبع حجرى ، ص: 51 .

(42) الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج1 ص: 50 ، وفي رواية أبي زكرياء في كتابه سير الأئمة وأخبارهم بلفظ : فذلك جائز اذا كان في القناعة والفضل بمنزلة حسنة . تاريخ ابي زكرياء ، تح اسماعيل العربي ، ص: 91 .

(43) محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص: 427 .

(44) م .س ، ص: 427 .

(45) م .س ، ص: 427 .

ويحسم القطب الموقف بالنظر الى مايصلح أمر المسلمين بمن يصلح للامامة فان كان المفضول اقوم بها وأعرف بشأنها وأصلح لها من الفاضل ولي أمرها وان تساويا في ذلك فالارجح تولية الافضل " فالمهم أن تتوفر في الامام المزايا العامة المطلوبة للامامة " (46) أما ش أبو الحسن العماني فلعله مبالغ " في اشتراطه أن يكون الامام " خير أهل عصره" (47) كما أخطأ أ/ د نجيل (Dangel GERRARD) (معاصر) حين يعتبر الافضلية شرطا لتولي الامامة عند الاباضية (48) والواقع أنه يتعذر الحصول على رجل يكون خير أهل عصره وأفضلهم علما وورعا وشجاعة وحلما وأقدرهم على تحمل المسؤولية وادارة شؤون الدولة، يصعب العثور عليه مادامت الافضلية نسبية، فقد يفضل الرجل أخاه في العلم ولا يبلغ درجة ورعه وزهده. وقد يكون الفارس أشجع القوم وأجهلهم في ذات الوقت. أمّا أن يجمع الرجل جميع المحاسن فهذا نادر.

وجملة القول في شروط الامامة أن المقياس العام لها عند الاباضية - في نظر أ/ بيار كبيرلي (معاصر Pierre Cuperly) "هو مقياس اخلاقي مرتبط بالتعاليم الدينية مع التركيز على العلم" (49) والكفاءة المؤهلة لمنصب الامامة.

---

(46) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadisme... P:296

(47) أبو الحسن العماني، سير أهل عمان، (مخ) ج 2، ص: 96 .

(48) Dangel Gerrard , L'Imamat Ibadite de Tahert(716-409) Strasbourg , 1977 , P : 107

(49) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'badisme... P : 295 .

أما الموانع التي تحول دون ترشيح الرجل للامامة فهي عدم توفر الشروط السابق ذكرها بالاضافة الى ارتكاب الكبيرة لأن مرتكبها ليس بمؤمن ولا حظ في الكافر لمنصب الامامة، ولكن ما السبيل اذا جهل المسلمون باطن الرجل وقد تقدم للامامة وهو مرتكب لكبيرة دون علم الناس به؟ هنا يحمّل القطب الشخص المرشح للامامة مسؤولية ذلك ويقول:

" حرام على الانسان أن يتولى الامامة أو الامارة أو نحو ذلك مع علمه بخيانة نفسه أو عزمه عليها ، أو سؤال ذلك ..." (50) أما أن يولّي الانسان فاسقا مع علمه بفسقه أمرا من أمور المسلمين فحرام بلا ريب بالاجماع .

ثانيا: تنصيب الامام

يعتبر حفل التنصيب ، وتسليم مهام السلطة للامام الجديد والاعلان بذلك - رسميّا - هي المرحلة الثانية من تطبيق مبدأ الديموقراطية بعد اجتياز المرحلة الاولى المهمّة وهي اختيار الامام ، كما تعتبر مراسيم تنصيب الامام تجسيدا عمليا للافكار النظرية في الميدان السياسي .
وأهم ما يشترط في هذه المناسبة أن تجرى مراسيم حفل التنصيب في جوّ سليم صاف خال من أى خلاف . تسوده الثقة المتبادلة بين أهل المشورة ، والصراحة في القول ، ورحابة الصدر لقبول الحق والموضوعية في التفكير ، والحرية في ابداء الرأى ، والاعتماد على مبدأ المصلحة العامة قبل المصالح الخاصة . وتتم عملية التنصيب على النحو التالي :

---

(50) محمد اطفيش ، ازالة الاعتراض عن محقي آل اباض، ص : 34 .

أ) الترشيح : يجتمع مجلس الشورى لاختيار من يقدمونه لمنصب الامامة ، والمجلس لاينعقد لهذا الغرض الاّ في الحالات الآتية :

1ـ لاختيار امام جديد ليخلف اماما سابقا له وفي هذه الحالة لايجوز للمجلس أن يختار اماما الاّ اذا تحققت وفاة الامام الذى سيخلف أو بعد التحقيق من شغور المنصب بأن يعزل الامام القائم بموجب (51) كما انعزل أبو بكر بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي من الولاية وانسلخ منها لفساد سيرته في الحكم فبايع المسلمون أخاه محمد أبواليقظان (241 هـ 281 هـ) للامامة . (52)

---

(51) راجع موجبات عزل الامام أوالخروج عنه في موضع لاحق من هذا الفصل .

(52) لم توضح المصادر الاباضية ما اذا كانت تولية أبي اليقظان وقعت في حياة أخيه أبي بكر أم بعد وفاته . فابن الصغير يقول : " صارت الدعوة والامامة كلها لأبي اليقظان " ويصف أخاه أبي بكر في ذات الوقت أنه خرج (لاحيا ولاميتا) انظر تاريخ الأئمة الرستميين لابن الصغير ، تح د/ محمد ناصر وأ/ ابراهيم بحاز ص: 74 ، بينما لم يذكر أبوزكريا شيئا عن أبي بكر حين ذكر ولاية أبي اليقظان، أما الدرجيني فتوحي روايته الى أن الامام محمد بن افلح ولي وأخوه حيا لكنه تجرّد من مهام الامامة . انظر الدرجيني في طبقاته ج 1 ص : 83 . ولعل الرواية القريبة من الاحتمال أن أبا بكر ترك مهام الامامة لأخيه محمد بعد رجوعه من المشرق فاجتهد في ادارة شؤون الدولة بصفته وزيرا ومساعدا لأخيه الذى اشتغل بالترف وأهمل رعاية الأمة ، أما امامة محمد فلم تعقد له الاّ بعد وفاة أبي بكر . وهذا ما ذهب اليه أ/ محمد علي دبوزفي كتابه تاريخ المغرب الكبير ط 1 ، القاهرة 1963م ج3 ص : 568 ـ 585 .

2 ـ لاختيار أوّل لدولة اباضية تؤسس من جديد ومثال ذلك تولية ابي حمزة المختار بن عوف (53) للامامة الاباضية في جنوب الجزيرة العربية ، وتولية أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح (54) للامامة في طرابلس، وتولية عبد الرحمن بن رستم (55) للامامة في تاهرت .

وفي الغالب تتم عملية الاختيار بترشيح جماعة من الاكفاء "من اثنين الى ستّة" من طرف أعضاء مجلس الشورى - ان وجد - على أن يكون محايدا ، كما حدث لتولية الأئمة الرستميين . أو من طرف مجلس الاعيان (الزعماء الروحيون للمذهب) مثل مشائخ البصرة .

وبعد تحديد القائمة المرشحة تجرى المفاوضات بين أعضاء المجلس بكل نزاهة حتى يستقر رأيهم فيمن هو أحق بالامامة عن تراض وفق الشروط اللازمة . وقد لايحصل الاجماع التام على واحد وثمة يؤخذ برأى الأغلبية . وهنالك صورة أخرى لتعيين الامام وذلك أن يجتمع المرشحون للامامة من طرف الامام السابق ، فيتفقون بينهم على من يولونه أمر الامامة ، أما مجلس الشورى فينحصر دوره في هذه الحالة على الاشراف والمراقبة والتزكية .

اذن فطريقة تعيين الامام بالشورى تختلف باختلاف الظروف السياسية والامنية لكل عصر وأمّة ، كما تختلف باختلاف طبيعة الحكم القائم .

---

(53) هو أبو حمزة الشارى ، من قبيلة الازد في عمان قاد ثورة اباضية ضد الامويين في الحجاز ، انظر ترجمته ، في طبقات الدرجيني ، ج 2 ص: 258 ـ 272 .

(54) انظر ترجمته في طبقات الدرجيني ج 1 ، ص: 19 ، 23 ، 29 ، وتاريخ ابي زكريا ص: 37

(55) انظر ترجمته في تاريخ الدبوز ج 3 ص: 295 ـ 315 . بحاز ابراهيم الدولة الرستمية ص: 92 .

فالخلفاء الراشدون الاربع كانت طريقة كل واحد منهم في التنصيب تختلف عن الآخر . (56)

والمشهور عند الاباضية أن أهل الشورى الذين يتولون تعيين الامام ومبايعته خمسة " وانما جعلت لستة و تعقد لواحد ، ويبقى الخمسة ، وهم كالحجة على غيرهم ، وقيل ان أقل مايعقد له اثنان ، لان الامامة لا تصحّ الاّ عن مشورة وتراض من الخاصّة وهم الحجة . فاذا وقع التراضي به من الخاصة فهو امام " (57) ويستدل القطب على ذلك بحالة عمر بن الخطاب الذى تولى الخلافة " باختيار أبي بكر ايّاه اماما للناس - بعد استشارة الصحابة وابداء رضاهم - فكان الرضى به دون العقد أوجب لصحة ذلك " (58) وهذا شبيه بما حدث في تولية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح للامامة فقد اختاره شيخه أبوعبيدة لهذا المنصب - وان لم يصرح بذلك له - وبالفعل حدث فقدمه زملاؤه .

ب) <u>البيعة</u>: بعد أن يستقر الرأى الاخير على الامام الجديد ، تتم بيعته من طرف الخاصة ، ثم بقية المسلمين برضاهم له وقبولهم لخلافته.

والبيعة هي - اصطلاحا - تأييد المرشح للخلافة والموافقة عليه (59) ولاتتم البيعة الاّ بالعقد ، وهو أهم ما فيها . وللعقد صيغ مختلفة منها ما ذكره القاضي أبو يعلى بقوله : " بايعناك بيعة رضى على اقامة العدل والانصاف والقيام بفروض الامامة " (60) أما الصيغة المشهورة لدى الاباضية

---

(56) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص: 103 .

(57) محمد اطفيش ،شرح النيل ج 14 ص: 213.

(58) م .س ، ج 14 ، ص: 213.

(59) ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة .... ص: 259 .

(60) محمد المبارك، نظام الاسلام : الحكومة والدولة، ط3 ، الفكر بيروت 80 ص: 76.

فيذكرها ش محمد اطفيش بقوله : " إذاباقام ممثل أهل الشورى لاعلان بيعة الامام يقول : " قد بايعت فلان بن فلان على طاعة الله وطاعة رسوله، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ..." (61) وعند انتهاء الممثل من ذكر الشروط التي ولي المرشح الامامة على أساسها ، يقوم الامام ليرد على المبايعة بقوله: " قدبايعتني اما على موضع كذا (62) ومن رضي بذلك على طاعة الله وطاعة رسوله (...) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...." (63) وبعد ذلك يشرع الحاضرون في أداء الصفقة .

أهمية العقد :

ليس العقد واجبا ولكنه ضروري لاتمام البيعة ، " فاذا كانت الامامة فريضة فالعقد فيها وسيلة والغرض اذا ثبت بالاجماع لم يسقط بعدم الوسيلة ولا بتركها ، وقيل ان الرضى والتسليم يقومان مقام العقد " (64) والواقع أن للصفقة بعدا الزاميا ، يزيد للبيعة تأكيدا وترسيخا وهو بمثابة الرمز الشرعي لثبوت الامامة لدى المرشح لها . فاذا ثبت هذا العقد تمتع الامام بالولاية ووجبت طاعته والانقياد له مادام ملتزما بشروط العقد مجتهدا في

---

(61) محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل جـ 14 ص: 314 ، يستمر ممثل أهل الشورى في عرض الشروط الشرعية التي يجب على الامام أن يسير وفقها " .
(62) يذكر الموضع والبلد الذى قاموا بتنصيبه فيه وكذا تاريخ ذلك اليوم .
(63) م . س ، جـ 14 ، ص: 314 .
(64) الصائغي كنز الاديب وسلافة اللبيب ، (مخ) ورقة 99 أ ، أورد هذا النص أ/ فاروق عمر ، انظر: التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ط 2 ، دار اقرأ 1985م .

القيام بواجباته ، أما اذا أخلّ بشيء من ذلك كان في حلّ من العقد ويدخل في حكم البـراءة . وعند ئذ ينظر أهل الشورى في أمره . فالعقد اذن يحمي الرعية مثلما تحمي الامام والى جانب العقد يبقى الدّعم الحقيقـي لولاية الامام وضمان الشرعية لسلطته التي يحكم بها هو رضى أهل الحـل والعقد وقبولهم لولايته نظرا لـقناعتهم بكفاءة الامام وأهليته للحكـم وقابليته له .

ومن أهم خصائص العقد ومزاياه يحددها أ/ كبيرلي (P.Cuperly) فيما يلـي : (65)

- تنشأ علاقة ود وولاية بين الامام والشعب الاباضي .
- يوجب العقد فسخ البيعة في حالة خيانة الامام أوجوره فيتبرأ منـه .
- يتمتع الامام - بموجب العقد - بسلطة مطلقة في حدود الشريعة .
- على كل مسلم مساندة الامام ومساعدته - ما أمكن عملا بنص العقد - .

جـ) الصـفـقـــة :

بعد تلاوة العقد وقبول الامام كل الشروط ، يمد يده لصفقة المبايعـة . وهي " رمز للوفاق المتبادل " (66) بين الطرفين اللذين يربط بينهمـا عند البيعـة .وهما الامام وجماعته .

وتـتم الصفقة بحـضور العلماء الثـقات" فيتقدم أفضلهم فيمد يـده اليمنى ليمسكها الامام بيمناه فيقول العالم - المبايـع - : " قد بايعنـاك لله ورسولـه ..." فيجيبـه الامـام : " (نعم) ثم يـفعل ذلك الثاني

---

(65) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadisme... P : 293

(66) م . س ، ص: 291 .

والثالث وما أكثر فهو أفضل " (67) ومن تمام مراسيم حفل التنصيب -
حسبما يذكر ش اطفيش أن " تجعل الكمة (68) في رأس الامام والخاتم
في يده وينصب العلم بحذائه ...." (69) وفي الأخير يقوم الخطيب
لقراءة الخطبة على جمهور المسلمين " (70) يعلن فيها نتائج الانتخاب
وماأسفر عنه من تولية الامام وموافقة مجلس الشورى وأعيان البلد
وعلمائها ورضاهم عن الامام الجديد ومبايعتهم له، ويستحسن أن تلقى
هذه الخطبة بالمسجد بعد صلاة الجمعة حتى يعم الخبر بين المسلمين
وينتشر بسرعة .

د) حالات استثنائية عند البيعة

قد يحدث أن يرفض المرشح للامامة بيعة المسلمين له وذلك لاسباب
كثيرة . كأن يعظم أمر الامامة في عينيه ادراكا منه خطورة هذا المنصب
وتورعا منه مخافة الوقوع فيما لايرضي ربه خاصة وقد ورد في القرآن
والسّنة نصوص تنذر بالعذاب في الآخرة لمن لم يحكم بما أنزل الله، وفي
تاريخ الاباضية أمثلة عديدة لرجال ثقات عدول عرضت عليهم الامامة
والرئاسة فدفعوها . ومنهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح (ت 144هـ)
لم يقبل الولاية على طرابلس الاّ بعد الحاح شديد من جماعة المسايسين .
وبعد تفكير طويل أدرك أنه من حق الأمّة عليه قبول الولاية

(67) محمد اطفيش، شرح النيل ج 14، ص: 317 .
(68) الكمة : عمامة خاصة في شكل قلنسوة يرتديها الامام عند توليته الحكم .
(69) م .س، ج 14، ص: 317 .
(70) محمد اطفيش، شرح النيل ج 14، ص: 317 .

لكفاءته وتأهله لها دون غيره ، وحدث مثل ذلك لمسعود الأندلسي سنة 171 هـ فاختفى عن الاعين ـ بعيدا عن البلدة ـ حتى لا تعرض عليه الامامة خلفا للامام عبد الرحمن بن رستم ، كما يحدث ذلك للكثير ممن يرى أن المناصب السامية سيما رئاسة الدولة تكليفا للانسان بمسؤوليات ثقال قد لايقوى على تحملها . وليست تشريفا له ورفعا من شأنه ، وليست مصدر الحظوظ والغنائم ، والكسب بل فيها التكاليف كثيرة ، والواجبات صعبة ، ومن وراء ذلك الحساب عسير عند الله .

وفي هذه الحالة يحسم الموقف بقرار قد يبدو قاسيا ومبالغا فيه ، يلخصه أبو يعقوب الوارجلاني (ق 6 هـ) في قوله : " اذا اتفق المسلمون وأهل الحل والعقد على تولية رجل امرة المؤمنين (...) ولم يكن في المؤمنين من هو أولى منه (71) فانه يقتل ان هو أبى قبول البيعة ، فان كانوا عددا امتنعوا فرأى المسلمون أن يقتلوهم كلهم قتلوهم الا أن يكون فيهم من فاقهم في الأمور التي تصلح للولاية ، فيتوجه اليه القتل وحده" (72) .

ومما يحتمل وقوعه بعد اتمام البيعة ، أن يظهر من هو أولى من الامام المنتخب وفي هذه الحالة " لايجوز أن ينخلع أمير المؤمنين من الولاية

---

(71) يحدد الشيخ اطفيش الاولوية بأن يكون أحدهما أعلم من الآخر، وان تساووا فالاسن ، وقد يقدم الاليق مع وجود الأعلم ، فتندفع الفتنة بهذا التفصيل ، ومن أبى فاتن وفتنته باغية ، ولا تخلو الدنيا من انكار الحق والزجر عند ذلك واجب .

(72) ابو يعقوب الوارجلاني، العدل والانصاف ،(خ) خزانة ش/ بالحاج رقم: 22 ، انظر كذلك محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل ، ج4 ص: 280 .

كما لا يسوغ للمسلمين أن يخلعوه ويولوا غيره " (73) فعلى الامام الاّ يستغني عمن هو أفضل منه في المشورة وطلب العون .

وهو ماذهب اليه ش تبغورين (ق 5/ 11م) حيث يقول :" والامام ان أبى أن يقبل الامامة اذا رفعها اليه المسلمون قتلوه ونظروا في غيره "(74) ويستدل على ذلك بما فعله عمربن الخطاب اذ أمر أصحاب الشورى ممن بعده بقتل من رفض الخلافة كما أمر بذلك مسلم بن أبي كريمة " (75) حين همّ بتوديع حملة العلم القافلين الى المغرب .

ويضيف ش أبو يعقوب الوارجلاني حالة أخرى قد تطرأ على الامام فيقول : " اما اذا أسر أمير المؤمنين في حرب المسلمين وأكره على الكفر (...) أنكره لهم ولا بأس عليه ، وان أكرهوه على أن ينخلع فأخلع فلا بأس وهو على ولايته " (76) فالوارجلاني يجيز التقية للامام درءًا لما هو أخطر ، أما ابقاءه على الولاية فأمر لم يوضحه الوارجلاني جيّدا ، فالمفهوم المتبادر من كلامه أن الامام اذا أكره على التخلي عن منصبه جاز له التخلي من باب التقية ويترتب على ذلك نصب امام جديد خلفا له ، ويكون بذلك معذورا لا يتبرأ منه فهو في الولاية ، ولكن قد يفهم من كلام الوارجلاني حالة ثانية وهي أن الامام بعد اكراهه يتخلى عن الامامة بالقول فقط ـ وهذه تقية بالقول ـ ولكنه في نظر جماعته

---

(73) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني ، العدل والانصاف ، (مخ) خزانة ش/ بالحاج .

(74) تبغورين بن عيشي الملوشائي ، عقيدة تبغورين (مخ) ورقة 20 أ .

(75) م .س ، ورقة 20 أ .

(76) أبو يعقوب الوارجلاني ، العدل والانصاف ، (مخ) غير مرقم .

لايزال اماما عليهم – عمليّا – وهذا مايشيراليه بقوله" فهو في الولاية" بمعنى ولاية أمر المسلمين (الامامة) . ولعل المفهوم الثاني أقرب للاحتمال .

ومن الحالات الاستثنائية عند البيعة أن يشذ واحد أوجماعة من أهل الشورى باشتراط شيء يخدم مصلحة خاصة ،أو باشتراط مالا يرضى عنه الشرع . وفي هذه الحالة لاينظر الى هذا الاشتراط لأنه باطل والبيعة صحيحة ، وقد حدث مثل هلذا أثناء تولية الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي ، حين اشترط ابن فندين (77) على ألا يقضي الامام أمرا دون جماعة معلومة ،يقصد بذلك أن يصبح هو وجماعته مستشارين للامام لايقدم على فعل شيء الاّ اذا أذنت له هذه الجماعة ،لكن مجلس الشورى لم يقبل هذه البدعة ، فكتب العلماء يستفتون المشارقة في هذه المسألة فكان ردهم كما يلي : " أمّا ماذكرتموه من أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا في الامامة شرطا ، أن لايقطع الامام

---

(77) هو يزيد بن فندين أبو قدامى النكارى ، كان من علماء تيهرت ومن الشخصيات البارزة في قبيلة زناتة ، ضمه الامام عبد الرحمن بن رستم الى لجنة الشورى لمكانته العلمية ومنزلته العليا بين قومه ،وجمعا لكلمة الأمّة وسدّا لباب الخلاف ،وطمع يزيد في ولاية ، ناحية من الدولة فلما لم يولّه عبد الوهاب غضب وثار فجند أتباعه للاطاحة لنظام عبد الوهاب بغلم يفلح ،فسمي أتباعه بالنكار لانكارهم امامة عبد الوهاب انظر فتنة يزيد في سير أبي زكريا ،ص: 58–65 ، طبقات الدرجيني ج 1 ص ص 47–56 ، تاريخ ابن الصغير ،ص: 37 سير الشماخي ص ص 146– 154 ، محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 3 ص: 474 و 478 .

أمرا دون جماعة معلومة ،الامامة صحيحة والشرط باطل ..." (78) وهذا معقول اذ لوجاز الاشتراط على الامام لأصبح الأمر فوضى ،لأن مطالب الناس لاحدود لها والأغراض الخاصة لا فائدة ترجى منها ،ثم أن الامام تتقلص حريته ولا يملك القدرة على فرض أحكامه وانفاذها مادامت عوائق الاشتراط تقف دون ذلك .

ثالثا : موجبات عزل الامام

حيث أن الامام في نظر الاباضية شخص كسائر المسلمين لا يختلف عنهم في شيء سوى أنه مكلف بمهام رئاسة الدولة ،وهذا منصب لم يعهد اليه الا على شروط عاهد على السير وفقها يوم تعيينه ،فان ظهر أنه حاد عنها ولم يطبق الاحكام الشرعية " وغيّر السنة وحكم بالهوى وعطّل الحدود واعتدى فيها وأحال مال الله وجعله دولا بين الأغنياء وأخذ بالذنب من لا ذنب له ورغب عن سبيل أئمة الهدى وفسق عن أمر ربه فان اطاعته معصية لربه ، ومعصيته هدى ذلك بأن الله يقول: " وجعلنا منهم أئمة يدعون الى النار" (79) فمن ضيع أمر الله بنقض ميثاقه استوجب بنقضه لعنة الله" (80) ومن لحقته لعنة الله لا يستحق الامامة

---

(78) الدرجيني طبقات المشائخ ج1 ص: 49، وفي رواية أبي زكريا بلفظ: (... فالامامة صحيحة والشرط باطل فلو صح في الامامة شرط لماقام لله حق ولا أقيم حدّ ، ولتعطلت الحدود وبطلت الاحكام ولضاع الحق) ص: 91 .

(79) القصص 41 .

(80) الامام عبدالوهاب بن عبد الرحمن بن رستم في رسالة له الى أهل طرابلس ذكرها لواب بن سلام في شرائع الدين (مخ) نسخة ش ناصر المرموري ، ص: 29 .

وان وليها يعزل عنها ، وهو في براءة الله ورسوله والمسلمين ، يقول الشيخ اطفيش مبيّنا رأي الاباضية في علاقة المسلم بالامام الجائر : " من علم بجور امام تبرّأ منه وممن تبعه الى جوره" (81) لكنه يستثني من هم تحت لوائه اذا أكرهوا (لجواز القعود تحت الجائر (82) المخالف والموافق مطلقا) (83) اذن فعقد الامامة عند الاباضية قابل للفسخ واذا فسخ بطلت ولا تبطل الامامة الاّ بحدث في الامام " بعد الاعذار والانذار وتمادي المحدث على الاصرار والاستكبار فحينئذ يجب القيام عليه ، وابطال ما صار من أمر المسلمين اليه" (84) ويستدل الاباضية على جواز عزل الامام بنصوص عديدة منها قوله (ص) سيكون بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون ويفعلون بما يؤمرون ثم يكون من بعدهم خلفاء لايعملون بما يعلمون ولايفعلون بما يؤمرون فمن أنكر عليهم نجا ومن اعتزلهم سلم ومن كان معهم

---

(81) محمد اطفيش ، الذهب الخالص ،ص: 46 .

(82) جواز القعود تحت الجائر من باب جواز التقية ، وهذا رأي الاباضية جميعا . يقول ش أبو يعقوب الوارجلاني في توضيح التقية : " يجوز أن تستسلم لجميع أحكامهم عليك مالم تكن بدعة " أما مايتعلق بالأموال فيقول: "ان جميع مايلزمك من حقوق الله عزّ وجل ان طلبها منك الملوك فواسع لك أن تدفع اليهم كل ماكان ظاهرا كالحب والتمر والانعام أما ما كان باطنا كالذهب فلا " (الدليل والبرهان ج3 ص: 66) .

(83) ش اطفيش ، الذهب الخالص ،ص: 46 .

(84) من جواب المشارقة الى اباضية المغرب في عهد الامام عبدالوهاب ، الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج1 ص: 50 . انظر كذلك ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم لابي زكريا (تح) اسماعيل العربي دار الغرب الاسلامي ط 2 ، 1982 ص: 92 .

فهو منهم " (85) ومن الاحاديث التي يستدل بها ش اطفيش حديث رواه أبو امامة عن النبيء (ص) أنه قال : " اذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم " (86) وفي حديث آخر عن عميرة قال رسول الله (ص) "أن الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعذاب منه " (87) وقد يرى الاباضية جواز عزل الامام من باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعملا بقوله (ص) " من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان " (88) .

وبعد أن عرفنا موقف الاباضية القاضي بجواز عزل الامام نلخص فيما يلي أهم الاسباب التي توجب عزل الامام .

أ ـ الرّدة ، وهي انكار ركن من أركان الاسلام ، أو أن يرتكب الامام مايوجب اقامة الحدّ عليه ، كترك الصلاة ، أو شرب الخمر أو الزنا ... أو اختلاس أموال الناس بالباطل (89) ويحسن في هذه الحالة أن يسبق عزل الامام تحذيره ونصحه وارشاده ، فان تاب واستقام فهو في ولايته وان أبى وتمادى وجب عزله وتغييره .

---

(85) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم رسالته الى أهل طرابلس، ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) ص: 29 ، لم يذكر الامام سند الحديث .

(86) رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي في شعبه . محمد اطفيش جامع الشمل في حديث خير الرسل ، ص: 235.

(87) رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه، محمد اطفيش ، جامع الشمل في حديث خير الرسل ، ص: 235 .

(88) عزالدين بليق، منهاج الصالحين ، ص: 410 ، الحديث رواه مسلم عن أبي سعيد الخذرى .

(89) محمد الشيخ بالحاج استاذ بمعهد الحياة ـ القرارة ولاية غرداية في مقابلة شخصية .

ب ـ موجبات خلقية حادثة ، لا يملك الامام ردّها ، ومنها زوال العقل، أو الاصابة بالصم والبكم ، أو المرض اذا كان مزمنا بحيث يمنعه على أداء واجباته ، وفي هذه الحالة قولان : الاول لا تعقد الامامة لغيره حتى يموت ، تسقط امامته لعدم قدرته على العمل وفقده للكفاءة التي من أجلها عقدت له البيعة " (90) ولعل القول الوسط أن يرجع الامر الى الامام نفسه فيستشار في امكانية نصب غيره أو عدمه ، فان رأى الامام بقاءه في السلطة بحيث لا يترتب عن ذلك اضطراب في شؤون الحكم وكان له وزيرا مؤهلا يقوم مقامه ويساعده الاعوان ومجلس الشورى فذلك جائز ، أمّا ان رضي الامام بالتّخلي عن منصبه لغيره عن طواعية فذلك أحسن .

هذا اذا كانت الدولة تحت حكم الاباضية ، أمّا اذا كان الأمر من غير الاباضية واحدث مايوجب عزله ، استدرجه الاباضية باللطف واجتهدوا في ارشاده ونصحه بالتي هي أحسن ، فان أبى حاولوا عزله ، وان رأوا عزله يؤدى الى فتنة تحمّلوا أخفّ الضررين وهو ابقاءه في الحكم وطاعته مالم يأمر بمعصية الخالق . (91) ويوافق هذا الرأى ماذهب اليه الاشاعرة وأهل السّنة . يقول ش محمد أبوزهرة (معاصر) : " ان المختار للخلافة النبوية اذا فسق خرجت خلافته عن معنى الخلافة النبوية وصارت خلافته ملكا عضوضا ويستوى مع من لم يختر فلا يطاع في معصيته قط ، لقوله (ص) : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أوكره فان أمر بمعصية

---

(90) ش محمد اطفيش ترتيب موسى بن عامر ، (مخ) خزانة ش بالحاج القرارة ، غيرمرقم .

(91) ش سعيد التعاريتي ، المسلك المحمود في معرفة الردود . . .ص: 50 .

فلا سمع ولا طاعة" (92) .

هل يعزل الامام نفسه ؟

ومن المحتمل في مسألة عزل الامام ،أن يتقدم هذا الأخير بطلب الاستقالة من منصبه بارادة منه، لسبب أولآخر فما هورأى الاباضية في ذلك ؟ الحقيقة أنني لم أقف على قول لأحد علماء الاباضية في هذا الموضوع ولا أظن القطب تعرض لهذه الحالة، ولكن يبدو أنه يجوزلامام ـ اذا رأى عدم قدرته على تولي الامامة كما يجب ـ أن يعرض موضوع استقالته على مجلس الشورى للبتّ فيها ،وللمجلس أن يرفض استقالة الامام ان لم تكن أعذاره كافية لذلك . وتذكر المصادر الاباضية أن الامام أبا حاتم الملزوزى (93) غضب مرّة على أتباعه لما أحدثوا من سلب لقتلاهم قال: " والآن اما رددتم الاسلاب واما اعتزلت أموركم وتركت الولاية ..." (94) فأقل ما يقال في عزل الامام لنفسه أنه من المسكوت عنه لدى الاباضية . فمتى كان لابدّ منه جاز والاّ عدمه أحسن .

رابعا: هل يجوز الخروج عن السلطان الجائر؟

من السلطان الجائر ـ أولا ـ في نظر الاباضية ؟ يصف ش علي يحي معمر رجال السياسة في الدولة الجائرة بأنهم " لايرضيهم العدل في دولتهم ولا حتى

(92) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية ،جـ 1 ص: 106 .

(93) عين اماما للدفاع سنة 145هـ واستطاع أن يتزعم ويجمع حوله كل قوى من الخوارج حتى سنة 155هـ السنة التي قتل فيها أبو حاتم بمكان يدعى (جنبي) وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم، انظر: تاريخ ابن الصغير عن أئمة تاهرت الرستميين ،مقال لـ موتيلانسكي ، تر: د/ محمد ناصر ،تاريخ ابن الصغير ص 19.

(94) الدرجيني ،طبقات المشائخ بالمغرب ، جـ1 ص: 38 .

أن يقوم بدولة بجانبهم لأن الحكم العادل كفيل بأن يكشف للناس مساوئ حكمهم وأن يطلق ألسنتهم بالنقد وربما بالنقمة ثم بالثورة" (95) ولذلك يسلكون طريق الظلم والقهر ولا يهمهم سوى الزعامة والهيمنة على كل حركة مناوئة لهم باستخدام "كل أنواع الحرب من كيد ودعاية كاذبة وتشويه للحقائق .... وتعذيب وضرب بالسيف ان اقتضى الأمر" (96) وفي الغالب يكون الحاكم الجائر قد وصل الى السلطة بالقوّة والغلبة، يسميه ش اطفيش: " السلطان المتسلّط لأنه يأخذ بلا حق ويعطي بلا حق " (97) ومن طبائع السلاطين الجورة ميلهم الى الترف والاسراف في امتلاك الدور والقصور" ويستخدمون لبناء ذلك العامة" (98) من الناس .

أما سيرتهم في انفاذ الاحكام فغير محمودة ، وكيف يعاقب شارب الخمر سلطان لايصحو من سكرته الاّ نادرا ، أو يقيم حد الزنا مَن لايتورع عن مخالطة النساء ....؟

اذا كان جور السلطان على هذا النحو فما موقف الاباضية منه ؟ يقول أبو الحسن الاشعري (ت 324 هـ أو 330هـ) : " الاباضية لاترى اعتراض الناس بالسيف - خلافا للخوارج - لكنهم يرون ازالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه " (99) لكن اذا رجعنا الى المصادر

---

(95) علي يحي معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص: 293 .
(96) م . س ، ص: 293.
(97) ش محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد ،ص: 427 .
(98) ابراهيم الوارجلاني : الدليل والبرهان ،ج 3 ص: 66 .
(99) أبو الحسن الاشعري ، مقالات الاسلاميين ،ج 1 ص: 189 .

الاباضية وجدنا رأيهم على عكس ماذكر الاشعرى ، فاذا كان عزل الامام – كما سبق وأشرنا – يجوز اذا اقتضى الأمر لذلك ولايترتب عنه فتنة أشد من بقائه مع جوره فان مسألة الخروج أمر آخر ، فيمكننا القول – بدون تخفظ – أن الاباضية يجمعون على عدم وجوب الخروج على السلطان . أما جواز ذلك ففيه أقوال لانه قد تختلف الظروف والأحوال وبالتالي يختلف موقف الاباضية من السلطان الجائر بين ظرف وآخر ، خاصة اذا علمنا أن الفكر السياسي والاجتماعي لدى الاباضية يقوم على مبدأ الاعتدال واللجوء الى الموقف الذى لاينتج عنه هلاك الجماعة حفاظا على استمرارية البقاء وهكذا يتصف الموقف الاباضي باللين والتسامح اذا اشتدّ الأمر وتأزم الوضع ، وقد يتصف أحيانا بالقوة والصرامة والاستماتة أمام الحق اذا سمح الحال بذلك .

من هذا المنطلق نفسر رأى الاباضية في الخروج عن السلطان الجائر بتأرجح بين الجواز وعدمه .

أما وجوب الخروج فلم يقل به اباضي بل نجد ش اطفيش يرد بشدّة على من يتهم الاباضية بالقول بوجوب الخروج على رأى الخوارج فيقول في الذهب الخالص مثلا : " نحن لانقول بالخروج عن سلاطين الجور الموحدين" (100) ومن نسب الينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا " (101) .

والموقف المعتدل حسبما يراه القطب أن يكتفي الاباضية باعلان البراءة

---

(100) نلاحظ هنا أن القطب يحصر عدم الخروج على الأئمة الموحدين . أما المشركون ويدخل في حكم ذلك مظاهر الاستعمار المعاصر فيوجب الخروج عنهم .

(101) محمد اطفيش ، الرّد على الشيخ محمد كامل الطرابلسي (مخ) .

من الامام الجائر وكذا من تبعه في جوره مع ولاية كل من كان تحت لوائه لجواز القعود تحت الجائر المخالف والموافق مطلقا " (102) هذا رأى الاباضية في علاقتهم بالحاكم الجائر وهو ما أكده ش علي يحي معمر في قوله : " اذا ابتليت الأمة بأن كان حاكمها ظالما فان الاباضية لايرون وجوب الخروج عليه لا سيما اذا خيف أن يؤدى ذلك الى فتنة وفساد أو يترتب على الخروج ضرر أكبر مما هم فيه " (103) .

ومما يؤكد مذهب الاباضية في عدم الخروج ما ذكر عن عبد الله بن اباض أنه عندما اجتمع واصحابه عازمين الخروج وفيهم نافع بن الازرق ووجوه المسلمين ، سمع في جوف الليل دوى القراء وترنين المؤذنين وحنين المسبحين فقال لأصحابه أعن هؤلاء أخرج معكم ؟ فرجع وكتم أمره واختفى (104) حتى وان كانت مناسبة هذه الحادثة في غير الخروج عن السلطان الجائر فاننا نستفيد منها موقف ابن اباض الرافض مبدأ الخروج ، ومما يثبت عدم التجائه للخروج أنه لم يرد عنه تنظيم حملة للخروج على خليفة عصره بل كانت هناك علاقة طيبة مدعمة بمراسلات تربط بينه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان .

هذا عن عدم وجوب الخروج أما عن جوازه فنسجل رأى الاباضية من خلال موقف الوارجلاني حيث يقول : " ان مذهب أهل الدعوة في الخروج

---

(102) محمد اطفيش ، الذهب الخالص ، ص: 46 .

(103) علي يحي معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص: 290 .

(104) ابو القاسم البرادى ، الجواهر المنتقاة ، الوارجلاني الدليل والبرهان .

على الملوك الظلمة والسلاطين الجورة جائز "(105) ونجد الرأى نفسه عند ش علي يحي معمر (106) وهو رأى وسط بين موقف الاشاعرة والسنية القائل بمنع الخروج على السلاطين الجورة ولا يحل قتالهم بل التسليم لهم على ظلمهم اولى " (107) وبين موقف الخوارج القائل بوجوب الخروج على سلاطين الجور مهما تكلف الأمر .

والواقع أن جواز الخروج عند الاباضية مشروط بأمور عديدة أهمها الاستطاعة ، وعدم الوقوع في التهلكة بسبب الخروج ، ولتحديد ذلك يقول ش علي يحي معمر : " لاينبغي هدم حكم قائم الآ اذا تأكدت الاستطاعة للقيام بحكم خير منه دون حدوث مايخشى على المسلمين أو يلحق بهم اضرار تفوق ماهم عليه من أضرار " (108) أمّا اذا أمن المسلمون من هذه المآخذ فاقدامهم على تغيير المنكر جائز وممدوح . ومن أمثلة ذلك ماقام به الامام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح من الاستيلاء على مدينة طرابلس والاطاحة بحاكمها وتولي زمام الأمور خلفا له . ذلك بحركة منظمة مخطط لها فلم تقم حرب ولم يهرق دم . (109)

هذا رأى الاباضية في موقفهم امام السلطان الجائر مجمعون عليه اذا استثنينا ش سالم السيابي (عماني معاصر) الذى يتحمّس للخروج على السلاطين والملوك وصراعهم بقصد حملهم على المنهج الشرعي الذى أوجب

---

(105) أبو يعقوب الوارجلاني الدليل والبرهان ، ج3 ص: 64 .

(106) علي يحي معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص: 290 .

(107) الوارجلاني : الدليل والبرهان ج 3 ص: 64.

(108) علي يحي معمر ، الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص: 290.

(109) انظر قصة ولاية أبي الخطاب في تاريخ أبي زكريا ص: 57 طبقات الدرجيني ج 1 ، ص: 21 .

المسيـر عليه ، ويحرض على ارتكاب الاخطار لمقاتلة الملوك الجورة حتى يرجعوا الى الحق (110) فيتحامل ش السالمي على القائلين بعدم جواز الخروج المتمسكين بالصبر فيقول : " فعلى الأقل أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو كما ثبت اجماعا أنه اليد أولا وهل اليد الآ العصا ثم السيف ؟ ، وكيف لا يجوز الخروج عليهم وهم يفسدون في الدين ويبدلون حكم الله بحكم القوانين وهذا هو الكفر الواضح " (111)

خامسا : موقف الأمة من الامام العادل

حيث اننا تعرضنا لموقف الاباضية من الامام اذا جار أو السلطان اذا طغى وتجبر . فانه يجدر بنا كذلك عرض موقفهم من الامام العادل ، فأول ما يجب على الرعية طاعته والاخلاص في الانقياد له ولا ينبغي أن يطيعوه خوفا منه أو تقربا له وانما لكون طاعته واجبة من الله على الرعية . وقد وردت نصوص عديدة تصرح بوجوب طاعة أولي الأمر ، ومنها قوله (ص) "ان امر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف و أقام فيكم كتاب الله وسنتي فاسمعوا له وأطيعوا " (112) .

(110) سالم السيابي ازالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص: 78 .
(111) م . س ، ص: 79 .
(112) يعلق أبو اسحق ابراهيم اطفيش على هذا الحديث بقوله : " انما أمر نبينا محمد (ص) بطاعة العبد على سبيل المثل في وجوب الطاعة والا فالعبد لا تجوز امامته للصلاة فكيف بأمر المسلمين وهذا رد لمن زعم أن الامامة الا في قريش .انظر في هامش كتاب الوضع لابي زكريا يحي بن أبي الخير ص: 23 . وروى الحديث الامام الربيع بن حبيب في مسنده عن جابر عن ابن عباس بلفظ: " ان امر عليكم عبد حبشي مجدوع الانف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله" راجع الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ط ١، 1388 هـ . جـ 3 ص: 211 .

أما العصيان والتمرد على الامام فحرام قطعا، يقول أ/كبيرلي نقلا عن الاباضية : " والتمرد على الامام من أبشع الجرائم بل يجب على العكس مساندته ضد أعدائه " (113) فالثورة على الامام العادل منكرة عند الاباضية (114) وكل عمل يؤدّي الى احداث شغب وتشويش في الدولة ممنوع يجب ايقاف صاحبه وتأديبه ، ومن الأحاديث الواردة في هذاالشأن قوله (ص) : " من كره أميره شيئا فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية " (115) وقوله (ص) : " من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية " (116) وهكذا يوجب الشرع طاعة أولي الأمر بل ويقرنها بطاعة الله ورسوله . يقول (ص) " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني" (117) وهذا تأكيدا لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ... الآية " (118) .

---

(113) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadisme P:292

(114) فاروق عمر : التاريخ الاسلامي وفكرالقرن العشرين ط 2 دار اقرأ بيروت لبنان 1406هـ/ 1985م . ص: 56 . نقلا عن أبي المؤثر : الاحداث والصفات (مخ) بدارالكتب المصرية القاهرة ، ورقة 4 و 5 .

(115) متفق عليه ، عن ابن عباس ، ذكر أ/ عزالدين بليق في منهاج الصالحين من أحاديث سنة خاتم الانبياء والمرسلين ، دارالفتح بيروت 1978 ص: 466 .

(116) م . س ، ص: 466 . رواه مسلم عن أبي عمر (رض) .

(117) م . س ، ص: 466 . عن أبي هريرة (رض) متفق عليه .

(118) النساء 59 .

واذا ظهر مـن الامام نقصا أو تهاونا أو اهمالا بواجب من واجباتـه كان لابد من الرعية والخاصة بصفة أولى نصحه وتحذيره وتنبيهه قـال (ص) : " الدين النصيحة " ولما سأله الصحابة لمن النصيحة قال : " لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (119) والواقع أن نصح الامام وارشاده وتحذيره واجب حتى في حالة جوره فكيف اذا عدل وأخطأ؟ قال (ص) : " أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " (120)

وانما المطلوب في النصيحة أن تكون بلطف ورفق تأدبا بمقام الامـام حتى لاتجرح كرامته ،كما أنه ينبغي للامام أن يقبل النصيحة ممن جاءت، ولا يترفع عن قبول الحق اذا ظهر .

سادسا : مسؤوليات الامام وواجباته .

اذا انتخب الامام وتمت له البيعة الشرعية أصبح هو المسؤول الاول في الدولة، وتمتع بصلاحيات مطلقة في حدود الشرع، فله أن يحكم بما يراه صوابا ويجتهد في اقامة العدل بين الناس واعطاء لكل ذي حق حقه، ويحسن له في ذلك أن يستعين بمجلس الشورى أو بوزيره، ولكن اعتماده علـى المستشارين والوزراء لايرفع عنه المسؤولية . لأن الامام الاباضي لايتمتـع " بحصانة معينة فهو مسؤول عن اجراءاته والقرارات التي يتخذها " (121) وبالتالي فانه يتحمّـل كلّ تبعية ناتجة عن تصرفاته أو قراراته الغير الشرعيـة وهو بذلك لايختلف عن غيره من أفراد رعيتـه شأن أمر الامام باقامة الحـدّ

---

(119) عز الدين بليق، منهاج الصالحين، ص: 410، رواه مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس .

(120) م . س، ص: 412، رواه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري (رض)

(121) عمـر فاروق، التاريخ الاسلامي ص: 58 .

الأبواب ،وعندا قتضاء الحاجة يراقب حدود الدولة فيمنع الخارج من البلد والداخل فيه لمن لايرغب فيه، ولكن تبقى حرية التنقل والحركة مكفولة فالسفر مباح من حيث المبدأ " فلا يجوز حجره ولا منعه على أحد الآأن يكون سفره في معصية فمنعه يكون على وجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (126) وقد يكون السفر والارتحال واجبا فيأمربه الامام لاسباب أمنية خالصة مثل مافعله يعقوب بن افلح (127) حين أمر السكان بالهروب الى وارجلان عند سقوط تيهرت. (128)

ومن المسؤوليات الأمنية أن يعاقب الامام كل محارب (129) ظهر في البلد لقوله تعالى: " انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم " (130) الآ أن الوارجلاني يقول أن العلماء اختلفوا في ظاهر هذه الآية وباطنها ،ويعني بذلك أنهم لم يحددوا المسؤول على تنفيذ الاحكام الواردة فيها أهو الامام أم سائر المسلمين. فقال: " بعضهم الامام

---

(127) آخر الائمة الرستميين ،وهناك من المؤرخين من لايعتبره اماما من الأئمة الرستميين رغم توليه الامامة لأربع سنوات،ثم عزل. انظر تاريخه في أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير ص 96 و 100، سير أبي زكريا ص: 188.

(128) Dangel Gerrard, L'Imamat Ibadit de Iahert...P:108

(129) يعرف الوارجلاني المحارب بقوله: " كل من أخاف السبيل وأعلن الفساد في الأرض"

(130) المائدة 33.

ولاينفذه غيره كسائر الحدود وقال بعضهم أن حكم الله جائز لمن قدر على انفاذه وقال بعضهم أما القتل فجائز في الظهور (...) أمّا سوى ذلك فلا يجوز الاّ للامام " (131) ويدخل في حكم المحاربين كل من سعى في فتنة واحدث القلاقل وأثار الشغب في المجتمع وروّع الآمنين فعلى الامام أن يتصدى لهم ويقاتلهم " وان كانت لهم سلاطين وملوك يرجع الأمر الى تلك الملوك والسلاطين فانهم المأخوذون بجميع مافي تلك الفتنة والحكم فيهم أن تقتل تلك السلاطين وجميع جنودها وتعفى العامّة ومن أجبروه على الدخول معهم في فتنتهم " (132) اذن فتوفير الأمن في الدولة هو أهم شيء يعتني به الامام ، ويرى الوارجلاني أن الدفاع عن الوطن وقهر كل ظالم أراد الاعتداء عليه حق من حقوق الأرض التي يأكل الامام خراجها (133) اذ لا يستقيم أمر لدولة لم تضمن أمنها ولا استقرار أوضاعها .

ب ـ المسؤوليات الادارية :

على الامام أن يحسن اختيار العناصر ذات الكفاءة والمؤهلات العالية لمساعدته في ادارة شؤون الدولة ، وعليه أن يقوم بتنصيب قضاته وعماله وباقي مستخدميه بنفسه ولايجوز للعامة أن يولّوا على أنفسهم من يرغبون فيه دون اشراف الامام على ذلك مثل ماحدث في عهد الامام عبد الوهاب حيث " ائتمرت العامة من الناس أن يولوا على أنفسهم خلف بن السمح " (134)

---

(131) الوارجلاني ، الدليل والبرهان ج 3 ص: 58 .

(132) م . س ، ص: 58 .

(133) م . س ، ص: 66 .

(134) هو خلف بن السمح بن عبد الأعلى وزير عبد الوهاب كان يقوم بالتدريس *

وظنوا أن ذلك أوفق لأمير المسلمين ... " ولما بلغ ذلك الى الامام كتب اليهم معا تبا وأبطل ما أقدموا عليه (135) .

فاذا عيّن الامام القضاة والولاة والقائمين بالحسبة والجباة وجب عليه متابعتهم ومراقبة أعمالهم ويتعهّدهم بالعناية الكافية لانجاز خدماتهم في أحسن وجه . ومن واجب الامام عزل الوالي الفاسد " اذا شكته الرعية ولا يكلفهم على ذلك بيّنة (...) بل يعزله ويولي غيره من أهل الأمانة والفضل " (136) ويذكر ابن الصغير أن قبائل مزاته وسدراته وغيرهم بعثوا جماعة الى الامام عبد الوهاب يشتكون من أحوالهم فقال قائلهم للامام " ان رعيّتك قد ضجرت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم . وولي عليهم خيارهم " (137) فأثنا عليهم الامام وفوّضهم لاختيار من يرونه صالحا . (138)

وكما يجب على الامام مراقبة عمّاله فكذلك يجب على الرعية فيتعاهدها ولا يغفل عنها ، وان لم يفعل فهو مقصّر في حقهم .

= ويعقد الحلقات . انظر طبقات الدرجيني ج 1 ،ص: 67 ، سير الشماخي ص: 163 ، الأزهار الرّياضية ج2 ص: 147.

(135) أبو زكريا سير الأئمة وأخبارهم ،تح اسماعيل العربي ص : 19_ 20 .

(136) عمر فاروق التاريخ الاسلامي ،ص:59 ،نقلا عن الطّائفي: كنز الاديب ورقة 84 ب .

(137) ابن الصغير: اخبار الأئمة الرستميين، تح د/محمد ناصر، أ/ابراهيم بحاز ص : 42 .

(138) تشير المصادر الاباضية أن الامام رجع عن قوله بتغيير عماله بعد أن أرشد خاصته، وكان ذلك سببا لنقمة المشتكين عليه ومن ثّم ظهرت فرقة النكار انظر: م . س ،ص 42 و 44 .

جـ - المسؤوليات الدينية :

حيث أن الفكر السياسي عند الاباضية لا يفصل بين الدين والدولة فان الامام لا ينبغي منه اهمام جانب على حساب الآخر، ومن أهم مسؤوليات الامام الدينية هي الدعوة الى دين الله ما أمكن، والحرص في خدمة الاسلام والتمسك بمبادسه والمحافظة على قيمه وتعاليمه.

تنقسم الدعوة الى قسمين، دعوة داخلية، ودعوة خارجية .

أما الداخلية فتتعلق برعاية المصالح الدينية للمواطنين ومنها امامة الصلاة فان تعذر على الامام الالتزام بها في سائر الصلوات فلا ينبغي على الأقل أن يتخلى عن امامة صلاة الجمعة (139) كما يجب على الامام أن يجتهد في ارشاد الناس لمعرفة دينهم بالوعظ وعقد الحلقات وتعيين المشائخ للافتاء والتدريس وتبليغ الدعوة، ومن واجب الامام السعي في بناء المساجد وحمل الرعية على عمارتها .

واجب الامام مع أهل الخلاف :

تشمل الدعوة الداخلية للامام نشاطه في استدراج المخالفين الى ترك مابه افترقوا " فان أجابوا للدعوة واهتدوا صاروا اخواننا لهم مالنا وعليهم ما علينا ووسعنا وأياهم العدل ..." (140) اما ان اختاروا البقاء على مذهبهم ، وفضلوا " الانفراد ببلادهم وأجروا فيها أحكامهم تركناهم وذلك مالم يكن ردّا على آية محكمة أو سنّة قائمة " (141) ويعيّن الامام واحدا منهم يقوم بواجب الحقوق عليهم، ولا يتركهم الامام يظهرون

---

(139) Dangel Ge rard , l'Imamat Ibadit ...P , 107

(140) الوارجلاني : الدليل والبرهان ،ج 3 ص: 54 .

(141) م . س ، ص: 54 .

منكرا ولا أن يحدثوا مالم يكن الاّ أن يكون أمرا لا مكروه تحته(142) ويجب في كل ذلك أن يعترفوا بالسيادة للامام فيأتمروا بأوامره وينتهوا بواهيه.

أما في الدعوة الخارجية فيتركز نشاط الامام على دعوة أمراء أهل الكتاب واليهود والنصارى والصابئين مطلقا، وعبدة الاصنام وجاحدى الله .... يدعو هؤلاء جميعا الى الاسلام " فان أبوا قاتلهم وسباهم وغنمهم "(143) ويفرض عليهم الامام جزية يدفعونها مادام الامام قادرا على منع الظلم عنهم، فاذا جمع مالا أعطى فقراء أهل الجزية منها، وفقراء أهل الزكاة منها ولو مخالفين" (144) ولا يأخذ الجزية غير الامام والاّ لم يعامل فيها أو يأخذها كل من منع الظلم عنهم " (145) هذا رأى القطب في واجب الامام على أهل الكتاب أما ش أبوزكريا لايرى قبول الجزية منهم ويحل سبيهم وغنيمة أموالهم وسفك دمائهم ماداموا على شركهم (146) امنا اذا استجابوا للدعوة ودخلوا في الاسلام فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

د ـ المسؤوليات الاقتصادية :

يدخل في الميدان الاقتصادى كل ماله علاقة بتنمية الموارد المالية في الدولة من زراعة وتجارة وصناعة، وجمع الزكاة وجبي الخراجات،وغنائم الحروب، وما يجمع من الجزية، وغيرذلك . وجميعها تقع تحت تصرف الامام فيتولاها بنفسه مباشرة أو يعين من يقوم بأعبائها .

الزراعة والتجارة والخدمات الحرفية يجب أن تخضع لنظام عام تحت اشراف الامام لاينبغي لأصحاب هذه الصنائع أن يحيدوا عنه والاّ تعرضوا

---

(142) م . س، ص: 54 .
(143) محمد اطفيش : الذهب الخالص، ص: 70 .
(144) م . س ،ص: 72 .
(145) م . س، ص: 72 .
(146) ابوزكريا يحي بن أبي الخير ، الوضع ، ص: 20 .

للعقوبات (147) وعادة مايتولى الاشراف على مراقبة هذه الصنائع رجل يعينه الامام يدعو المحتسب وقد يستعين هذا بأعوان .

أما الزكاة فيضع القطب نظاما لها ويترك للامام حرية التصرف فيه بالزيادة والنقصان حسبما تقتضيه الظروف ،فبعد أن يجمع عمال الامام الزكاة المفروضة ،يقسمها الامام ثلاثة أسهم فيعطي كل بلدة ثلث زكاتها ، وقد يعطى لها النصف انرأى ذلك ،وتوزع الزكاة بين أهل البلدة جميعا " ولومخالفين أما الباقي فيرفعه لمصالح الاسلام وان يرى الامام ضرورة رفع الزكاة كلها لموجب أو تفريق زكاة البلدة كلها فيهما جاز له " (148) ومن الموجبات رفع الزكاة كلها أن يحتاج الامام الى مال لتجهيز الجيش للجهاد ، أوجمعه لتبرع به لصالح فقراء بلد مسلم محتاج . وقد يكون الموجب اكتفاء سكان البلدة ماديا بحيث لايحتاجون الى مال وفير .

ويبين ش اطفيش طريقة توزيع المال على المحتاجين فيقول : " يعطى الفقير مؤونة سنة ودينه وما يتزوج به ان لم يتزوج ويعتبرفيهما الأفضل فالفاضل والمحتاج وذو السّن والضعف " (149) وغالبا ما تقدر المؤونة التي تكفي للسّنة فتعطى للمحتاج أمّا اذاكان ذاعيال فيزاد له قيمة خادم أو مايصير به غنيّا ، وتصرف الزكاة في غيرماتقدم على النحو التالي : (150)

ابن السبيل : يعطى له ــ ان كان غنيا ــ ما يوصله الى غايته .

---

(147) انظر نظام الحسبة ومراقبة الاسواق في الفصل التالي .

(148) محمد اطفيش : الذهب الخالص،ص: 234.

(149) م . س، ص: 234 .

(150) م . س، ص: 234.

الفـــازى : وهو في حكم المسافر في مهمة يعطى له مايكفيه ذ ها با ورجوعا ، أو ثمن مؤونـــة عـــام .

الامـــام : يأخذ الزكاة ــ ان احتاج ــ مؤونـــة عـــام .

و ينبغي للا مام أ ن يحصى مدا خيل الدو لة المالية من الزكاة و الضرائب والرسوم ومال الجزية وخراج الارض " والكفارات ، والاموال الموقفات واللقطات . . والوصايا المعينات والمؤبدات وغيرالمؤبدات كالوصايا للمساجد والسداد ، والطرق المسبّـــلة ، وقبض الديات من قاتل العمد والخطأ الذى لا ولي لـه من القتلى وكذلك فطرة الابدان" (151) وبعد احصاء هذه المداخيـــل يشرع الامام في توزيعها بين المستحقين من الرعية . وبالقسط والعدل وفق مبادئ الشريعة . وله أن يستثمر منها لصالح الدولة وحيث أن الامام الاباضي يعتبـر أمينا عاما على بيتمال المسلمين فانه المسؤول الأول علـــى أملاك الدولة ويتحمل كل المسؤوليات المالية . على أنه من الممكن أن يعيـن وزيـرا ليعينه في مهام المالية وينوبه عند الحاجة كمايجوز له تعيين العمال والجباة لجمع الزكاة " وينبغي أن يكون جابي الزكاة بمنزلة الامام فيزوال الما هات وصحة الامانات لانه علم من أعلامه وشعبة من أحكامه " (152) وهنا يؤكد الاباضية على ضرورة الالتزام بالعدالة في عملية جمع الزكاة ولذلك يتعين على الامام أن يختار الرجل المؤهل للقيام بهذه المهمة .

ومن مهام الامام الاعتناء بالاوقاف والحبوس (153) لانها ملك للمسلمين جميعا . وعادة مايكـلّـف الامام وكيـلا لكل مسجد يهتم بشؤون اوقافـــه وحبوسه .

---

(151) عمر فاروق ، التاريخ الاسلامي ص: 60 نقلا عن الصائفي دون ذكر رقم الورقة .
(152) م . س ، ص: 60 نقلا عن الصائفي ورقة 188 .

(153) Marcel Mercer , Etude sur le waqf Abadhite, et ses ap-plication au M'ZAB . imp:Jules Carbonel , Alger , 1927.

هـ ـ المسؤوليات الاجتماعية :

الى جانب ما تقدم من مهام الامام ومسؤولياته يجب عليه كذلك أن يهتم بمصالح المسلمين الاجتماعية وأن يتعاهد رعيته بالعناية اللازمة، ولا يغفل عنهم في شيء من شؤونهم الاجتماعية وأهمها العناية بالايتام والأرامل والشيوخ وأبناء السبيل، واكرام الضيوف، وعلى الامام أن يتأدب للرعية " ويتفقد أحوالهم بلا حيف على أحد وأن يعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ويفتح لهم بابه ويباشر أمرهم بنفسه" (154) فلا يجوز له أن يحتجب عن الشعب الا في أوقات الضرورة. لقوله (ص) "من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم ...حجبه الله عن حاجته يوم القيامة.

ومن أهم حقوق المواطنين التي يجب على الامام مراعاتها، تأمين الحرية الانسانية لأنها من أسس المبادىء التي قررتها الشريعة الاسلامية فعلى الامام بالخصوص أن يكفل حرية التفكير وحرية الاعتقاد وحرية التنقل وغيرها لكن في الحدود التي وضعها الاسلام، دون أن يفرض على الناس في شيء من ذلك أي قيد الا أن يتعدى الواحد حدود حريته على حساب حقوق الآخرين وأيّ قيد يفرضه الامام على رعيته في هذه الحريات يعتبر مساسا بالكرامة الانسانية التي أوصى الله على حمايتها قال تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم ..." (155)

---

(154) عمر فاروق، التاريخ الاسلامي . نقلا عن الصّائغي : كنز الاديب ورقة 84 ب ...

(155) الاسـراء 70 .

الفصل الرابع

اعوان الامام

اولا : مجلس الشورى

ثانيا : الوزير

ثالثا : القاضي

رابعا : الولاة

خامسا : الحسبة والشرطة

سادسا : الجيش

لايختلف جهاز الحكم في الدولة الاباضية كثيرا عن الاجهزة الأخرى في الدول الاسلامية من حيث الشكل، حيث نجد - تقريبا - في كل دولة حاكما هو المسؤول الاول - قد يكون اماما أوخليفة أوملكا أوسلطانا أو أميرا - والى جانبه أعوان يمثلون أعضاء الحكومة يساعدون الحاكم في تسيير شؤون الدولة، وهم في الغالب : الوزراء والعمال والولاة و القضاة والجباة، وقواد الجيوش، وصاحب بيت المال وصاحب الشرطة والمحتسب وغيرهم (1) وقد تختلف التسميات والالقاب بين حكومة وأخرى، الاّ أن المناصب المذكورة تبقى هي عمدة السلطة وصاحبة الحق في تدبير شؤون الرّعية، هذا من حيث الشكل .

أما نوع النظام فلا يخلو من تفاوت واختلاف بين دولة وأخرى ففي الحين الذى يقوم فيه النظام الملكي على الوراثة وولاية العهد حيث يشترط في الامام الابوّة (2) لتولية السلطة، نجد شرط الكفاءة في النظام الديموقراطي هوأول شرط ينظر اليه في تعيين الامام .

من هنا نلاحظ أن مؤسسات السلطة في الدولة الاباضية وان اتفقت مع مثيلاتها في الدول الأخرى الاّ أنها اقيمت أساسا لتجسيد مبدأ الديموقراطية وتطبيق هذا المبدأ من خلال ممارسة السلطة في الحياة اليومية، فلنأخذ - مثلا - الوزير يراه ابن أبي الربيع (ق3هـ/9م) " شريكا في الملك" (3) مع الملك دون غيره . حتى أن الملك " لايشاورأحدا

---

(1) يضيف ابن أبي الربيع : كاتب عارف، حاجب عاقل، حاكم عادل، حكيم مجربه جليس صالح، صاحب الطعام والشراب . انظركتابه : سلوك المالك في تدبير الممالك .

(2) وهوأن يكون من أهل بيت الملك، انظرابن أبي الربيع المسالك . تح ناجي التريكي ص: 176 .

(3) م . س، ص: 173 .

دونه ولا يقدم أحدا عليه " (4) وبهذا يصبح الحكم حكرا على فرد واحد في شخص الملك، والوزير لأنه في حكم الملك ، وهكذا اختار ابن أبي الربيع الشكل (العوناركي Monarchie) من أشكال الحكومات" (5)
أما الوزير في نظر ش اطفيش لا يعدو كونه رجلا كسائر الرعية أوتي خبرة في تدبير شؤون الحكم فالتزم جانب الامام لمساعدته في مهامه فالوزير مستشارا وليس مالكا .

نعود الى نظام الحكم في الدولة الاباضية ،الذى يتكون طاقم السلطة فيه من مجلس أعلى للشورى ،والوزير والولاة، والقضاة،والشرطة والجيش . وفي حالات خاصة يتقلص جهاز الحكم لينحصر في الامام ومجلس الشورى . فحسب وذلك ان كانت الدولة فتية حديثة النشأة قليلة العدد، كما يمكن لجهاز السلطة أن يتسع ويكبر ليشمل العديد من المناصب حسب اقتضاء الحاجة فيزداد عدد الوزراء والولاة والقضاة وقواد الجيوش، ويستعين هؤلاء بعمال وجباة وسعاة يعملون تحتهم،وهذا في حال اتساع رقعة الدولة وازدهارها وارتفاع عدد سكانها .

وفيما يلي عرض لأهم المناصب الحكومية التي يستعين بها الامام في أداء مهامه .

أولا: مجلس الشورى

من خلال مجلس الشورى يتجسد مبدأ ديموقراطية السلطة في نظام الحكم في الدولة الاباضية . والمجلس هو أعلى هيئة سياسية في البلاد ، " وهو ممثل الشعب (6) لدى الحكومة . أما أعضاؤه " فجماعة من خيرة العلماء المجتهدين

---

(4) م .س ،ص: 195 .
(5) محمد جلال شرف، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام ،ص: 149 .
(6) انظر : Dangel Gerard L'Imamat Ibadite de Tahert...P:107

من أهل الخير والصلاح ممن يمتازون بالتضلع في العلم والتبريز في الدراية بشؤون الدين وأصوله العقائدية والفرعية " (7) .

وللمجلس صلاحيات واسعة ، لا يحق للشعب أن يتدخل فيها ومن أهم صلاحياته ما يلي : (8)

أ ــ التشريع الاجتهادى ــ في حدوده ــ وبهذا يكون المجلس هو المرجع الأول للامام في المسائل الاجتهادية .

ب ــ اختيار الامام وتنصيبه ، ثم مراقبته في تصرفاته وأعماله في تسيير الرعية وذلك في الاطار الديني .

جـ ــ الاهتمام بالمسائل السياسية والعلاقات الدولية (9) ومساعدة الامام في معالجة المشاكل .

د ــ اصدار القرارات العامة ، كاعلان الحرب ، أو الهدنة في السياسة الحربية . واعلان التقشف وتحديد الميزانية في السياسة الاقتصادية ، وفي الغالب تصدر هذه القرارات عن الامام بعد استشارة المجلس .

هـ ــ الاتصال المباشر بالشعب قصد التعرف على أحواله ومشاكله ومطالبه (10) ونظرا لذلك يحسن أن يتكون المجلس " من ممثلي الشعب بمختلف طبقاته وقبائله" (11) .

---

(7) رشيد بورويبه ، الجزائر في التاريخ جـ 3 ، ص 105 .

(8) Dangel Gerard , L'Imamat Ibadite De Tahert...P.107

(9) م . س ، ص: 107 .

(10) رسالة علماء جربة الى ش ابراهيم أبو اليقظان أوردها الأخير في ملحق العزابة .

(11) Dangel Gerard L'Imamat Ibadite De Tahert ...P:107

و ـ دراسة تقارير الولاة والقضاة والعمال ، ورؤساء الشرطة ، واصدار الأحكام المناسبة ، والفصل في النزاعات . (12)

ى ـ والمجلس هو الهيئة الوحيدة التي لها حق النظر " في قضية عزل الامام من دون تردد إن هو حاد عن طريق الحق ".(13)

ان وجود هذه الهيئة العليا في الدولة كقاعدة يرتكز عليها الحكم ، ويعتمد عليها الامام في أداء مهامه السياسية وفي رعاية شؤون الأمة ، يعني استبعاد كل أشكال الاستبداد بالرأى الواحد والتصرف وفق رغبات فرد واحد ، كما هو الشأن في الانظمة الملكية ، والدولة الاباضية حين تقيم سياستها على مبدأ الشورى انما ترمي بذلك تطبيق المبادئ الاسلامية والعمل بما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : " وشاورهم في الأمر " (14) ثم ان الامام لا تكتمل مؤهلاته الا اذا كان مشاورا أهل المشورة في أموره ، كيف لا ، والمشورة مبدأ ميّز الله به المؤمنين عن غيرهم " وامرهم شورى بينهم" (15) وهو ما كان عليه الرسول (ص) وصحابته الكرام . (16)

وثمة ملاحظة تلعب دورا مهمّا في الميدان السياسي وهي أن أعضاء مجلس الشورى لا ينبغي لهم أن ينقسموا الى جماعات ولا يشكلوا كتلا حزبية داخل المجلس " لأن الاسلام يأبى تحزب أهل المشورة " (17) وأفضل

(12) م .س ، ص: 107 .

(13) رشيد بورويبة ، الجزائر في التاريخ ، الجزائر 1984 ، ج3 ص: 105 .

(14) آل عمران 159 .

(15) الشورى , 28 .

(16) انظر فضل المشورة : اسماعيل الجيطالي ، قناطر الخيرات ، ج 3 ص: 179 .

(17) ابو الأعلى المودودي ، نظرية الاسلام السياسية ، ص: 56 .

طريقة لا بداء الرأى هو أن يتبنى كل واحد وجهة نظره ويدلي برأيه بصفته الفردية ، على أن يكون محميا بحصانة سياسية لانتمائه الى هيئة رسمية . هذا رأى الاباضية في ممارسة السلطة النيابية ، ولعل هذا مايدعى اليوم بمنع تعدد الأحزاب ، مع ابقاء حرية التعبير عن الرأى ضمن أطر شرعية ، واذا نظرنا الى طبيعة الحكم الذى قامت عليه الدول الاسلامية وجدنا الاباضية " وحدهم الذين طبقوا مبدأ الشورى في الحكم بعد الخليفتين ". (18)

ثانيا: الوزير

الوزير في الدولة الاباضية هو المستشار للامام ومساعده وناصحه ونائبه وهو الانسان المقرب للامام يلازمه فيتدارس معه المسائل السياسية وكل مايتعلق بتدبير شؤون الرعية ، يرى الماوردى أن مهمة الوزير هي " القيام بمصالح ملك السلطان وهي أربعة : عمارة بلاده وتقويم أجناده ، وتثمير مواده ، وحياطة رعيته " (19) أما ابن الربيع فيقول : " لابد من وزير .. معين على حوادث الدهور ، يكشف صواب التدبير. (...) وهو شريك في الملك المشير فيه بحفظ أركانه ..." (20)

---

(18) عوض محمد خليفات ، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، ص: 54 .
(19) الماوردى : أدب الوزير ، القاهرة 1929 ، ص: 49 .
(20) د/ ناجي التريكي ، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك . دار الاندلس بيروت 1983 ، ص: 193 .

ويبدو أنه لا خلاف بين الاباضية والعباسيين في ضرورة اتخاذ الوزير لما له من دور كبير في الحكم لكن الفرق يظهر جليا في أن الوزير العباسي يأخذ منصب رئيس الحكومة بمعنى أنه يملك صلاحيات غير محدودة للتصرف في شؤون المملكة، وقد لايكون وجود الملك الاّ شكليا . بينما الوزير لدى الاباضية مختلف عن ذلك، فصلاحياته محدودة في الاستشارة وابداء الرأى والنصح والتحذير أما ان يصدر القرار وينفذ باسم الملك فلا أعتقد أنه يجوز له ذلك، ثم ان الوزير الاباضي مراقب من طرف مجلس الشورى وهو معرض في أى وقت لتغييره اذا أحدث بما يوجب ذلك . بينما الوزير العباسي لا مراقب له، بل يتمتع بتفويض من الملك يتصرّف بموجبه كما يشاء في شؤون الدولة .

والوزير الاباضي كما يرى ش اطفيش هو يمين الامام ودليله اذا صلح الوزير صلح الامام واذا فسد الوزير أفسد الامام . ولذلك يتشدد في اختيار من يصلح للوزارة، ويستشهد القطب بقول رسول الله (ص) " اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه، واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه " (21) وينبغي للامام اذا أن يحسن اختيار وزيره فاذا اختاره أحبّه وقربه وجعله موضع ثقته قال الامام عبد الوهاب في وصف علاقته بوزيره السمح (22) : " قد علمتم أن السمح وزيرى وأحب الناس اليّ

(21) محمد اطفيش جامع الشمل في حديث خاتم الرسل ص: 297، قال : رواه أبو داود والبيهقي .

(22) سبقت ترجمة له .

وأنصحهم ولن أريد مفارقته" (23) ، ولنا مثال حيّ للوزير المثالي في الدولة الرستمية وهو أبو اليقظان محمد بن افلح (24) الذى كلّفه أخوه أبو بكر بن افلح بمهام الوزارة بعد رجوعه من المشرق . فكان "يقوم بشؤون الدولة الكبرى كالنظر في رسائل العمال والولاة ... وفض المشاكل التي يرفعونها الى الامام ، ومراقبة مال الدولة وصرفه في وجوهه ، وقراءة البريد السياسي الذى يأتيه من الملوك والأمراء ... والاجابة عنه ..." (25) وكان يتخذ أعلى مسجد في المدينة مجلسا له لمباشرة أعماله " فمن تكلم اليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره أو صغر ولم تأخذه في الله لومة لائم " (26) وفي آخر النهار يتصل بالامام ليخبره عن أحوال الرعية واحداث اليوم فاذا كان الصباح أخبره بأنباء الليل .

(23) ابو زكريا كتاب سير الأئمة وأخبارهم تح اسماعيل العربي ط 2 ،1982 ص: 118.

(24) تولى الوزارة في عهد أخيه ابي بكر الذى تنازل عن الامامة لأبي اليقظان بعد أن حكم سنتين خلفا لأبيه أفلح . توفي أبو اليقظان سنة 281م بعد 27 سنة من الحكم راجع سيرته في: تاريخ ابن الصغير ،ص: 64 ص: 74-89 ، طبقات الدرجيني ج2 ص83 ،ص: 84. سير الشماخي ص: 221- 222. الأزهار الرياضية ج 2 ص: 237 .

(25) محمد على دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ج3 ، ص: 568 .

(26) ابن الصغير تاريخ الأئمة الرستميين تح د / محمد ناصر وأ / بحاز ابراهيم ص : 64 .

هكذا كانت سيرة الوزير الاباضي وهي ماينبغي أن تكون عليه، وقد لايقدر الوزير الواحد على هذه الأعباء فللامام أن يتخذ أكثر من وزير واحد (27) ان احتاج اليهم .

ثالثا: القاضي .

من المفروض أن يتولّى الامام مهمّة القضاء بنفسه، لكن حيث أنه لايستطيع ذلك نظرا لاتساع الحوزة وارتفاع الكثافة السكانية وكثرة مايحدث بين الناس من خصوم ومنازعات فانه يتعيّن عليه تولية غيره لمنصب القضاء، وهو من أكبر المراكز الادارية في الدولة (28) فاذا لم يكف واحد عيّن أكثر من قاض حسبما تقتضيه المصلحة العامّة، فيجعل على رأسهم قاضيا عاما تسند اليه مهمة قاضي القضاة وهي الاشراف العام على النشاط القضائي وتولية القضاة في الأماكن البعيدة بتكليف من الامام، وفي الغالب يساعده جماعة من العلماء يشكلون مجلسا قضائيا أعلى يتولى البث في القضايا بعد الاستئناف، ويعمل هذا المجلس تحت اشراف الامام . وللامام أن يعزل القاضي متى شاء يقول ش اطفيش " ولو بدون سبب، فاذا عزله انعزل ، ولكن لايجوز أن يعزله لهوى نفسه أو عبثا " (29) .

---

(27) Gerard Dangel , L'Imamat Ibadite de tahert , P:114

(28) مهدي طالب هاشم ،الحركة الاباضية في المشرق العربي ط 1 ،بغداد 1981 ص: 249، أنظر كذلك :

Gerard Dangel , L'Imamat Ibadite de Tahert...P:116

(29) محمد اطفيش شرح النيل ،ج 13 ، ص: 13 ، وهنا يعترض أ/ محمد شرباالحاج على عزل القاضي بدون سبب، ويرى أن الصواب في منع العزل الاّ بموجب شرعي لازم . (مقابلة شخصية ،القرارة صيف 1984)

ويشترط ش اطفيش في القاضي أن يكون: " عادلا ،عالما ،فطنا ،عــدلا وتتضمن العدالة : الحرية والاسلام والبلوغ والعقل وعدم الفسق ،ولا ينبغي أن يكون أعمى ولا ضعيفا لايقوم بأمور المسلمين " (30) أما الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فيحدّد شروط القاضي أو المفتي في خمس خصال لابد منها فاذا نقصت واحدة كانت وصمة في الامام فلا ينبغي لــه أن يقضي والخصال الخمسة هي : (31)

1ـ أن يكون عالما بما مضى من الكتاب والسنة فانه لايستقيم أن يكون صاحب رأى ليس له علم بالسّنة والآثار والاحاديث .

2ـ كاف عن أربع يعني :

أـ ألاّ يرتشي .

ب ـ حليم عن الخصم يعني يتحلمَ عن الخصمين وان تصاخبا وتشاجرا بين يديه.

جـ ـ مستخفّا بالأئمة ،يعني الاّ تأخذه في الحق لومة لائم .

د ـ مشاورا لذوى الرأى والعقل والعلم . (32)

والواقع أن شروط اختيار القضاة والولاة والجباة هي نفس شروط اختيار الامام " فلا ينبغي أن يستعمل على القضاء الاّ الموثوق به في مثل صفة الامام في صلاحه وورعه وفقهه وفهمه وعقله وعلمه بالكتاب والسّنة والآثار ووجه الفقه الذى يؤخذ منه القياس والرأى ". (33)

---

(30) محمد اطفيش : شرح النيل ،جـ 13 ،ص: 18 .

(31) ملخصة من رسالة الامام عبد الوهاب الى أهل طرابلس، ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام ، (مخ) نسخة ش ناصر المرمورى ص: 28 و 29 .

(32) تشبه هذه الشروط ما اشترطه الخليفة عمر بن عبد العزيز في القاضي . انظر: ابن عبد ربه : العقد الفريد ،ط3، دار الكتاب العربي بيروت ،جـ1 ص: 84.

(33) رسالة الاسلام عبد الوهاب ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) ص: 28.

أما مهام القاضي وصلاحياته فتتلخص فيما يلي :

1ـ الفصل في النزاعات، والحكم بين الناس بالكتاب والسّنّة واقامة حدود الله بتفويض من الامام، وردّ المظالم الى أهلها .

2ـ النظر في الدماء والجروح، ومايتلف من أموال المسلمين .

3ـ النظر في أموال اليتامى والمجانين، وتعيين الأوصياء لهم .

4ـ النظر في الاحباس، وتقسيم التركات، وتنفيذ الوصايا .

5ـ عقد نكاح النساء اللائي لاوليّ لهن .

6ـ النهي عن المنكر بالقول وبالفعل، والنظر في مصالح العامة .

ويبد أن الشعب في الدولة الاباضية كان له حق اختيار القاضي مثلما يحق له انتخاب الامام، فالمصادر التاريخية تشير الى أن الخاصة من الناس كانوا يقترحون على الامام تنصيب القاضي الذى يختارونه من بينهم . ولعل من أشهر القضاة في الدولة الرستمية كان محمد بن عبد الله (34) وقبله محكم الهوارى الذى اختاره قومه للقضاء فألحّوا عليه ليقبل المنصب فقالوا له : "انك ان خالفتنا أجبرناك وان أطعتنا شكرناك ..." (35) ولما رضي نزولا عند رغبتهم تمّ توليته رسميا من طرف الامام أفلح بن عبدالوهاب لمنصب القضاء .

---

(34) هو أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ ولي القضاء في عهد الامام افلح بن عبد الوهاب قال فيه ابن الصغير : " فلم يزل قاضيهم .... يحسن السيرة فيهم ويأمر بأمر أبي اليقظان وينهى الى نهيه لاتأخذه في الله لومة لائم ." وله مواقف مشرفة في القضاء . انظر : ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ص: 78 .

(35) م .س، ص: 50 .

والقاضي يباشر أعماله في مكان خاص يدعى دار القضاء (36) مجهز بكل ما يحتاج اليه، ويعين له خادما وكاتبا، كما يخصص له الامام مرتبا سنويا من بيت المال لقوته .

رابعا: الولاة

الولاة هم نواب الامام في النواحي التي يشرفون عليها، وحيث أنهم كذلك فينبغي أن يكونوا في مستوى الامام من حيث التأهل والكفاءة سواء من الناحية الجسمية أو الخلقية أوالفكرية ولذلك يؤكد الاباضية على أن " القول في أحكام الوالي كالقول في احكام الامام . وأن القول في جابي الزكاة كالقول في الامام " (37) ولاينبغي للامام أن يحابي قرابته على غيرهم، وحرام عليه تعيين أبناء أسرته في مناصب الدولة ويغفل عن الاكفاء من أبناء الشعب، يقول (ص) "من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمّر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله" (38) ويقول في حديث آخر " من استعمل رجلا من عصابة (جماعة) وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين " (39) واذا حدث أن ولى الامام عاملا ظالما فانه يستتاب مع اصلاح ماأفسد والآيحارب ويعزل .

وعلى الامام مراقبة ولاته وجباته، ومحاسبتهم في أعمالهم بل حتى في ممتلكاتهم، تطبيقا لمبدأ : " من أين لك هذا ؟)، فلا يحق للوالي قبول العطايا الآ ان كانت من الامام جزاء له على حسن سيرته ." أما العطايا

(36) م . س ، ص: 51 .
(37) عمرفاروق ، التاريخ الاسلامي ص50 نقلا عن الصائفي كنز الاديب . ص93ب .
(38) رواه الحاكم ، عز الدين بليق منهاج الصالحين ، ص: 432 .
(39) رواه الحاكم ، م . س ، ص: 432 .

الدارة ـ المرتب المعلوم ـ فهي لصاحبها عمل أو لم يعمل ولعقبه من بعده وان لم يكن له عقب فلمن يوصي به من بعده " (40) فان عف الوالي عن العطايا فليس لأمير المؤمنين منفشي ً (41)، وقد يؤمر الوالي بانجاز مشروع فيكتتب مالا لها، وجب عليه حينئذ تنفيذ المشروع والاّ أعاد المال الى بيت المال، وفي حالات أخرى يقول الوارجلاني على سبيل المثال: " وان اكتتب في غزوة وتخلف عنها بعدما أخذ عطاءه فان لأمير المؤمنين معاقبته " (42) ويمضي الوارجلاني في بيان حكم الأموال الحاصلة للولاة . خاصة بعد انتهاء حكم السلطان من غير الاباضية فان اقتطع هذا للولاة شيئا من أراضي الفيئ " فان لهم أن يأخذوه وينتفعوا به ولو حاباهم بذلك دون نظائرهم أو دون أهل الصلاح فذلك لهم قطيعة ـ هبة ـ لا كما فعل عثمان بمروان بن الحكم وبما حاباه في أمر الخمس " (43) أمّا الفيئ (44) فيجوز لجميع المسلمين الأكل منه بأفواههم ولا يتخذون منه خبيئة مادام وقفا لم يدفعوه لأحد .

والذى نستفيده من هذه النظم الدقيقة وغيرها أن الاباضية يستشعرون بروح المسؤولية القيادية ويتحرّون العدل والقسط سواء في الحكم بين الناس أو في توزيع الثروات المشاعة بينهم . فالمسؤولية في كل ذلك موزعة

---

(40) الوارجلاني : الدليل والبرهان ج 3 ص: 57 .

(41) م . س ، ج 3 ، ص : 57 .

(42) م . س ، ج 3 ، ص: 57 .

(43) الوارجلاني : الدليل والبرهان ج3 ص55 . يستثنى حالة عثمان لأن الخمس من حق المسلمين .

(44) الفيئ هو ما يغنم من الاموال . ويعنى هنا المنتوجات الزراعية من أراضي الغنائم .

بين أعضاء الحكومة ابتداء من الامام ومستشاريه والولاة والقضاة، الى السعاة والجباة بل حتى افراد الشعب فالكل راع وكل راع مسؤول عن رعيته -كما قال (ص).

خامسا : الحسبة والشرطة .

تقتضي طبيعة المعاملات التجارية والنشاط الاقتصادي وكذا الحركة اليومية للسكان وجود تنظيم يتولى الاشراف على هذا النشاط الانساني في المدينة، وهو ما يعرف بنظام الحسبة، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (45)، اعتمدته الدولة الاباضية وطوّرته ووجهته لصالح أعمالها، قوامه شباب متحمّس، ورجال أكفاء، ينخرطون فيه عن طواعية (46) يقومون بأعمالهم بالتناوب ليلا ونهارا خدمة لدولتهم .

ماذا يشترط في رجل الشرطة ؟

ينبغي على الأئمة وولاتهم أن لايختاروا لشرطتهم الاّ "الرجال العقلاء الامناء المثقفين المخلصين ذوي الحزم واللطافة، لايعنفون فيذلون الشعب، ولايضعفون فيتمرّد عليهم، (...) يطبقون قانون الدولة على الناس لا يحابون أحدا ولايستثنون انسانا ..." (47)

---

(45) حول نظام الحسبة انظر: مقدمة ابن خلدون، الماوردي: الاحكام السلطانية، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير ج3 ص: 362 موسى لقبال: الحسبة المذهبية، ص: 16 .

(46) يرى أ/ محمد دبوز أن الشرطة الرستمية لايتقاضون أجرا بل هم متطوعون ولذلك سمي النظام بالحسبة لاحتساب الأجر عند الله انظر تاريخ المغرب ج3، ص: 361 .

(47) محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص: 363.

ويستحسن أن يكون الشرطة من الوافدين على المدينة الذين جاؤوا من نواحي أخرى من الدولة حتى لاتكون لهم عشائر يحابونها ولا أقرباء كثيرين ينحازون لهم ، وهذا مايشير اليه ابن الصغير في تاريخه حيث يقول : " وكانت نفوسة (48) تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق " (49) وفي موضع آخر يقول : " وجل من كان عندنا في البلد من نفوسة يتسمون بهذا الاسم " (50) اذن فرجال الحسبة والشرطة في عاصمة الدولة الرستمية تيهرت كانوا أجانب وأغلبهم من جبل نفوسة .

مهام الشرطةوالحسبة :

يتسع مجال نشاط الشرطة باتساع البلدة وكثرة مواطنيها ، وبحسب ما تقتضيها الضرورة ، ويمكن تشبيه الحسبة ومهامها بالحماية المدنية في عصرنا ، وأعمال الشرطة ـ الحالية ـ والدرك الوطني من حيث نوع المهام التي تقوم بها وطبيعة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها للمواطنين كمحاربة الآفات الاجتماعية ، وحفظ الأمن الداخلي ، فضلا عن مهام اللجان الصحية ، ومراقبي الاسعار ، ومنظمي الحركة التجارية في الاسواق ...

وفيما يلي بيان المهام الاساسية للشرطة :

1ـ المحافظة على الدين والاخلاق ، تنفيذا لتعليمات السلطة . فتجوب أنحاء البلدة بحثا عن العصاة والمتمردين ، وتمسك على تاركي الصلاة ،

---

(48) هي نفوسة الجبل بالمغرب الادنى (ليبيا) لا نفوسة المغرب الاوسط غرب تيهرت

(49) ابن الصغير ، تاريخ الأئمة الرستميين ، تح د / محمد ناصر ، أ / ابراهيم بحاز ص: 54 .

(50) م . س ، ص: 38 .

وآكلي رمضان ، وشاربي الخمر ، فتقودهم الى الامام لينفذ حكم الله فيهم (51) .

2- مراقبة الاسواق . فتنهى عن الغش والاحتكار وزيادة الاسعار، فان تحققت من تاجر يخدع ، أو بائع يغش، قمعته وانزلت عليه ما يستحقه من عقوبات (52)

3- اعانة المواطنين في قضاء مآربهم، ومساعدة الضعفاء في شؤونهم، وتهدى الضال ، وتغيث الملهوف ، وتقود الأعمى ، وترشد الغريب .

4- الاعتناء بالنظافة العامّة وتحريض المواطنين عليها . فتأمر أهل الحي بازالة القذى (53) واماطة الأذى وتعودهم على تنظيف دورهم وكناسة شوارعهم ، وعدم الاتكالية والانانية .

5- مراقبة المقاييس والاوزان عند التجار، ومراقبة البضائع المعروضة للبيع للتأكيد من سلامتها ، ومراقبة العملة المتداولة للتأكيد من صحتها وعدم تزييفها . (54)

6- يهتم المحتسب " في بيع الاماء والامهات، بالاستبراء والمواضعة للمحافظة على رؤوس الاموال وبعثا للثقة في النفوس " (55)

7- مراقبة الصناعة " لضمان سيرها ولتحقيق العدل والتفاهم بين أرباب الصناعة وصبيانهم ولمنع الغش في المصنوعات أو ادخال ماليس منها، ولمنع انتاج

---

(51) محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج 3 ص: 363 .

(52) م . س، ص: 362، نقلا عن ابن الصغير، يقول أ/ ابراهيم بحاز : " لايشير ابن الصغير الى نوعية العقاب أهو جسماني أومالي " انظر: ابراهيم بحاز الدولة الرستمية ص: 248 .

(53) ابن الصغير، تاريخ الأئمة الرستميين ، ص: 77.

(54) موسى لقبال، الحسبة المذهبية ...ط1،ش.و.ن.ت الجزائر 1971م ص: 70 .

(55) م . س ، ص: 70 .

المصنوعات المحرمة " (56) كتحضيــر السموم .

8 ـ رعاية الحيوان وحمايته والرفق به ،فان رأى الشرطة " دابة حمل عليها فوق طاقـتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها " (57) وان رأوا قطّـا بائسا مهملا أمروا صاحبه بالعناية به، واذا كان مجهول الدار نـقـل الى حيث يطعم " (58) وكذا يفعل بالكلب المهمل .

9ـ حماية المواطنين من الآفات والجوائح والكوارث،وكل مايضرهم ومنهـا مراقبة الابنيـة ،فان رأت الشرطة " بنيانا يتداعى أخلته من سكانه وأمرت أصحابه بهدمه " (59) وان رأت حريقا أخمدته .

10ـ السهر على توفير الراحة للمواطنين ، ومنع كل ما يـقلق راحتهم،" فاذا أنشأ أحد في وسط المدينة صناعة تضر الحي والجيران بأوساخها أو نتنهـا أو عجيجها منعوه، وعينوا له مكانا لصناعته خارج المدينة مع أهـــــل حرفتــه " . (60)

تلك هي الحسبة (61) والشرطة التي اعتمد عليها الأئمة الاباضية فـــي تسييــر شؤون الدولة ومراقبة الرعية وقد نشط هذا التنظيم بشكل أوسع في

---

(56) موسى لقبال : الحسبة المذهبية ص: 71 نقلا عن .أحمد بن سعيد : التسيير في أحكام التعسير .

(57) ابن الصغير ، تاريخ الأئمة الرستميين ،ص: 77 .

(58) محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير ،ج 3 ص: 363 .

(59) م . س ،ص: 363 .

(60) م . س ،ص: 363 .

(61) للمزيد من التفاصيل عن الحسبة انظر :

Chikh Bekri , Annales de L'Institut d'etudes Orientales ,Alger 1957 , tome 15, P.P: 71-72

في عهد الامام أبي اليقظان (62) وهو تنظيم اسلامي تطوّر عبر مراحل التاريخ الاسلامي ، ولا يختلف كثيرا بين دولة وأخرى .

ساد سا : الجيش :

من أغرب ما نجده في الفكر السياسي الاباضي أن الامام لايحتاج الى جيش نظامي دائم ، وعلى أهبة الاستعداد . وقد يبدو لأول وهلة أن هذا المبدأ مثالي الى حدّ بعيد ، لكن اذا علمنا أن الحكم الاباضي يقوم على الديموقراطية وحرية النقد وكفالة الحقوق الانسانية ، فاننا لا نستبعد وجود علاقة حميمة جدّا تربط بين الحاكم والمحكوم هذه العلاقة الطيبة تفرض آليا على المواطن مساعدة امامه ونصرته وتأييده واخلاص الطاعة له . وأكثر من ذلك الاستماتة في الذّود عنه وحمايته من كل مكروه ، وامام هذه الحالة لايكون الامام ملزما باتخاذ الجند وتنظيم الجيش (63) لانه ليس في حاجة الى حماية عسكرية ما دام آمنا .

من أجل ذلك كلّه لم يهتم الاباضية بتنظيم الجيوش ، ولم يروا ضرورة في حماية الامام والمدينة بالقلاع والحصون والاسوار .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يرى فقهاء الاباضية أن وجود الجيش المسلّح في الدّولة تحت قيادة الامام " خطرا على المجتمع لأنه يؤدى الى فرض سلطة ديكتاتورية جائرة يمارسها الامام معتمدا على الجيش " (64) وبهذا

---

(62) أبو اليقظان بن محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي (261هـ 281هـ) انظر ترجمته : ابن الصغير تاريخ الأئمة ص: 77 . الدرجيني طبقات .. جـ 1 ص : 83 .

(63) Pierre Cuperly , Introduction à l'etude de l'Ibadisme, P:293

(64) عمر فاروق التاريخ الاسلامي ...ص: 53 .

يتحول نظام الحكم من دولة ديموقراطية عادلة الى دولة ديكتاتورية مستبدة .
ومن أجل هذا أصر الاباضية على " ضرورة حل الجيش وتفرقه بعد كل معركة " (65) .

اذن فمبدأ الاستغناء عن الجيش النظامي في الدولة الاباضية ينبع من أصل نظرى ليأخذ بعد سياسيا ، وحيث أنه كذلك فان التجربة العملية أثبتت حقيقتين مختلفتين تمام الاختلاف ، وهما :

1- نجاح المبدأ في تحقيق الهدف المرجو منه والمتعلق بتطبيق ديموقراطية السلطة ، واقامة العدل بين الناس ، وهذا مانجده في تاريخ الدولة الرستمية ، وغيرها من الدول الاباضية .

2- عدم صلاحية هذا المبدأ من حيث افتقار الدولة الى قوّة عسكرية ومنظمة تنظيما حسنا مستعدّة للدفاع عن أمن الدولة في أى لحظة ، وهذا ما كانت عليه الدولة الرستمية . ونتج عن سقوطها في يد العبيديين (الفاطميين) بسبب العجز عن الدفاع عن نفسها لعدم وجود جيش نظامي دائم .

لكن هذا لايعني أن الدولة الاباضية مفتقرة تماما الى جيش يحميها من الأعداء سواء من داخل الدولة أو خارجها ، فالمصادر الاباضية تشير الى أن الجيش في الدولة الاباضية ليس حكوميا بمعنى أن الدولة لم تجهز قوّة عسكرية موحّدة وانما الجيش فيها يتكون من مجموعة جيوش كل واحد ينتمي الى قبيلته " وكانت كل قبيلة تسلّح نفسها وتستعدّ للحرب لتجيب داعي الامام اذا استنفرها ودعاها لحروبها المشروعة" (66) واذا انتهت

---

(65) م . س ، ص: 53 .

(66) محد على دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج3 ، ص: 366 .

الحرب ووضعت أوزارها تفرق الجنود ورجع كل جيش الى قبيلته وهكذا تتولى كل قبيلة تسليح نفسها وتتكفل بتدريب جنودها على أساليب الحرب وتعلم فرسانها فنون القتال ، استعدادا ليوم الكريهة .

ونظرا لعدم صلاحية هذا المبدأ في ضمان استمرار التواجد الاباضي تنازل هؤلاء عن المبدأ ، " وهذا مايلاحظ بوضوح في مرحلة الدفاع والشراء " (67) وهذا ماجعل الشيخ اطفيش يرى ضرورة انشاء جيش نظامي يتولى الامام بنفسه مراقبته والاشراف عليه ، لكن يحسن له أن يعين عليه رئيسا ، يتولى قيادة الجيش . ونظرا لأهمية هذا المنصب فانه ينبغي للامام أن يختار من بين رجاله الأكفاء واحدا يفوقهم تأهلا وخبرة ، ويصف الشيخ اطفيش قائد الجيش فيقول : " أن يكون ذا بسالة ونجدة ، وجرأة وشجاعة ، ثابت الجنان ، صام القلب ، رابط الجأش صادق البأس ، قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ، ونازل الاقران ، وقارع الابطال ، عارف بمواضع الفرص ، خبير بمواقع القلب (68) والميمنة والميسرة من الحروب . وما الذى شحنه من الابطال والحماة من ذلك . بصير بصفوف العدو ومواقع الغرة منه ، ومواضع الشدة منه " . (69)

فاذا كان القائد على هذه الصفات والخصال كان الساعد الأيمن للامام ونال الصدارة في قلبه فيصبح رأيه نافذا لحذقه وخبرته ، ويكون للجميع خير قدوة بسيرته المحمودة وخصاله المشكورة .

---

(67) Pierre Cuperly ,Introduction à l'etude de l'Ibadisme,P:293

(68) يقصد بالقلب المواقع الوسطى في الجيش الواقعة بين الميمنة والميسرة .

(69) محمد اطفيش شرح النيل ، ج 14 ، ص: 284 .

أما مهام القائد فتتركز أساسا على استتباب الامن واستقرار أحوال البلاد والدفاع عن حمى الوطن ، ولذلك يجب عليه تدبير الامور بحزم ، وبكل جدّية ، ويتصرف بحكمة ودهاء حتى ولو اقتضى الامر الى استعمال الحيلة والمراوغة . وهنا يصور ش أطفيش حالات من المراوغة وأساليب الحيلة وخدع الحرب يجوز للقائد الالتجاء اليها في أوقات الحرب ، من هذه الحيل مايلي : " يبث جواسيسه في معسكر عدوّه ، ويستعلم أخباره ، ويستميل رؤساءهم وقادتهم وذوى الشجاعة منهم ، ويدس اليهم ، ويعدهم وعدا جميلا ، ويوجه اليهم ضروب الخدعة (...) وينشئ على ألسنتهم كتبا مدلسة اليهم ويبثها في عسكرهم ويكتب في السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم ، ويضرب بينهم فيما فيه الشر من ذلك " (70) وما الحرب الآخدعة .

---

(70) محمد اطفيش ، شرح النيل ، ج 14 ، ص: 285 .

الخاتمة

وبعد ، هل استطاع الاباضية تحقيق المجتمع العادل وفق المبادئ المنشودة والتنظير السياسي القائم على تاكيد الحرية في القول و الفعل و الديمقراطية في نظام الحكم ؟

اما عن اختيار الامام - وهو الميدان الذى يكشف، بحق درجة ممارسة الديمقراطية - فمن الملاحظ ان الامامة في الدولة الرستمية - مثلا - (1) لم تخرج عن الاسرة الفارسية ، اذ بقيت تنتقل بين افرادها ،على ان الانتقال لم يكن بالمعنى الضيق للوراثة ، بان ياخذ الابن الامامة عن ابيه ، ومع ذلك فالوراثة بقيت في آل رستم (2) مما (غلب مبدأ الوراثة على مبدأ الاختيار و الشورى بصورة طبيعية الى حد كبير بالرغم من تحمس الاباضيين لمبدئهم وانكارهم على غيرهم الاخذ بمبدأ الوراثة في ولاية امور المسلمين) (3) .

وهذا مما جعل الباحثين ومؤرخي الدولة الرستمية يعتبرون نظام الحكم فيها اقرب الى الملكية منه

---

(1) اخترنا الدولة الرستمية كمثال واقعي يعرض بحق نموذجا للتجربة الاباضية في نظام الحكم ، واقامة دولة مستقلة ذات سيادة .

(2) رشيد بوريبة ، الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، ص 76 .

(3) حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص 104 .

الى الجمهورية (4) بل ويسمون الدولة الرستمية بمملكة تاهرت (5) .

فالتجربة الاباضية - كما يرى حسين مؤنس (معاصر) - لم توفق الى تحقيق المثل الاعلى للحكم الذى كانت تتصوره ،غير انه يؤكد في الوقت نفسه ان الحكم الاباضي في اقليم تاهرت كان حكما عادلا ، وان احوال الملل في مجتمعهم كانت اسعد بكثير من احوالهم في ظل غيرهم من حكام المغرب المعاصرين لهم (6) وهذا نتيجة الاخذ بمبدأ الحرية العامة الذى ما كان يتمتع به المواطن خارج الدولة الاباضية ،هذه الحرية وان كانت مقيدة نسبيا يمكن تلخيص بعض مظاهرها فيما يلي (7) :

1 - تواجد مختلف القوميات من بربر و عرب وفرس والديانات السماوية بمختلف مذاهبها ، نتيجة للانفتاح على العالم الخارجي وهذا لا يتحقق الا بانتهاج سياسة حرية التعايش مع الآخرين .

---

(4) جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص 52 .
(5) انظر : رشيد بوربية ، الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، ص 76 / كذلك الفرد بيل ،الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ص 49 / ايضا : اسماعيل العربي في تعليقه في كتاب السير لابي زكرياء اثناء تحقيقه له ،ص 19 . / ابراهيم بحاز ، الدولة الرستمية ، ص 117 ، وايضا

Chikh Bekri : Le Kharijisme Berbere .

(6) حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص 105 .

2 - عقد حلقات البحث والمناقشة بين مختلف الفئات ، خاصة بين الاباضية والواصلية والمعتزلة وسائر الفرق بالمغرب • (8)

3 - تكريم الاباضية للائمة السنيين وغيرهم ممن كانوا يدعون للمناظرة والمناقشة (9) في جو تسوده الحرية الفكرية (10) •

4 - ازدهار الحياة الفكرية جنبا الى جنب مع الحياة الاقتصادية (11) مع التحكم في الحركة التجارية ومراقبة الاسواق مما يدل ان الحرية الاقتصادية موجهة لضمان نجاح الخطة الاقتصادية للامة •

ويمكن القول بناء على ما تقدم ان الحكم في الدولة الاباضية يقوم على ثلاثة مبادئ اساسية هي =

اولا = مبدأ الحرية والمساواة لتحقيق العدالة الاجتماعية وفق التعاليم الشرعية للدولة الاسلامية •

ثانيا = مبدأ الديمقراطية المقيدة ويتولاها الحاكم بمعية العمال ومجلس الشورى والعلماء والمسلمين عامة ، فالحاكمية شعبية مقيدة تحت سلطة الله القاهرة لان الحاكم الحقيقي هو الله والذين

---

(7) جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص 55 •

(8) البرادى ، الجواهر المنتقاة فيما اخل به صاحب الطبقات ، مخ غير مرقم

(9) ابن الصغير ، اخبار الائمة الرستميين ، ص 102 •

من دونه انما رعايا في سلطانه العظيم ، ومن هنا كانت الديمقراطية مقيدة ، بينما المطلقة يكون الحكم فيها للشعب الذى يشرع ويقنن حسبما يراه عقول الناس ، وهذا ليس من الاسلام في شئ .

ثالثاً = مبدأ القوة كوسيلة لتحقيق الغايات الاساسية للدولة والقوة - هذه - قد تشتد فتستخدم الوسائل المادية للزجر و الردع وقد تكتفي بالجانب المعنوى للقوة كاستخدام النفوذ الاجتماعي و الرأى العام و يتجلى دور القوة أكثر في الميادين التالية =

1 - المنع من العدوان ، اما خارجي بالدفاع عن الدولة ومكتسباتها ، واما داخلي باطفاء الفتن واصلاح ذات البين وتوفير الامن بين المواطنين .

2 - ازالة الشر من جذوره ، ومحاربة الآفات الاجتماعية ، وتغيير المنكر بالوسائل المتناسبة ، عملا بمبدأ " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " .

فعلى الحاكم اذن تسييس الرعية وحمل المواطنين على الطاعة بالحزم والعزم ورباطة الجأش ، مع الحنكة السياسية واستخدام وسائل التربية والاستعانة بالرأى العام والنفوذ الاجتماعي حسبما تقتضيه

---

(10) الفرد بيل ، الفرق الاسلامية ،ط 2 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت 1981، ص 149 .

(11) حول الحياة الفكرية والاقتصادية ،انظر ابراهيم بحاز ،الدولة الرستمية .

الظروف والاحوال ،فان استقامت له الامور فذلك ،والا فالقوة افيد ، والزجر والردع انسب لتذليل المستعصيات وحل المشاكل ، وهذا ما دأب عليه الائمة الرستميون اقتشاء لمصلحة الدولة ،ولنأخذ سيرة الامام عبد الوهاب (168 ـ 208 هـ / 784 ـ 823م) على سبيل المثال فنجدها تتسم بالقوة والصرامة والحرص على التحكم في الاوضاع وفرض السلطة الزاجرة اذا اقتضى الامر ،لكن ليس بالمفهوم الديكتاتورى ،كما يرى أ/ جودت عبد الكريم (معاصر) فهو يبالغ في حق الامام عبد الوهاب حين يصف سياسته ، بالمكيافيلية (12) لانه مهما اعتمد الامام عبد الوهاب على القوة والصرامة فانه لا يبلغ سياسة الميكيافيلية التي تقوم على احتكار السلطة ولو على حساب الدين والاخلاق الانسانية والقيم العليا ، فهذا لم يحدثه الامام عبد الوهاب ولا غيره من الائمة الرستميين ، بل كانوا ملتزمين دوما بالنهج الاسلامي ومحافظين على التعاليم الدينية ، مع اننا لا ننكر سياسة القوة

(12) يقول أ/ جودت عبد الكريم = ((يبدو ان حرص عبد الوهاب على امامته قد نزع عنه ثوب الورع والمثالية ، فكان ميكيافيلي النزعة لا يتريث في ضرب الرؤوس ببعضها والاعتماد على سياسة "فرق تسد")) وعلى استقطاب القبائل بالهبات والاكرام ...)) العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص 64 .

التي ربما اعتمد عليها امام رستمي في حالة الضرورة وذلك ما يشير اليه مؤرخ الدولة الرستمية ابن الصغير (ق 3 هـ) فقد سلك الامام افلح بن عبد الوهاب (208 ـ 258 هـ) نهج والده في ادارة شؤون الدولة ، فاعتمد على سياسة القوة للتحكم في زمام السلطة خاصة لما ازدهرت الدولة في ايامه وبلغت شأوا عظيما من الرقي الحضاري ،حتى خاف من اجتماع القبائل عليه لازالة ملكه ، فعمد الى ضرب القبائل بعضها ببعض ((فأرش بين لواته وزناته ، وما بين لواته ومطماطه وما بين الجند والعجم حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب ، وصارت كل قبيلة ملاطفة للامام افلح •••)) ، (13) ومهما يكن من امر الامام عبد الوهاب او افلح او غيرهما من الائمة الاباضية فان العبرة بالمواقف

---

(13) ابن الصغير ، اخبار الائمة الرستميين ، ص 55 ، يعلق د / محمد ناصر وأ / ابراهيم بحاز على قول ابن الصغير بانه (امرخطير وهو اتهام الامام افلح بسياسة فرق تسد) ،وواضح من كلماته الاخيرة انه يستبعد مثل هذه السياسة عن الامام افلح ولا يريد ان يتحمل المسؤولية ،لذلك يقول =((••• فيما قالوا ،والله اعلم فيمن رأى ذلك)) وانظر وداد القاضي ،ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الاصالة ،عدد 45 ، ص 44 • ورد هذا التعليق في هامش= اخبار الائمة الرستميين ، لابن الصغير ، تحقيق وتعليق د / محمد ناصر وأ / ابراهيم بحاز ، ص 55 •

المشرفة في ممارسة الحكم التي تنم عن علو الهمة والكفاءة العالية والحنكة السياسية في تدبير شوون الدولة سواء اكان باللين واللطف اوالقوة والصرامة في حدود الشرع ولكن ليس بالحيلة والعنف وفق السياسة الميكيافيلية - كما يرى أ/جودت عبد الكريم - ،ثم ان العبرة الجديرة بالتنويه ان القوة ان استخدمت لصالح الدولة فانها لم تكن في معزل عن الديمقراطية لان القوة في غياب الحرية والديمقراطية معناها ، ديكتاتورية الحكم ،وهذا لم يحدث في دولة اباضية في مشرق الامة الاسلامية اومغربها .

هذه نظرة حول طبيعة الحكم لدى الاباضية من الناحية العملية ،اما من الناحية الفكرية فان الملاحظة الاولى تثبت بوضوح ان الاباضية لم يكونوا منظرين في السياسة بقدرما كانوا واقعيين عمليين ولذلك يندران نجد مؤلفا خاصا لموضوع الحكم لدى المفكرين الاباضيين مثلما نجد مؤلفات كثيرة في السياسة للفارابي ، والماوردى ، وابن ابي الربيع ،والمهدى ابن تومرت وغيرهم ، ولذلك جاءت معظم الآراء السياسية عند الاباضية موزعة بين الموضوعات الفقهية والاصولية والاخلاقية ، وتتضح لنا هذه النظرة من خلال شخصية الشيخ اطفيش الذى ركزتا هذه الدراسة على آرائه السياسية

فهو لم يترك لنا كتابا خاصا في السياسة وانما تعرض لهذا الموضوع اثناء معالجته للمسائل الفقهية والاصولية والكلامية ، والموضوعات ذات الطابع الانساني والاجتماعي بصفة عامة . ولعل السبب في ذلك ان القطب لم يكن فيلسوفا او مفكرا سياسيا بل كان فقيها وعالما في العقيدة واصول الدين ، وهذا لم يمنعه من الاهتمام بالمسائل السياسية ، فقد دلت آثاره على اطلاعه الواسع في مجال الفكر السياسي ، و وعيه بنظم الحكم السائدة في عصره وما قبله .

والسبب الآخر ربما يعود الى ان القطب - كغيره من علماء الاباضية - لا يرى الى السياسة كعلم مستقل بذاته قاصرا على موضوع الحكم ، بل السياسة عنده جزء من حياة الانسان الزاخرة بانواع عديدة من الانشطة المتكاملة ، حيث لا يمكن الفصل بين وجوه النشاط الروحي والاخلاقي والاجتماعي والسياسي والعلمي والاقتصادى ... ومن هنا ندرك حتمية الربط بين الدين والدنيا . وهذا الربط لا يتحقق الا بواسطة الدولة اوعلى الاقل تنظيم يعهد للخاصة ليتولى القيادة ورعاية شؤون العامة .

ومن هنا نستطيع فهم وجهة القطب السياسية حيث لم يذهب مذهب الفارابي الفلسفي الذى استقى

من الافلاطونية البعد المثالي في نظام الحكم القائم على مبادئ نظرية عقلية يتعذر تجسيدها في واقع عملي • وانما كان مفهوم السياسة عند الشيخ اطفيش مرتبطا بواقع الانسان المفتقر الى موجه يحدد له معالم الطريق نحو السعادة في الدارين ، وحيث ان الله قد تكفل هذا التوجيه بواسطة شريعة سماوية فلا يبقى للانسان الا الالتزام بها وتطبيقها ولكن ذلك لا يتم الا على يد السلطة في شخص الامام واعوانه •

نتائج البحث

ان الحديث عن الاباضية ذو شجون ، وموضوع البحث بكر وشوق ، فلا ادعي انني الممت بالموضوع واعطيت له حقه من البحث ، فحسبي ان اكون قد فتحت بابا في الفلسفة السياسية الاسلامية جديرا بالاهتمام والدراسة ، آملا من غيري ان يواصل السير في هذا الموضوع

وفي سبيل الخلوص الى نتائج البحث ، يمكن تحديد المعالم الاساسية للفكر السياسي عند الاباضية في النقاط العشر التالية :

اولا – ان اهم ما يتميز به الفكر الاباضي في المجال السياسي نظرية مسالك الدين التي تعبر عن بعد نظر واصالة في التفكير ، وبفضلها يستطيع الاباضية ان يحددوا موقفهم ويضعوا الحلول المناسبة

لكل الظروف التي تعترض سبيل حياتهم ،كما تضمن لهم المحافظة على كيانهم ومؤسساتهم ، واستمرار تواجدهم فكريا وجسديا .

ثانيا = النظرية السياسية الاباضية تقوم على فلسفة سلوكية واقعية في جانبها العملي ،وتشمل العلاقات السياسية والاجتماعية ضمن نظام الدولة الذى يهدف الى غايات اخلاقية انسانية سامية قبل ان تهدف الى غايات مادية دنيوية مجردة من الروح .

ثالثا = الدولة الاباضية دولة عقائدية ، بمعنى تستقي تشريعاتها وتعاليمها من اصول العقيدة الراسخة ، وتعتمد في وضع قوانينها على اصول التشريع السماوى . فليست اذا دولة دينية بالمعنى الاوروبي الحديث حيث يحتكر فيها رجال الدين السلطة فينصبون من الرؤساء من يشاؤون ويحكمون بين الناس بما تهوى انفسهم .

رابعا = تقوم النظرية السياسية الاباضية على مبدأ الديمقراطية كمنهج عام للاتجاه السياسي ، حيث يتحرر الانسان من الخضوع المطلق للوطن او القومية او لفئة معينة متمثلة في السلطة الحاكمة ، والقوة الغالبة ، او لفرد في شخص الملك او السلطان فلا حاكمية الا لله .

خامسا = الامامة الاباضية روحية دينية ، وزمنية دنيوية الحاكم فيها يتمتع بصلاحيات الامامة السياسية في الحكم ورعاية الامة في مصالحها الدنيوية ، ويسعى الى ارضاء رغبات المواطن في حدود ما يبيحه الشرع . كما يتمتع في الوقت نفسه بصلاحيات الامامة الدينية في تنفيذ الاحكام و تطبيق التعاليم الاسلامية خلافا للدولة العلمانية التي تفصل بين الدين وما يتصل به من شعائر و بين الدنيا وما يتعلق بها من مصالح .

سادسا = تهدف الدولة الاباضية في سياستها الداخلية وقوانينها ونظمها ومؤسساتها الى الاصلاح الديني والاجتماعي عملا بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و تجسيدا لمبادئ العقيدة . كما تهدف من سياستها الخارجية الى حماية العقيدة من كل اعتداء ، ونقل دعوتها - ما امكن - الى ما حولها من الامم بالتي هي احسن مع الاحترام المتبادل للافكار و التعاليم المذهبية .

سابعا = الدولة الاباضية دولة انسانية حضارية = انسانية لتقديمها الهدف الاخلاقي الانساني على الهدف السياسي و المادى ، وهي حضارية لاهتمامها بما يخول لها التقدم و الازدهار و الانتعاش الاقتصادى بتشجيع النشاط العلمي و الثقافي ، بعد الاهتمام بحفظ الامن

ثامنا = الدولة الاباضية قائمة على اسس ثابتة بثبوت العقيدة كما انها تتسم في الوقت ذاته بامكانية التطور في اشكالها التنظيمية الخاضعة للاجتهاد واستعمال العقل ، استعدادا للتكيف مع الظروف و التبدل بتبدل الاطوار الاجتماعية المختلفة عبر العصور ، في حدود الشرع ٠

تاسعا = الفكر السياسي عند الاباضية وحيد المنبع ، لم يستق اصوله من الاتجاهات الفكرية المختلفة عدا الاتجاه الاسلامي متمثلا في الكتاب والسنة واجتهاد العلماء ، وعليه فان الاباضية لم يتاثروا بغيرهم عموما ، حتى ولو جاز لنا القول انهم تاثروا بالغير ، فان ذلك من قبيل الاحتمال لا اكثر لعدم توفر الادلة الكافية في ذلك ثم ان مجال التاثر - ان كان - فهو ضئيل جدا لا يعدو ان ينحصر في مسائل كلامية ، وقد اشار د / عمار طالبي (معاصر) الى ذلك في قوله = (ان المؤلف - ابوعمار عبد الكافي الاباضي - الذى درس بتونس في عهد الموحدين الذين تبنوا مذهب الاشاعرة (٠٠٠) لا يبعد ان يكون قد تاثر بمناهجهم وطريقة بحثهم ، رغم انه يخالفهم في اشياء ، لكن ذلك لا يجعله في منأى عن التاثر بهم في الاشياء المشتركة على الاقل) (14) ٠ هذا في الكلام

اما ما يتعلق بالسياسة وغيرها من العلوم فيبدو ان الاباضية - والمتقدمون منهم بالخصوص لم تكن لديهم رغبة في دراستها ، خاصة الفكر اليوناني بمختلف فنونه الفلسفية ، لاعتقادهم ان ما عندهم من علوم اسلامية نقلية وعقلية تغنيهم عن الاستزادة من الفكر اليوناني وفلسفات الشرق والغرب فانطلاقا من هذا التصور يمكن القول ان الفكر الاباضي وحيد المنبع ، اسلامي النزعة ، لم يتاثر بالاتجاهات الفكرية عند اليونان ، وهذا بالرغم من وجود اوجه عديدة للاتفاق بين الاباضية و المعتزلة ذات النزعة العقلية المتاثرة الى حد بعيد بالفكر اليوناني •

عاشرا - يمكن الخلوص الى القول بعد الذى تقدم من البحث ان المساهمة الاباضية في المجال السياسي لم يبلغ مبلغ كل من الفارابي وابن سينا و الماوردى وغيرهم من فلاسفة الاسلام في الفكر السياسي من جانبه النظرى ومع ذلك فان الاباضية قد نجحت الى حد بعيد بان سلمت من الوقوع في الهوة الفاصلة بين التنظير السياسي و التطبيق الميداني ، يشير د /عبد الله شريط (معاصر) الى هذه الهوة التي لم ينج فلاسفة العرب من الوقوع فيها باستثناء

(14) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، ش•و•ن•ت•• ، الجزائر ، ص 225 •

العلامة ابن خلدون الذى يعتبره (...) الوحيد الذى نجا من الوقوع في الهوة السحيقة التي تفصل الدولة النظرية عن الدولة الواقعية) و يضيف د / شريط قائلا = (هذه الهوة التي وقع فيها اخوان الصفاء و الفارابي و الغزالي و الماوردى ، وكل اولئك الذين قال عنهم ابن خلدون انهم تحدثوا عنها من جهة النظر و التقدير و الافتراض وكونوا بهذا الاسلوب ازدواجية فادحة الاخطار في تاريخ المجتمع العربي ، راح يتصور ان من طبيعة الاشياء ان تكون الدولة النظرية شيئا و الواقعية شيئا آخر) (15) وليس من شك ان ظاهرة الهوة نتجت عن الاسهاب في التنظير المجرد و التكديس الفكرى دون ان ينعكس ذلك في واقع معاش يجسد التصور الذهني للمبادئ والتعاليم السياسية .

واذا انطلقنا من هذا المنظور نجد الامر على غير ذلك بالنسبة للتجربة الاباضية في الميدان السياسي حيث تنعدم الهوة نظرا لما تتميز به المبادئ من الواقعية وخلوها من البعد المثالي ، مما جعل تطبيقها امرا ممكنا وتجسيدها عمليا امرا يسيرا .

وفي ختام هذه الدراسة المتواضعة لا يسعنا الا ان نجدد الدعوة للعناية اكثر بالفكر الاباضي ودراسته دراسة علمية موضوعية ، ونحن على يقين ان اى دراسة

منصفة لهذه الفرقة الاسلامية ، ستنتهي الى حقيقة ان الحركة الاباضية منذ نشاتها اجتهدت داخل الاطار الشرعي من اجل تطوير المجتمع الاسلامي ودفعه نحو الافضل ، ولا ادل على ذلك من تعاليمها التي لا تحيد عن النهج الاسلامي ولا تتعدى حدوده ، سواء في المجال العقائدي او السياسي او الاجتماعي • ونحن لا ندعي للاباضية العصمة وبلوغ الكمال ، لكننا نتساءل لماذا غابت عن المؤرخين وكتاب المقالات ومن اعتمد عليهم من الدارسين المعاصرين هذه الحقيقة الواضحة ؟ •

مصطلحات اباضية

الابعاد : او الهجران ، الفاظ تترادف على معنى واحد وذلك متى اجرم واحد من اهل الطريق جرما ، او ظهرت عليه خزية او اتى بنقيصة في قول او عمل او تضييع فانه يهاجره كل اهل الصلاح فلا يكلّم ولا يؤم ولا يؤاكل ولا يجالس ولا يحضر جماعة ، فان تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة ورفعت عنه البراءة ، ويكون بقاؤه في وحشة الهجران بقدر عظم الجرم او صغره ، وتوبة المجرم او اصراره ، فمنهم من يتوب ويرجع في الحال ، ومنهم من يبقى اياما او اعواما او عمره ان عظم الجرم وداوم المجرم على الاصرار ، وترك الاستغفار .

الاسلام : الاسلام هو الدين ، سمي اسلاما لانقياد الملتزم به الى الله تعالى ، والاذعان له ، والتذلل بين يديه واتباع اوامره واجتناب نواهيه . وسمي دينا لانه يدان لله به ، اى يتقرب به الى الله .

اصحابنا : هو الاصطلاح الذى يطلقه الاباضية على انفسهم في الغالب وقد يطلقون " اهل الدعوة " وايضا " اهل الاستقامة" .

امامة الدين : ائمة الدين نوع خاص من الائمة وهم المجتهدون ممن لم يتولى الامارة كجابر بن زيد وابو عبيدة والربيع ابن حبيب وغيرهم في القديم ، وعبد العزيز الثميني والشيخ محمد اطفيش ، حديثا .

اهل الدعوة : انظر (اصحابنا)

الايمان : هو التصديق بالقلب والاقرار بالسان ، يزداد الايمان بقوة النظر الاعتبارى والفكرى والاعمال الصالحة ، وينقص بالغفلة عن ذلك والاعمال المحرمة . والايمان نفسه علم ، لا شك ولا ظن .

البيضة : سميت جماعة الامام بيضة تسمية باسمه لا بسه بيضة البلد ای وحده الذي يجتمع اليه ، ويقبل قوله ، او تقديرا ال...

التسليم : هو الانقياد لامر الله تعالى ، والخضوع له وترك الاعتراض عليه ، وهو الثبوت عند نزل البلاء .

التفويض : هو ترك اختيار ما فيه الخطر ، الى اختيار الخالق العلم بمصالح الخلق ، وقيل هو ترك الطمع .

التقية : هي الفعل المكره عليه ، اما ان يكون قولا او فعلا للاتقاء به عن النفس ، وتتنوع باعتبار ذاتها الى ما يقبل الاكراه عليه والى ما لا يقبل اللاكراه عليه كما تتنوع باعتبار حكم الشارع فيها الى ثلاثة : الاباحة والحرمة ثم الاباحة فيما يباح عند الضرورة .

التلميذ : اسم للواحد المبتدئ عند الدخول في الطريق (الحلقة) سواء كان طالب فنون او مقتصرا على الصلاحية فقط ، واصل هذا اللفظ فارسي .

التوحيد : افراد الله عن الخلق وافعالهم وصفاتهم ، ولو تشابه معهم في اقل قليل لدخل عليه العجز ولاحتاج الى ما احتاجوا .

التوكل : هو الثقة بما عند الله ، والاياس عما في ايدی الناس .

الجمع : او المجتمع او الميعاد ، الفاظ مترادفة على معنى ... وهو ان يجمع الشيخ تلاميذه على وعظ يفيدهم او لتذكر امرهم او لاصلاح فساد او تلافي فوات او امر بمعروف او نهي عن منكر ، مع الاختيار ان يكون ذلك يوم الاثنين والخميس ، ويكون في اى وقت دعت اليه الحال ليلا او نهارا ، وفي اى يوم كان .

الجملة : المقصود بالجملة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان ما جاء به حق من عند ربه يسمي الاباضية هذه الكلمات بالجملة لتعبيرها عن كلمات الايمان المتضمنة لكل الجزئيات ...

يقم الايمان إعتقاديا او عمليا ، ولذلك ينقسم تفسيرها الى جانبين متكاملين : الاول متعلق بالعقيدة كالايمان بوحدانية الله وصفاته ، ورسله وكتبه واليوم الآخر الثاني متعلق بالتطبيق العملي الذى هو الالتزام بكل ما امر الله به ، واجتناب كل ما نهى عنه .

الختمة : اجتماع اهل الطريق (اعضاء الحلقة) لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها ، بشيخ او بغير شيخ ، وكانهم يختمون به عمل الليل وعمل النهار ، كما تقام الختمة على اثر الانتهاء من تلاوة القرآن الكريم كله .

الخوف : توقع حلول مكروه ، او فوات شيء عزيز ، ويصطلح به على الاشفاق من عذاب الله تعالى .

الدفاع : احدى مراحل مسالك الدين ، يختار الاباضية اماما لهم للدفاع عن الامة اذا داهمها العدو وتنتهي مهمة الامام الحرب . انظر المزيد في الباب الثاني .

الدين : انظر " الاسلام "

الرجاء : لغة الامل ، وعرفا توقع حصول محبوب في المستقبل واصطلاحا : الطامع في ثواب الله مع وجود الطاعة .

الرضاء : هو قبول امر الله ونهيه وكل وكل ما ياتي منه تعالى من خير او شر ، من غير اعتراض على حكمه وتقديره .

الشراء : احدى مراحل مسالك الدين يختار الاباضية اذا كانوا اقلية مضطهدة قائدا لهم ويخرجوا للجهاد في سبيل الله الى ان ينتصروا او يموتوا جميعا : سموا بالشراة لانهم اشتروا الجنة بانفسهم ، راجع الباب الثاني

الشرك : يثبت الشرك بجحود بجحود الخالق او بوصف الخالق بصفات المخلوق ، او بوصف المخلوق بالصفات المختصة بالخالق ، كما يثبت بانكار كتاب من كتب الله او ببعض كتابه ،

الشفاعة : طلب الخير من الغير للغير ، وهي هنا طلب النبي (ص) من الله تعالى التعجيل بدخول الجنة . وهي ايضا طلب المؤمن من الله زيادة درجة اخيه المؤمن في الجنة ، والشفاعة لا يستحقها الاّ المؤمن الموفّي بدينه ، ومن اعتقد ثبوتها للعصاة من الموحدين كفر كفر نفاق ، ومن انكرها اشرك .

صفات الله الذاتية : بمعنى ان صفات الله هي عين ذاته ، وليست شيئا مستقلا عنه ، فذاته تعالى كافية في الاتصاف بالكمال المطلق وليست في حاجة الى ما تكتمل به . وبهذا يكون الله عالما بذاته ، مريدا بذاته ، وهكذا جميع صفاته الذاتية ، اي ذاته كافية في الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر ...

صفات الله الجائزة : وتسمى صفات الفعل وهي التي يمكن نفيها عن الله تعالى في الازل دون الحاضر والمستقبل ، كالخلق والارزاق ، فصفات الفعل هي التي لم يتصف بها الله في الازل بل فيما لا يزال ، وهي التي تجامع ضدها في الوجود اذا اختلف المحل ، فنجد الله يرزق المال لفلان ولا يرزق لآخر ، او يهب العلم زيدا ولا يهبه لعمر ، فالصفات الجائزة يوصف الله بها ان فعلها ولا يوصف بها ان لم يفعلها

صفات الله الواجبة : وتسمى صفات الذات وهي التي لا يتصور نفيها عن الله مطلقا سواء في الازل او في الحاضر او في الابد ، من خصائص الصفات الواجبة انها لا تجامع ضدها في الوجود ولو اختلف المحل ، فيستحيل وصف الله بالعلم والجهل .

صفات الله المستحيلة : هي اضداد الصفات الواجبة ، كالحدوث والعدم والفناء والموت والعجز والجهل والاكراه والصمم ، ومشابهة الاجسام مطلقا ، وهذه صفات خاصة بالمخلوق الناقص ومستحيلة على الله الذي لا يتصف الاّ بالكمال المطلق .

الظهور : اولى مراحل مسالك الدين ، وفيها يكون الاباضية في قوّة ومنعة مكتفين عددا وعدّة فيقيمون دولة مستقلة كحالة النبي (ص) في المدينة والخلفاء الراشدين من بعده .

كلام الله : المراد بكلام الله نفي الخرس عنه لا بمعنى التكلم المعروف بين الناس ، لانه لو كان كذلك لاحتاج الى اداة يتكلم بها كالحنجرة واللسان والشفتين .

المجتمع : انظر " الجمع "

المحارب : كل من اخاف السبيل واعلن الفساد في الارض من خصاله الموجبة للقتل ، النفاق واشهار السلاح ، قال فيهم تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم .

الميعاد : انظر " الجمع "

النفاق : الخروج من غير المدخل ، واخفاء غير ما ظهر ، وشرعا مخالفة الفعل للقول او السر للعلانية او المنافق من اظهر التوحيد واخفى الشرك ، والنفاق داخل في الكفر

الهجران : انظر الابعاد

الورع : له ثلاث طبقات ،

الاولى : ورع العدول وهو ترك المحارم جميعا وفعل الفرائض

الثانية : ورع الصالحين وهو ترك المحارم جميعها وترك ما لا حرج فيه مخافة الوقوع فيما فيه الحرج وفعل الفرائض كلها مع الاجتهاد في فعل النوافل .

الثالثة : ورع الصديقين وهو الزيادة على ورع الصالحين بترك ما لا حرج فيه لا لخوف الوقوع فيما فيه الحرج مع الحرص على فعل البر بقدر الطاقة .

الوقوف : الكف عن القدوم في احد بولاية او براءة لعدم معرفة حاله بصلاح او فساد ، وانواع الوقوف خمسة وقوف السلامة ، وقوف الراى ، وقوف السؤال ، وقوف الاشكال ، ووقوف الشك .

اليقين : هو العلم الراسخ الذى لا يشوبه شك ولا اضطراب كانه مشاهدة او مكاشفة ، واليقين يدعو الى قصر

القـدر : اجراء الحكم السابق تفصيلابتعيين الاسباب وتخصيص الاعيان باوقات وازمان بحسب قابليتها واستعدادها وتعليق كل حال من احوالها بزمان معين وسبب مخصوص.

القديم : من سبق وجوده وجود الحدث فكل من لم يكن ثم كان فهو المحدث وكل من كان ولا تكوين فهو القديم

القضاء : هو الحكم الكلي الاجمالي على اعيان الموجودات باحوالها من الازل الى الابد ، وهذا يقتضي الايمان بان الله خالق لافعال العبد الاختيارية والاضطرارية ، والعبد اكتسب افعاله الاختيارية ، اختيارا منه لا جبرا بقدرة خارجية

قومنا : يريد بها الاباضية اصحاب المذاهب الاربعة وقد يطلق على جميع المخالفين من المذاهب .

الكبيرة : ما وعد عليه في الاخرة سواء اوعد عليه في الدنيا ام لا ، اذ ليس كل كبيرة ينكل عليها او يعاقب عليها في الدنيا ولو في زمان الامام ، ودخلت الكبائر كلها في قوله تعالى : (ويحرم عليهم الخبائث) وهي كالشرك والسحر واكل مال بباطل ، وقتل النفس واعانة عليه ولو بكلمة وشرب المفتر والمسكر كالخمر ...

الكتمان : المرحلة الاخيرة من مراحل مسالك الدين ، يهتم الاباضية فيها بالاصلاح الداخلي للمجتمع والمحافظة على الدين ويبتعدون عن المجال السياسي ، ولا يقيمون دولة لهم .

الكفر : ترك شيىء من الواجبات او فعل شيىء من المحرمات والكفر مقيد بالكبائر . ويكون اما بالاشراك او بعمل سائر الكبائر ، وليس العزم على الكفر كفرا حتى يفعله .

كفر الجحود : وهو ما نشأ على نفي وجود الله او نفيا لصفاته او نفيا لوحدانيته ، او انكار شيىء من كمالاته او شيئا من افعاله ، ويسمى الكافر بالجحود مشركا .

كفر النعمة : سمي كذلك لعدم شكر النعمة ، وهو ما نشأ عن تأويل الخطأ كاستحلال ما حرمه الله بتأويل الخطأ من فاعله او قائله او ما فعل انتهاكا كالقتل والزنى والربا والسرقة ويسمى الكافر بالنعمة منافق .

الامل ، وقصره يدعو الى الزهد المورث للحكمة ،
المورثة للنظر في العواقب ، وعلامته النظر الى الله
في كل شيء والرجوع اليه في كل امر .

استدراك

البراءة : لغة البعد عن الشيء ، والتخلص منه ، وشرعا البغض
والشتم واللعن للكافر على كفره ، انظر " الابعاد "

الاحراز : جمع حرز وهو حفظ الشيء وصيانته وحرز الدين المحافظة عليه .

الافراز : جمع فرز وهو عزل الشيء وتمييزه عن غيره والفرز هنا
هو التمييز بين المؤمن والمنافق والمشرك ، فلكل حكمه عند الله .

المجاري : بمعنى مصادر التشريع ، وهي الكتاب والسنة والاجماع .
انظر ص 82 من هذا البحث .

الفهارس

فهرس المصادر المخطوطة

- ابراهيم البرادي (أبو القاسم) ق 14/8

1 الجواهر المنتقاة في تتميم ما أخل به صاحب الطبقات ، نسخة خزانة الشيخ بالحاج القرارة ، ولاية غارداية ، تحت رقم 73، كتب في الصفحة الاخيرة : (نسخه باعيسى بن داود بن صالح الوارجلاني مسكنا و النفوسي نسبا ... فرغ من نسخه يوم الاحد 3 محرم عام 1196 من هجرة الرسول) ، ملاحظة : يبدو أن هذا الكتاب طبع طبعا حجريا لم اقف عليه .

- ابراهيم بن الحاج عيسى ابو اليقظان ، (القرارة : 1888-1973م)

2 المزابية ، 46 ص ، نسخة وحيدة في حوزة أ/عبد الحميد حمدى ابو اليقظان - تجمل المؤلف - تحت رقم 52 .

3 نظام العشيرة في وادي مزاب ، 22 ص ، يبدو أن المؤلف شرع في تحرير هذه الرسالة - كما يسميها صاحبها - بالمدينة المنورة في تاريخ 28 ذو الحجة 1384هـ/29 أفريل 1965م ، وانتهى منها بعد عودته من الحجاز بتاريخ 29 محرم 1385 هـ /30 ماى 1965م ، حسبما جاء في مقدمة وخاتمة الرسالة .

4 دفع شبه الباطل عن الاباضية الوهبية المحقة مقالة كتبها المؤلف ردا على مقال نشرته جريدة المصور الصادرة في القاهرة ، يوم 1966/4/15م ، نسخة أ/ محمد الشيخ بالحاج القرارة •

- ابراهيم بن قيس الحضرمي (ابو اسحاق) ق 5 هـ

5 مختصر الخصال ، نسخة مكتبة "ايروان" العطف ، ولاية غارداية ، رقم 120 ، ونسخة خزانة الشيخ بالحاج ، رقم 56 •

- تبغورين بن عيسى الملوشائي (ق 5 هـ)

6 رسالة في اصول الدين ، نسخة خزانة الشيخ بالحاج ، رقم 60 • نسخها = عمر بن الحاج عمار القرداوي ، سنة 1182 هـ •

7 كتاب الجهالات ، نسخة خزانة الشيخ بالحاج 15 ورقة ، رقم 71، كتب في الورقة الاخيرة = (انتهى من نسخه بعد ظهر الاربعاء ربيع الاخير سنة 1193 هـ ••• الحاج صالح بن محمد الوارجلاني •••)

- عبد العزيز الثميني اليسجني (1130-1223هـ/1718-1808م)

8 معالم الدين في الفلسفة واصول الدين نسخة مكتبة القطب ببني يسقن ، ولاية غارداية ، (354ص) كتب

في الورقة الاخيرة (قد فرغت من أكماله عند الزوال من يوم الاحد لاربع بقين من ربيع الثاني سنة 1184 هـ ... وكان الفراغ من نسخه يوم الخميس لخمس ليال مضت من شهر الله ذى الحجة الحرام عام 1320 هـ .

- عبد الكافي بن ابي يعقوب التناوتي الوارجلاني ، ابوعمار (ق 5هـ/12م)

9 رسالة في نظام العزابة ، وتسمى السيرة (9 اوراق) دتا . نسخة مكتبة القطب ببني يسقن ولاية غارداية .

- جميل بن خميس السعدى العماني (نهاية ق 19م)

10 قاموس الشريعة ، في 90 مجلدا ، الفه بين 1860 - 880 أم ،كتاب الامامة ، نسخة مكتبة القطب ببني يسقن ، ولاية غارداية .

- علي بن محمد البيسوى العماني (ابو الحسين) ق 5 هـ .

11 سيرة أبي الحسن في الامامة ،ضمن سير اهل عمان ،اربع اجزاء ، نسخة مصورة في حوزة الشيخ ناصر المرموري ، القرارة ، ولاية غارداية ، وأصل المخطوط من خزانة الامام غالب السعودية .

- ثواب بن سلام بن عمر اللواتي (نهاية ق 3 هـ)

12 شرائع الدين ، نسخة الشيخ ناصر المرموري القرارة ، ولاية غارداية ، واصل المخطوط في حوزة الشيخ سالم بن يعقوب الجربي .

- محمد بن عمر القصبي المغربي الوحبي (ابوعبد الله الملقب بابي ستة)

13 حاشية الوضع ، خزانة الشيخ بالحاج ، القرارة ، رقم 37 .

- محمد بن يوسف اطفيش المصعبي (قطب الائمة) 1818-1914م

14 شرح عقيدة تبغورين ، نسخة مكتبة القطب .

15 رسالة في الرد على الشيخ محمد كامل بن مصطفى بن محمود الطرابلسي ، صاحب كتاب الفتاوى الكاملية ، (مخ) ضمن مجموعة من الرسائل والردود عند الشيخ سالم ابن يعقوب ، جزيرة جربة ، الجمهورية التونسية .

- يوسف بن ابراهيم الوارجلاني (ابو يعقوب)ت570هـ / 1174م

16 العدل والانصاف ، (208 ص) نسخة خزانة الشيخ بالحاج ،رقم 22 ، يبدو ان النسخة مخرومة في النهاية لعدم وجود اشارة تدل على انتهاء الكتاب .

- احمد بن محمد بن بكر (ابو العباس)

17 تبيين افعال العباد ، نسخة خزانة الشيخ بالحاج ، القرارة ، 77 ورقة ، جاء في نهاية الكتاب = (... انتهى في آخر يوم الجمعة الاخير من جمادى الاولى ، عام 1293 هـ .

فهرس المصادر و المراجع المطبوعة

- ابراهيم آل يوسف اطفيش الجزائري (ابو اسحاق)

18 الدعاية الى سبيل المومنين ، مط السلفية القاهرة، 1923م .

- ابراهيم بكير بحاز (معاصر)

19 الدولة الرستمية ، دراسة في الاوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية ، ط 1 ، مط لافوميك ، الجزائر 1985م .

- ابن عذارى المراكشي (اواخر ق 7 هـ / 13م)

20 البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تح ومر ، ج . س . كولان و ليفي بروفينسال ، ج 1 ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت 1983م .

- ابو الاعلى المودودي

21 نظرية الاسلام وهديه ، تر = جليل حسن الاصلاحي دار الفكر ، د ت .

22 نظرية الاسلام السياسية ، ط 3 ، دار الفكر دمشق 1388 هـ .

- ابو عمار عبد الكافي الاباضي (ق 5 هـ)

23 الموجز ، تح د/ عمار طالبي ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1398 / 1978م .

- ابو غانم الخراساني الاباضي

24 المدونة الكبرى ، رتبها وحققها و شرحها قطب الائمة الشيخ اطفيش، تصوير فوتوغرافي عن اصل مخطوط ، دار اليقظة العربية في سوريا و لبنان ، د تا .

- احمد امين

25 فجر الاسلام ، ط 11 ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1979م .

26 ضحى الاسلام ، ط 10 ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ج 3 ، د تا .

- احمد بن سعيد الدرجيني (ابو العباس) ت 670 هـ .

27 طبقات المشائخ بالمغرب ، تح أ / ابراهيم طلاى ، ج 1 و 2 ، مط البعث ، قسنطينة ، د تا .

- احمد بن عبد الوهاب النووى (شهاب الدين) 677 – 733 هـ

28 نهاية الارب في فنون الادب ، السفر السادس نسخة مصورة عن ط ، دار الكتب المصرية القاهرة ، د تا .

- احمد بن سعيد الشماخي (ت 928 / 1521م)

29 كتاب السير ، ط حجرية ، قسنطينة ، الجزائر 1301 هـ .

- اسماعيل بن موسى الجيطالي (ابو طاهر) ت 750 هـ / 1350 م

30 قواعد الاسلام ، تح و مر الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي ، ط 1 ، مط العربية ، غارداية ، الجزائر ، افريل 1976 م .

31 قناطر الخيرات ، القسم الاول يحتوى على قنطرتي العلم و الايمان ، تح وتع ، د / عمر خليفة النامي ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، جوان 1965 م .

- الفرد بل (مستشرق)

32 الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، من الفتح العربي الى اليوم ، ترعن الفرنسية عبد الرحمن بدوى ، ط 2 ، دار الغرب الاسلامي 1981 م .

- ابن الصغير (ق 3 هـ)

33 اخبار الائمة الرستميين ، تح وتع د / محمد ناصر و أ / ابراهيم بحاز ، المطبوعات الجميلة الجزائر ، 1986 م .

- بكير بن سعيد اعوشت (معاصر)

34 دراسات اسلامية في الاصول الاباضية ، مط البعث قسنطينة ، 1982 م .

- جودت عبد الكريم (معاصر)

35 العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، م و ك الجزائر 1984م •

- جولد ستيهسر (الماني)

36 العقيدة و الشريعة في الاسلام ، تر و تع محمد يوسف موسى وآخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، مصورة عن ط دار الكتاب المصرى 1946

- الحافظ بن كثير ابو الفداء الدمشقي ت 774 هـ •

37 البداية والنهاية ، ج 7 ، ط 3 ، مكتبة المعارف بيروت 1981م •

- حسين مؤنس (معاصر)

38 معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ط 1 ، دار مط المستقبل ، القاهرة 1981م •

- الشيخ الحاج صالح بن عمر اليسجني ت1347هـ و ش• ابراهيم بن بكير حفار ت 1954م

39 مجموعة متون دينية ، تص عبد الرحمن بن عمر مط دار الفكر ، الجزائر 1954م •

- الربيع بن حبيب بن عمر الازدى البصرى ت 170 هـ

40 الجامع الصحيح ، مسند الامام الربيع بن حبيب ، على ترتيب الشيخ ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني ، نا = دار الفتح

بيروت ، مكتبة الاستقامة ، سلطنة عمان مط العمومية ، دمشق ، سوريا ، 1 رمضان 1388 هـ .

- رشيد بوريبة ، موسى لقبال ، عبد الحميد حاجيات عطاء الله دهينة محمد بلقراد

41 الجزائر في التاريخ ، العهد الاسلامي ، من الفتح الى بداية العهد العثماني ، وزارة الثقافة والسياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ج 3 ، الجزائر 1984م .

- سالم بن حمود بن شامس السيابي العماني (ابوبلال) ق 14هـ

42 طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الاباضي ، مط سجل العرب ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، 1400 هـ .

43 ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء ، تح وشرح د / سيدة اسماعيل كاشف ، مطابع سجل العرب ، القاهرة 1979م .

- سعيد التعاريتي الوهبي الجربي ، اوائل ق 14 هـ

44 المسلك المحمود في معرفة الردود ، ط حجرى تونس 1321 هـ .

- سليمان بن عبد الله الباروني النفوسي ق 14 هـ

45 الازهار الرياضية فى ائمة وملوك الاباضية

مط الازهار البارونية ، القاهرة ، د ت •

- سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله الكندي (1298-1337هـ)
مسقط عمان •

46 بداية الامداد على غاية المراد في نظم الاعتقاد
المطابع العالمية ، روى ، سلطنة عمان 1986م

- صالح بن احمد الصوافي (معاصر)

47 الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة
سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي و الثقافة
مسقط ، 1983م •

- صالح باجية (تونسي معاصر)

48 الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية
الاولى ، اشراف د /علي شابي ، ط.دار بوسلامة
لط.ن.ت. ، تونس 1976م •

- عبد الرحمن بن عمر بكلي (البكري) ت 1986/1/13م

49 فتاوى البكري ، ج 2 ، مط العربية ، غارداية
الجزائر ، 1983م •

- عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ق 8هـ/ 14م

50 كتاب العبر ... مجلد 1 المعروف بالمقدمة
دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1981م •

- عبد العزيز الثميني اليسجني (ضياء الدين) توفي
1223 هـ / 1808م

51 كتاب النيل وشفاء العليل ، تح وتصح = عبد الرحمن بن عمر بكلي .

52 التكميل لما اخل به كتاب النيل ، تص ونشر حفيد المؤلف محمد بن صالح الثميني مطبعة العرب ، تونس ، 1944م .

53 النور ، شرح قصيدة " النونية " للشيخ ابي نصر فتح بن نوح الملوشائي (ق 7 هـ) قام بتجديد طبعه أ/ بافلح بايوب بن احمد تصوير فوتوغرافي عن اصل مط طبع حجري مط العربية ، غارداية ، جوان 1981م .

- عبد الله بن حميد سلوم السالمي (نور الدين) توفي 1332 هـ / 1914م

54 تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ، ج 1 ، ط 2 ، مط الشباب ، القاهرة ، 1350 هـ ، ج 2 ، ط 1 ، مط السلفية ، القاهرة ، 1374 هـ .

55 مشارق انوار العقول ، تص احمد بن حمد الخليلي ، ط 2 ، مسقط 1981م .

- عبد الله شريط (معاصر)

56 الفكر الاخلاقي عند ابن خلدون ، ش.و.ن.ت. ، ط 2 ، الجزائر 1981م .

- عبد الحليم محمود (شيخ الازهر سابقا)

57 التفكير الفلسفي في الاسلام ، ج 1 ، ط 3 ، دار النصر للطباعة ، القاهرة 1968م .

- عبد الحي الكتاني (معاصر)

58 نظام الحكومة النبوية ، ج 1 ، نا = حسن جمعنا ، دتا .

- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ابو منصور) توفي 429 هـ .

59 الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تح لجنة احياء التراث العربي ط 5 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982م .

60 كتاب الملل و النحل ، حققه وقدم له وعلق عليه د / البير نصر نادر ، ط 2 ، دار المشرق بيروت 1970 .

- عبد الملك الجويني (امام الحرمين)

61 الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد ، تح د / محمد ابن يوسف بن موسى ، وعلي عبد المنعم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1950م

- عز الدين بليق (معاصر)

62 منهاج الصالحين من احاديث وسنة خاتم الانبياء و المرسلين ، دار الفتح ، ط 1 ،

بيروت 1978م

- علي اسماعيل الاشعري (ابو الحسن) ت 330 هـ الارجح 324

63 مقالات الاسلاميين ... ، ج 1 ، 2 تح محي الدين عبد الحميد دار الحداثة ، ط 2 ، بيروت 1405 هـ / 1985م

- علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ابن حزم) توفي 456 هـ / 1065م

64 الفصل في الملل و النحل والاهواء ، ط 2 ، القاهرة 1320 هـ .

- علي بن محمد الماوردي الشافعي (ابو الحسن) 364 - 450 هـ

65 الاحكام السلطانية ، القاهرة 1386 هـ .

- علي مصطفى الغوابي (معاصر)

66 تاريخ الفرق الاسلامية و نشأة علم الكلام عند المسلمين .

- علي يحيى معمر (ليبيا) 1915 - 1979م

67 الاباضية بين الفرق الاسلامية ، عند كتاب المقالات في القديم و الحديث ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ماى 1976م .

68 الاباضية في موكب التاريخ ، ج 1 ، ط 1 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1964م .

- عمار طالبي (معاصر)

69 آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ، ش.و.ن.ت. ، الجزائر ، 1398هـ / 1978م .

- عمر بن رمضان التلاتي

70 تخبة المتين من اصول تبغورين ، مط العربية ، الجزائر ، دتا .

- عوض محمد خليفات (معاصر) الجامعة الاردنية عمان .

71 النظم الاجتماعية و التربوية عند الاباضية ط 1 ، جامعة عمان 1982م .

72 التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان ، وزارة العدل والاوقاف والشؤون الاسلامية ، مسقط ، دتا .

73 الاصول التاريخية للفرقة الاباضية ، ط 2 ، وزارة التراث القومي و الثقافة ، مط الشرقية مسقط ، سلطنة عمان ، دتا .

- فاروق عمر (معاصر)

74 التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين دراسات نقدية في تفسير التاريخ ، ط 2 ، دار اقرأ ، بيروت ، لبنان 1406هـ / 1985م .

- فؤاد محمد شبل (معاصر)

75 الفكر السياسي ، دراسات مقارنة للمذاهب السياسية ... ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1970م .

- فرحات الجعبيري (تونس- معاصر)

76 نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة ، مط المصرية ، تونس ، 1975م .

- محمد ابو زهرة (معاصر)

77 تاريخ المذاهب الاسلامية ، ج 1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1976م .

- محمد احمد خلف الله (معاصر)

78 القرآن و الدولة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 2 ، بيروت ، 1981م .

- محمد بن بابه الشيخ بالحاج (ابن الشيخ - معاصر)

79 القرآن ... والسنة ... عند الاباضية ، مط العربية ، غارداية ، 1984م .

- محمد جلال شرف (معاصر)

80 نشأة الفكر السياسي و تطوره في الاسلام ، دار النهضة ، بيروت ، 1982م .

- محمد بن زيد المبرد (ابو العباس) 285 هـ / 898م

81 الكامل في اللغة و الادب ، مط التجارية

الكبرى ، القاهرة ، 1355 هـ •

- محمد بن يوسف اطفيش (قطب الائمة) بني يسقن 1818م - 1914م

82 ان لم تعرف الاباضية يا جزائري ، رسالة في الرد على العقبي الطاعن في الدين ، معها حواشي الشيخ عبد الله بن حميد سلوم السالمي ، امر بطبع الكتاب فيصل بن تركي ، سلطان عمان ، فرغ من تاليفه = 3 جمادى الاولى عام 1328 هـ •

83 شرح عقيدة التوحيد ، طبع حجري ، بخط الحاج محمد بن الحاج صالح •

84 شرح كتاب النيل و شفاء العليل ، ج 13 و 14 ، ط 2 ، دار الفتح ، بيروت ، 1972م •

85 الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص تح و تع = ابي اسحاق ابراهيم اطفيش ، ط 2 ، مط البعث . ، قسنطينة ، 1400 هـ /80م

86 شامل الاصل و الفرع ، ج 1 و 2 ، التزم بطبعه و تصحيحه ابو اسحاق ابراهيم اطفيش مط السلفية بمصر ، القاهرة ، 1348 هـ

87 تفقيه الغامر بترتيب لقط موسى بن عامر ، طبع حجري ، كتب في آخر الكتاب =

تم طبعه ليوم 12 من شوال عام 1319 هـ ، على يد ملتزم طبعه = داود بن ابراهيم بن داود اليسجني •

88 كتاب المعلقات (مخ) طبع حجرى ، كتب في الورقة الاخيرة " قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب باعانة الملك الوهاب على ذمة ملتزمه ••• محمد بن يوسف الباروني ••• بقلم حسن العنابي الشاذلي ، د تا نسخة المكتبة الوطنية ، الجزائر •

89 كتاب الرسم في تعليم الخط ، التزم بطبعه و قام بتصحيحه ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ••• مط السلفية ، مصر القاهرة ، 1349 هـ •

90 كتاب جامع الشمل في حديث خاتم الرسل طبع حجرى بخط اليد (436 ص) جاء في نهاية الكتاب " قد تم طبع هذا الكتاب باعانة الملك الوهاب في غرة ••• ذى الحجة 1304 هـ ، البارونية •

91 وفاء الضمانة باداء الامانة ، مط الازهار البارونية القاهرة 1326 هـ •

92 ازالة الاعتراض عن محقي آل اباض ، وزارة التراث

القومي و الثقافة ، سلطنة عمان ، مط الشرقية ، مسقط ، 1982م .

- محمد الطيب النجار (معاصر)

93 محاضرات في تاريخ العالم الاسلامي ، دار الاتحاد العربي للطباعة و النشر ، القاهرة 1401هـ / 1981م .

- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ابو الفتح) 479 - 548هـ

94 الملل و النحل ، تح محمد سيد كيلاني ج 1 و 2 ، ط 2 ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ، 1975م .

- محمد بن جرير الطبرى (ابو جعفر) ت 310هـ / 922م

95 تاريخ الامم و الملوك ، ج 4 ، مط ، الحسينية القاهرة ، 1336هـ .

- محمد علي دبوز ت 1981م .

96 تاريخ المغرب الكبير ، ج 3 ، ط 1 ، داراحياء الكتب العربية ،، القاهرة 1963م .

- محمد المبارك (معاصر)

97 نظام الاسلام ، الحكم و الدولة ، ط 3 ، دار الفكر ، بيروت ، 1980م .

- محمود أسماعيل (معاصر)

98 الحركات السرية في الاسلام ، (رؤية عصرية) ط 1 ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1983م .

- مهدى طالب هاشم (معاصر)

99 الحركة الاباضية في المشرق العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، ط 1 ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، بغداد ، 1981م

- موسى لقبال (معاصر)

100 الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نتائجها و تطورها ، ط 1 ، ألشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1971م .

- يحيى بن ابي بكر (ابو زكريا)

101 كتاب سير الائمة واخبارهم ، تح ، و وضع الهوامش د / اسماعيل العربي ، ط 2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1982م .

- يحيى بن ابي الخير الجناوى (ابو زكريا) اوائل القرن 5 الهجرى .

102 كتاب الوضع ، مختصر في الاصول و الفقه نشر و تع ، ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ط 1 ، مط الفجالة الجديدة ، القاهرة ، مصر ، 1962 م .

ـ يوسف بن ابراهيم الوارجلاني (ابو يعقوب) توفي 570 هـ / 1174م

103 الدليل لاهل العقول بالبرهان و الصدق ... ثلاثة اجزاء ، طبع حجري بخط اليد ، مسط البارونية ، القاهرة ، 1306 هـ .

المعاجم

- معجم الفاظ القرآن الكريم
مجمع اللغة العربية ، ط 3 ، الهيئة المصرية العامة للتاليف و النشر ، القاهرة ، 1907م •
- معجم البلدان
للشيخ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموى ، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت ، 1984م •
- المعجم الفلسفي
تاليف د / جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، 1979م •
- الصحاح ، تاج اللغة و صحاح العربية
تاليف اسماعيل بن حماد الجوهرى ، تح احمد بن عبد الغفورعطار ، ط 3 ، دار العلم للملايين بيروت ، 1984م •

الدوريات

- الاصالة ، وزارة الشؤون الدينية ،عدد 41، مط البعث قسنطينة 1977م
- جبرين ، مجلة ثقافية يصدرها الطلبة العمانيون في الجامعة الاردنية •

المحاضرات

- عبد الرزاق قسوم (دكتور) معاصر

الآراء الكلامية عند المعتزلة ، محاضرة القاها بدائرة الفلسفة ، معهد العلوم الاجتماعية جامعة الجزائر ، بتاريخ 1981/11/16م .

- محمد بن بابه الشيخ بالحاج ، استاذ التاريخ الاسلامي و الشريعة بمعهد الحياة الثانوى القرارة ، ولاية غارداية .

الاجتهاد في المذهب الاباضي ، محاضرة القاها بمناسبة انعقاد ملتقى الفكر الاسلامي ، قسنطينة ، يوليو 1983م

- محمد بن صالح الشميني

مفهوم الشورى و الديمقراطية في التاريخ العربي لدى الرستميين ، و الجماعات المحلية بوادى مزاب " بالجنوب الجزائرى " ، محاضرة القيت بمناسبة المؤتمر الثاني للبرلمان العربي ، الجزائر من 8 الى 12 مارس 1981م .

المقابلات

- الشيخ /صالح بزملال (محافظ مكتبة القطب) بني يسقن ، في صيف 1984م .

- الدكتور/عمار طالبي (مدير جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة) ، في الجزائر ماى 1984م ، و قسنطينة افريل 1985م .

- الشيخ/ محمد بن بابة الشيخ بالحاج (استاذ الشريعة و التاريخ الاسلامي ، بمعهد الحياة) القرارة في صيف 1984م .

- الدكتور / محمد عبد الباقي (استاذ بمعهد الفلسفة جامعة الجزائر ، سابقا) افريل 1986م

- الدكتور / محمد ناصر (استاذ الادب الجزائرى بمعهد اللغة و الادب العربي ، جامعة الجزائر) في القرارة صيف 1984 .

- الاستاذ / بيار كيبرلي Pierre Cuperly (مدير المركز الاسقفي للدراسات و الابحاث) ، الجزائر في 86/1/12م

المـراجـع الاجـنـبـيـة

* Bel (Alfred)

- La religion musulmane en Berberie , edit. Paris , 1938

* Cuperly (Pierre)

- Introdiction à l'etude de l'Ibadisme et de sa théologie , edit. O.P.U. Alger 1984 .

* Daddi-Addoun (Aicha)

- Sociologie et histoire des Algériens Ibadites imp. El-Arabia , Ghardaïa , 1977 .

* Dangel (Gérard)

- L'imamat Ibadite de Tahert(716!909), Contribution à L'histoire du L'Afrique du Nord ddurant le Moyen age , thése preparée pour le dotorat de 3em cycle ,Strasbourg,Université des Sciences Humaines , 1977

* Gardet (Lomis)

- Les hommes de L'Islam , approche des mentalités , edit. Complexe ,Bruxelles , 1984

* Lewicki (Tadeusz)

- Encyclopedie de l'Islam , nouvelle edition G.P. Maisonneuve (&) & Larose , Paris 1971, tom 3,article : AL-IBADIYYA ? pp 669 - 862

* Marçais (Georges)

- La berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen age , edit. Montaigne , Alger , 1946 .

* Mercier (Marcel)

- La civilisation urbaine au M4ZAB , édition Subiron , Alger , 1932

- Etude sur le waqf Ibadite et ses applications au M'ZAB , edit. Jules Carbonel , Alger : 1927 .

* Merghoub (Belhadj)

- Le dévloppement politique en Algerie ,Etude de la population de la region du M'ZAB, edit. Armand Colin , Paris , 1972

الــدوريــات الاجـنـبـيــة

* Brkri (Chikh)

- Le Kharijisme Berbére , quelques Aspects du Royaume Rustumide , Annales de l'Institut d'Etudes Orientales (A.I.E.O.),Université d' Alger , tome 15 , Alger 1957 .

* Dhina (Amar)

- Ibn Rostoum , fondateur du Royaume Ibadite de tahert , El-Moudjahed , 27-28/07/1984 .

* Moutylinski (A. de C.)

- L'Aquida des Abadites , Recueil de Mémoires et de textes publiés en L'Honneur du 14em Congrés Internationale des Orientalistes,Imp. Orientale , Alger , 1905.

فهـرس الآيـات الـقـرآنـيـة

بـداية الآيـة	الصفحة	السطر	السورة	رقم الآية
ولا تقف ما ليس لك به علم	66	11	الاسراء	36
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات	72	15	الكهف	104
ان الذين كفروا من اهل الكتاب	73	2	البينة	6
ان الله لا يخلف الميعاد	73	14	آل عمران	9
ليعذب الله المنافقين والمنافقات	74	11	الاحزاب	73
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن	75	16	التغابن	2
اما شاكرا واما كفورا	76	1	البلد	10
وما امروا الآ ليعبدوا الله	80	10	البينة	5
ان الدين عند الله الاسلا م	80	12	آل عمران	19
فاما الذين شقوا ففي النار	84	15	هـود	108
فريق في الجنة وفريق في السعير	85	1	الشورى	7
ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم	85	7	الجـن	23
انا انزلناه في ليلة القدر	87	4	القدر	1
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس	87	4	الحديد	25
انا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون	87	5	الحجر	9
انا جعلنا القرأن عربيا	87	6	الزخرف	3
وجعلنا الليل والنهار آيتين	87	6	الاسراء	12
او يحدث لهم ذكرا	87	7	طـه	113
ومن الناس من يشتري لهو الحديث	87	7	لقمان	6
افمن هذا الحديث تعجبون	87	8	النجم	59
وانا له لحافظون	87	9	الحجر	9
وحفظناها من كل شيطان رجيم	87	9	الحجر	17
كتابا متشابها	87	10	الزمر	23
والنخل والزرع مختلفا اكله والرمان متشابها	87	10	الانعام	141
فيتبعون ما تشابه منه	87	11	آل عمران	7
كتاب فصلت آياته	87	12	فصلت	3
وكل شيىء فصلناه تفصيلا	87	12	الاسراء	12

فهرس الآيات القرآنية (تابع)

بداية الآية	الصفحة	السطر	السورة	رقم الآية
انا سمعنا قرآنا عجبا	87	13	الجن	1
لقد سمع الله قول الذين قالوا	87	13	آل عمران	181
وانا لما سمعنا الهدى	87	14	الجن	13
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه	87	14	الزمر	18
وانا لما سمعنا الهدى آمنا به	87	15	الجن	13
اولائك على هدى من ربهم	87	15	البقرة	5
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله	121	9	النساء	100
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات	168	8	الشورى	55
... واجعلنا للمتقين اماما	172	1	الفرقان	74
اني جاعلك للناس اماما	172	2	البقرة	124
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير	185	10	آل عمران	104
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات	185	12	النساء	58
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا	194	7	الانفال	66
الذي جعل لكم الارض مهادا	198	3	طه	63
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين	201	7	المنافقون	8
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله	214	19	البقرة	207
ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم	125	1	التوبة	111
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين	216	7	الحجر	94
وجعلنا منهم ائمة يدعون الى النار	263	13	القصص	41
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسولخ	276	9	المائدة	33
ولقد كرمنا بني آدم	283	18	الاسراء	70
وشاورهم في الامر	288	10	البقرة	159
وامرهم شورى بينهم	288	13	الشورى	28

فهرس الاحاديث النبوية

ف فهرس الاعلام

- أ -

- ب -

- غ -

- ف -

- ق -

- م -

— ن —

— هـ —

— و —

— ى —

فهـرس البلـدان والامـــاكــــن

فهرس البلدان والاماكن (تابع)

فهرس القبائل والفرق والمذاهب والاديان

فهرس الجداول التوضيحية

فهرس الموضوعات

جـدول التصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
3	3	مللزما	ملزما
4	13	الشيخ (ص)	الشيخ
5	10	السياسيعة	السياسة
6	6	آراءه	آراؤه
37	4	واهل	اهل
38	2	قبيلته	من قبيلته
42	12	بظهور	ظهرت
51	10	ابن بكر	ابن ابي بكر
61	15	مسخص	محسض
23	1	هي	فهي
83	10	وكيف وجد	ولا كيف
95	11	الكويتية	السمانيتي عمّان
97	17	في	في الازل
98	3	مختلفين	مختلفين معهم
98	3	لسنا	فلسنا
100	4	سنة	سنة 93 هـ
104	15	فتضعنا	تضعنا
107	13	بدليل	فغير صحيح بدليل
108	12	في خاص	في كتاب خاص
110	3	وقد	قد
129	11	السدغاع	هو الدفاع
129	12	غباسية	عباسية
141	11	ذات الوقت	الوقت ذاته
141	12	اهل	اهل الحق
146	6	اشكاله	اشكالها
149	9	(53)	لا وجود للرقم
161	5	لط لعها	لطلعها
161	9	منـ	منح
168	8	وقال بذلك	وقد قال بذلك
198	3	مهدا	مهادا
203	14	بلا5	بلاد
203	14	عير	غير
218	15	بلال بن مرداس	ابو بلال مرداس
219	6	حيث	وحين
223	11	همتهم	هممهم
240	3	عمالا	وعملا
243	9	لدينية	الدينية
267	13	عدمه	فعدمه
278	7	ابن السفير	ابن الصغير
203	14	بحيذة	بعيدة